كلمة العدد

ان المتأمل لخريطة الصراع بين الشرق والغرب بصفة عامة او بين الغرب والمنطقة العربية والخليج بصفة خاصة . سوف تتأكد لديه حقيقة قد لا تكون غائبة عن البعض اليوم . ولكنها بالتأكيد تغيب عن البعض الآخر . هذه الحقيقة التى نقدمها للتاريخ فى كلمات قلائل تقول : ان الشرق يعطى والغرب يأخذ فالشرق عامة .. والشرق العربى خاصة . فى الوقت الذى حشد كل امكانياته وطاقاته وجهاده وسعيه لتقديم الحضارة والتقدم والقيم والمثل العليا والمواد الخام للغرب . فان الغرب بذل جهوده وجنوده وحشوده ، واساطيله ليسلب الشرق ثرواته وخيراته وقيمه ايضا . الشرق فى مجال العطاء الحضارى للبشرية قدم ما لديه بلا حدود . والغرب لم يكتف بما قدم له من قيم وانما انطلق الى الشرق ليأخذ ما بقى لديه من امكانيات وانحصر عطاؤه لتاريخ الانسان وتاريخ العلم فى الرعب النووى الذى يخيف الكون كله اليوم .

فى هذه الكلمات تتلخص قصة الصراع الذى دار والذى يدور ونحن فى هذه الصدد لن نوغل كثيرا فى التاريخ لنعرض مثلا لما قدمته سومر وبابل من عطاء فى الفلك او القانون . ولا لما قدمته الهند القديمة من عطاء روحى وفلسفى ولا لما قدمته مصر الفرعونية من ابتكار فى مختلف العلوم والفنون ولا لما حمله العرب مع الاسلام من تمدن وتقدم وتحضر فى مختلف نواحى الحياة . حيث اكتملت مع الاسلام كل المعطيات

الحضارية علما وفنا و أدبا ونظام دولة و اقتصادا و اجتماعا . لن نوغل فى التاريخ لنعرض لكل ذلك او حتى لبعضه فهو كثير تحفل به قصة الحضارة نفسها . ويسجله كتاب التاريخ وانما سنبدأ من فترة قريبة نسبيا للاذهان . فالى شمال الاندلس وصل المد الاسلامى القادم من الشرق فى وقت كان فيه الغرب ضائعا فى ظلمات القرون الوسطى وتحولت الاندلس الى نقطة اشعاع حضارى اسلامى منها تعلم الغرب الكثير فى مختلف نواحى الحياة من ابسط قواعد السلوك الى اعقد نظريات العلم لقد احيت جامعات الاندلس وعلماؤها ما كاد يغيبه التاريخ من تراث اليونان والرومان عبر جسر من التعاون الوثيق مع علماء المشرق واضافوا اليه الكثير من الانجازات والابتكارات ثم قدموا كل ذلك بسخاء لطلاب العلم الذين شدوا الرحال الى الاندلس من كل ارجاء الغرب المظلم فى كل اوروبا المتخلفة وعندما سلب الغرب كل علوم الشرق وعندما وصل المد الاسلامى الى فترة الاسترخاء بدأت الهجمة الغربية مسلحة بالعلوم الشرقية وحتى بالاسلوب نفسه . فعندما اطلت الحضارة العربية على اوروبا والعالم تقدمت تحت راية الاسلام وعندما بدأت الهجمة الغربية على الشرق فى الحروب الصليبية شرعت راية الصليب وضللت رجل الشارع الاوروبى بأنها انما تزحف لنشر المسيحية بينما الكل يعرف اليوم ان الحملات الصليبية انطلقت لسلب خيرات الشرق وان الوعود كانت تقدم للقادة والجنود بأن من اراد ان يحقق الثراء فلينخرط فى حملات الشرق .

وتقدم الزحف الصليبى الى آسيا الصغرى ثم الشام يحطم ويسحق ويبتز وينقل الى اوروبا الجائعة خيرات الشرق ثم تكسرت الموجات موجة اثر موجة وبدأت هجمات جديدة عندما جردت البرتغال اساطيلها لفتح طرق التجارة مع الشرق ولم تر شعوب المنطقة منهم علما ولا فنا وانما لاقت منهم الأمرين قتلا وتعذيبا وسلبا ونهبا وجاء الهولنديون وما كان لهم اى اهتمام الا بالتجارة سواء فى تصريف منتجاتهم فى اسواق الشرق او فى نقل ثروات الشرق الى بلادهم ثم تجمع الطامعون وتنافسوا

وبدأت الهجمات وجاء الاستعمار العسكرى ومناطق النفوذ وبرز الانجليز والفرنسيون والاسلوب هو الاسلوب فاذا ما تفجر النفط جاء عصر الامريكان واخذوه بثمن بخس .

مسلسل طويل يقوم على كلمة واحدة (الأخذ) حتى عندما تفجرت الثورة العلمية والتقنية واوغل الشرق فى تخلفه قدموا له من افرازات هذه الثورة أسوأ ما انتجته وسيلة واداة غير مباشرة لسلب ما بقى لديه من قيم فى الدين والاخلاق والسلوك .

هذا يحكيه التاريخ لمن يحب ان يقرأ التاريخ ، هدف واحد كبير هو (الاخذ) وكان لابد لتحقيق ذلك ان تواكبه بالطبع مجموعة من الاجراءات اكملت كل ابعاد الصورة الكئيبة . فلكى يتحقق الهدف الكبير لابد ان يصبح الشرق ممزقا وان تتحارب دولة ويتقاتل أبناؤه وتتصارع زعاماته لابد ان تتواصل الحروب الاقليمية وان تغرس بذور الشقاق والبغضاء والكره لابد ان تتفرق الكلمة والا يسمح بقيام كيان واحد تحت اى ظرف من الظروف لابد ان يمنع الشرق من استعادة اعتماده على نفسه وان يظل أسير الحاجة الى الغرب ابتداء من حبة القمح الى الطائرة والصاروخ . صورة واحدة تتكرر على الساحة الفسيحة للشرق ابتداء من اقاصى الشرق الاقصى الى اقاصى المغرب العربى ونزولا الى اعماق افريقيا السوداء .

فى العصور التى سادت فيها حضارات الشرق شهد العالم ازهى عصور أمنه وهنائه . وكانت ثمار كل حضارة متاحة للكون كله تدفع بالانسانية قدما للأمام . وتمنح عطاءها للجميع بلاتمييز لم تغلق حدود . ولم تقم سدود وكان العلماء يأتون من كل فج لمراكز الاشعاع يتعلمون وينقلون كل ما تعلموه الى كل ارض ووجدت حروب - والحرب سليقة فى الانسان ، ولكنها كانت حروبا تسودها روح الفروسية سيف لسيف ورمح لرمح ووجدت تجاوزات والشر طبيعة عند البعض - ولكنها تجاوزات انحصرت فى بقع محدودة هنا او هناك اما فى العصور التى سادت فيها حضارات الغرب فقد شهد العالم ويشهد فلسفة جديدة

للقهر فمن يملك العلم يتمتع بالعلم وحده وما يتوصل اليه الغرب من جديد هو سر الاسرار يحتفظ به الغرب لنفسه ولا يكشف منه الا ما اصبح غير ذى نفع والا اذا اصبح لديه ما هو اكثر منه تطورا ومن يملك البأس والقوة يملك كل شىء والقوى وحده هو من له حق السعادة وحق الحياة واسرار العلم واسرار التكنولوجيا لاصحابها فقط وللآخرين الفتات . والحرب فزع وخوف للكون كله اسلحتها سموم وجراثيم تفتك بالمدن والقرى والمزارع والبساتين والينابيع والانهار والأمن - اذا كان هناك ثمة أمن - للقوى الكبرى فقط اما الكون اما الانسانية اما العالم فله الخوف والرعب من دمار اذا وقع فلن يبقى ولن يذر ولن يدع اخضر ولا يابسا . توتر وتوجس نسف فى اعماق الانسان كل شعور بالأمن حتى على المستقبل القريب . ملايين الاطنان من الطعام تلقى فى المحيط وملايين الانفس تموت كل صباح من الجوع .

صورتان متناقضتان تمام التناقض تعكسان ما قدمه الشرق للانسان عندما سادت حضارات الشرق وما يقدمه الغرب للانسان عندما سادت حضارات الغرب عطاء من هنا واخذ من هناك اضافات من هنا وسلب من هناك .

ترى ماذا سيكتب مؤرخو الحضارات بعد الف عام وهم يقومون حضارات هذا العصر الكئيب . وكيف سيكون الحكم فى محكمة التاريخ سؤال لن تعرف اجابته الا بعد الف عام .

عبدالله بن خالد آل خليفة

صور من الحرب الدبلوماسية

حول الخليج في النصف

الشيخ عبدالله بن أحمد وخورشيد باشا

دراسة تحليلية حول العلاقات السياسية بين مصر والبحرين ١٨٣٩ - ١٨٤٠

...ـة بين المصريين والانجليز

الأول من القرن التاسع عشر

لفت انتباه الباحث من خلال الوثائق التاريخية ، ان الفترة من ١٨٣٩ الى ١٨٤٠ ، شهدت توترات بين المصريين والانجليز حول الخليج ، وكانت رغم قصر مدتها ، مليئة بالاحداث والتطورات المتلاحقة .

وقد اشارت اليها الوثائق والمراجع الاجنبية بصورة تختلف عما جاء فى بطون الوثائق المصرية ، مما جعل الباحث يشعر ان هناك حقيقة تاريخية غير واضحة او مشوهة .

ومن جانب اخر ، لاحظ ان هذه القضية ، رغم اشارات الباحثين اليها بصورة او باخرى ، فى حاجة الى الدراسة الاكاديمية والتحليل العلمى ، ومناقشتها بشكل متكامل فى اطار منهج البحث التاريخى .

وهنا برزت الصعوبة امام الباحث ، فقد تطلب منه الموضوع ، ضرورة دراسة الاسباب التى ادت الى تلك التوترات ، فهل كانت تلك الاسباب تكمن فى علاقات مصر مع بلاد الخليج ، ام فى غيرها ، ومن ثم صار العبء مضاعفا وشاقا .

ولتعدد تلك البلاد ووجهات نظر زعمائها ، تجاه المصريين والانجليز ، رأى الباحث أن يركز فى الدراسة على معالجة علاقة

بقلم : د . تمام همام تمام
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك
بجامعة القاهرة والمعار لجامعة البحرين

مصر مع البحرين حيث ابرمت اتفاقية تعاون رسمية بينهما ، كانت انطلاقة الى محاولات جادة لتكوين علاقات متميزة بين مصر وبلاد الخليج العربية الاخرى . ومعرفة الهدف من تلك العلاقات ، والنظرة المستقبلية اليها من كلا الطرفين ، وموقف الانجليز من ذلك التقارب بين المصريين والخليج .

ثم دراسة ما اذا كانت هناك صلة بين العلاقات المصرية الخليجية وقتذاك - وبين العلاقات الدولية عامة والمصرية العثمانية خاصة ، ودور الانجليز فيها ، ومعرفة النتائج التى ترتبت على كل ذلك بالنسبة لكل الاطراف فى الخليج .

ويرجو الباحث ان يكون قد وفق فى معالجة الوثائق الرسمية ، وابراز الحقيقة التاريخية التى تقطع الشك باليقين منها ، حول تلك القضية ، التى تعد من وجهة نظره (تجربة) فى تاريخ الخليج الحديث خاصة وتاريخ العالم العربى بوجه عام ، بروح محايدة ، وعاطفة مجردة ، من كل انانية ، من منظور رؤية جديدة فى معالجة الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة ، وان يكون ، ما جاء فى هذا البحث تصحيحا أوردا على مغالطات الاخرين ، واضافة اخرى لاثراء المكتبة العربية .

واذا كان البحث كما ذكرت يدور حول العلاقات المصرية الخليجية فلابد من الاشارة الى ان الدولة العثمانية فى هذه الفترة كانت قد اصبحت مجرد سلطة اسمية ولم تكن لها سيطرة على رسم السياسة الخارجية بالنسبة لمصر بالذات .

اسقط محمد على حاكم مصر ، الدرعية ، عاصمة ، الموحدين ، في عام ١٨١٨ ، واطلت قواته على مياه الخليج ، ولكن سرعان ما انسحبت تلك القوات من شرق الجزيرة العربية ، مما اتاح الفرصة للموحدين ان يعيدوا نفوذهم من جديد في تلك الجهات .

وبعد ان وقع محمد على اتفاقية «كوتاهية» مع الدولة العثمانية في عام ١٨٣٣ ، التي اكسبته نفوذا سياسيا ، واقاليم جغرافية ، وقوة دولية ، صار يتطلع الى اتمام مشروع الدولة الحديثة ، بشكلها الجغرافي الواسع ، وذلك بضم ما يمكن ضمه من بلاد تشارك مصر في الدين

الاسلامي واللغة العربية ، وقد تطلبت الضرورة ، اعادة سيطرته على شرق شبه الجزيرة العربية ، واحتواء بلاد الخليج العربية ، بصورة او بأخرى في اطار تلك الدولة [1] فارسل قوة عسكرية ، برئاسة الامير «خالد بن سعود» و«اسماعيل اغا» الى نجد ، ولكن الامير «فيصل بن سعود» تمكن من ان يحقق عدة انتصارات على تلك القوة ، فاضطر «محمد على» ان يوجه «محمد خورشيد باشا» ليرأس القوة العسكرية بدلا من اسماعيل اغا ، وسرعان ما سيطر خورشيد ، على نجد والاحساء ، وعين «محمد افندي رفعت» حاكما على الاحساء ، لتنفيذ السياسة العامة التي رسمها حاكم مصر تجاه البلاد التي خضعت له ، وذلك بتطبيق الاساليب الحديثة ، واقرار الامن ، ونشر العدالة ، والنهوض بالمجتمعات ، الجديدة كما كان يحدث فى مصر وكانت قلعة الدمام فى ذلك الوقت تحت سيطرة الشيخ «مبارك بن عبدالله بن احمد آل خليفة» حاكم البحرين ، وكان من موقعها يسيطر على سواحل القطيف[2] .

وقد لاحظ خورشيد ، العلاقات التي تربط بين البحرين وسواحل الاحساء والقطيف ، ومن ثم رأى ، ان الوجود البحريني في الدمام وتلك السواحل ، يتطلب وجود علاقات واضحة ومحددة ، مع الادارة المصرية في شرق الجزيرة العربية ، خاصة وان بعض المعارضين لتلك الادارة ، كانوا يلجأون الى تلك السواحل ، ويتجهون الى البحرين ، كما فعل «عمرو بن عفيصان» عامل الموحدين فى الاحساء .

وكان خورشيد ، قد وقف على اهمية البحرين ، وتطلع القوى المتنافسة في الخليج ، خاصة الانجليز اليها ، بسبب موقعها الاستراتيجي في قلب الخليج ، وامتلاكها اسطولا بحريا جيدا ، يشمل العديد من السفن التجارية والعسكرية بجانب مواردها الاقتصادية المتعددة ، مما يجعلها ، تفوق غيرها من حيث الرخاء المادي ، وجعلها أقرب بلاد الخليج العربية الى نظام المجتمع الحضري ، يضاف الى كل ذلك أنه ليس لها مطامع اقليمية ، بل كانت هي مطمعا لغيرها ، من القوى المحيطة بها لتلك المميزات .

والواقع ان هناك دوافع اخرى ، رأى خورشيد ، بعد تقديرها ، ضرورة ايجاد علاقات مع حاكم البحرين ، لعل اهمها ما يلي :

١ ـ الاستفادة من البحرين لتدعيم الوجود المصري في شرق الجزيرة العربية .

٢ ـ طبيعة شعبها وتراثه الحضاري المميز اللذان يجعلان من الممكن تقبلها مسألة التحديث بسهولة .

٣ ـ ان تكون البحرين فاتحة البداية ، في محاولة ، ليجعل منها ومن بلاد الخليج العربية اقليما واحدا متماسكا ، من منطلق النظرة المصرية الواحدة ، لكل تلك البلاد .

٤ ـ ان تصبح بلاد الخليج العربية الموحدة ، بمثابة الظهير ، الذي تستند عليه الدولة الحديثة ، ومن ثم يمكن حمايته من الخطر الانجليزي ، خاصة وان القوة العربية او الفارسية اوحتى العثمانية ، لم تتمكن من وضع حد لتصاعد النشاط البريطاني في الخليج .

٥ ـ ان يصير الخليج بحيرة عربية اسلامية خالصة ، كما صار البحر الاحمر بحيرة مصرية عربية الى حد كبير .

٦ ـ محاولة ايجاد نوع من التكامل بمعناه الواسع ، لافادة سكان البلاد جميعا ، مثل الذي كان يطبقه محمد على في مصر والسودان ، خاصة وان مصر صارت تجنى ثمار مشروعات التحديث في الزراعة والصناعة والري والتجارة والتعليم وغيرها ، مما عاد عليها بفوائد عظيمة .

ونظرا للارتباط بين قلعة الدمام والبحرين ـ كما ذكرنا ـ فضلت الادارة المصرية ، عدم محاربة الشيخ مبارك ، للاستيلاء على قلعته ، وانما اصدر خورشيد اوامره ، بان يقوم «محمد افندي رفعت» حاكم الاحساء ، بزيارة ودية للشيخ عبدالله بن احمد حاكم البحرين ، ليقف منه على مدى استعداده للتعاون او الدخول في دائرة الدولة الحديثة ، وفي الوقت نفسه ، ليعرف منه الاسباب التي دفعت الفرس والانجليز ، لاتصالاتهم معه ، وموقفه هو ـ أي حاكم البحرين ـ منهم .

وكان خورشيد يرى انه لا بأس من ان تظل قلعة الدمام في تلك الفترة ، تحت سيطرة الشيخ مبارك ، ريثما تتضح الامور ، وما تسفر عنه زيارة حاكم الاحساء لشيوخ البحرين من نتائج .

وقد قام محمد افندي رفعت بزيارة الى البحرين في ٢٦ يناير ١٨٣٩ ، وطرح وجهة النظر المصرية على شيوخها ، وخلاصتها :

١ ـ ان تتعاون البحرين مع الادارة المصرية

٢ ـ عقد اتفاقية (معاهدة) بين مصر والبحرين .

٣ ـ تدفع البحرين الزكاة وهي قدر قليل من المال[٣]

٤ ـ النظر في مسألة جزيرة تاروت وقلعة الدمام[٤] .

٥ ـ تسليم عمرو بن عفيصان الذي كان قد هرب من الاحساء ولجأ الى حاكم البحرين[٥] .

وتنطق الوثائق الرسمية أن حاكم البحرين لم يستجب لوجهة النظر

المصرية بسرعة . وانما فضل كعادة حكام البحرين ، اتخاذ القرار ، بعد دراسة مستفيضة ، وبعد فترة من التأني ، خاصة ، اذا كان القرار ، يتعلق بوضع البلاد السياسي[٦] .

وفي الحقيقة كان الشيخ عبدالله بن احمد ، يتتبع اخبار التحركات المصرية في شرق الجزيرة العربية ، منذ استيلاء ابراهيم باشا على الدرعية ، ولعله كان يتوقع تطلعات محمد على الى البحرين ، نظرا للارتباط بينها وبين الاحساء[٧] .

لذلك حين عادت القوات المصرية مرة ثانية الى شرق الجزيرة العربية بقيادة خورشيد ، ازداد الشيخ قلقا من ان تخضع تلك القوات البحرين بالقوة[٨] ، خاصة وان هناك شائعات ، صارت تتردد هنا وهناك ، عن فظائع ، كانت ترتكبها تلك القوات ضد السكان[٩] .

ولعل الذي كان وراء تلك الشائعات ، هم الاشخاص الذين فروا من وجه خورشيد ولجأوا الى البحرين امثال عمرو بن عفيصان ومحمد بن سيف العجاجي حاكم القطيف السابق وغيرهما ، ولا نستبعد ان يكون للانجليز في الخليج دور في ترويج تلك الشائعات ، كما يروجون امثالها في سوريا ولبنان ضد الوجود المصري هناك .

ومن ناحية اخرى كان حاكم البحرين ، يخشى حدوث تفاهم بين محمد على والسيد سعيد سلطان مسقط ، على حساب بلاده[١٠] فرأى الشيخ عبدالله بن احمد قبل ان يتخذ اي خطوة مع خورشيد ، وحتى لا يكون مردودها ضده وضد شعبه ، ان يجس نبض القوى المتنافسة المحيطة ببلاده ، فكتب الى «هينل» المقيم السياسي البريطاني في الخليج ، حول هذه القضية ، فأبلغه المقيم ، بأنه لا يستطيع ان يقدم له رأيا محددا بشأن ما يقترحه من ارسال احد اقربائه لمقابلة خورشيد في الاحساء ، واشار عليه ، انه يجب ان يتحمل المسئولية بنفسه ، وان يكون هو الفيصل في اموره[١١] ولا مانع من عقد صلح مع خورشيد باشا ، وان الانجليز سينظرون في هذه المسألة فيما بعد[١٢] .

وان كان هينل ، يرى في الوقت نفسه ، حسب رأيه المرسل للحكومة الانجليزية في بومباي ان تكون البحرين مستقلة ، حفاظا على السلام في الخليج ، وابداء النصح بطريقة أو بأخرى لخورشيد باشا ليكف عن تهديده لها وتركها وشأنها[١٣] .

وبناء على ذلك ، تمكن حاكم البحرين ان يقطع خط الرجعة على الحكومة البريطانية ، اذا اقدم على شيء مع مصر ، وان يتخذ من خطاب هينل ، سندا له في المستقبل ، وكان -

اي شيخ البحرين ـ قد كتب ايضا في ذات الوقت ، حول تلك المسألة الى الامير الحاكم في شيراز ، وقد رحب ذلك الحاكم بتلك المبادرة من جانب حاكم البحرين ، وارسل اليه مبعوثا من قبله ، هو «حاجي قاسم» ليقيم في البحرين(١٤) .

ويبدو ان حاكم البحرين ، لم يكن يتوقع ، استجابة الحاكم الفارسي له بتلك السرعة ، وانما كان على الارجح ، يريد ان يعرف موقفه من التطلع المصري تجاه البحرين ، لانه لم يكن ـ كما جاء في الوثائق الرسمية ـ على استعداد ان تخضع بلاده للحماية الايرانية(١٥) .

ولذا أخذ يدرس الموقف من جميع جوانبه ، ولعل النتيجة التي توصل اليها كانت كالآتي:

١ ـ ان الانجليز قد تخلوا عنه او على الاقل تغاضوا عن مساعدته .

٢ ـ عدم الاطمئنان للحماية الفارسية ، لاعتقاده بعدم قدرة الفرس على مساعدته اذا لم يتوصل الى اتفاقية مع خورشيد ، وهجمت قواته على بلاده(١٦) .

٣ ـ سمعة محمد علي في العالم الاسلامي ، وتعامله مع الدول الاوروبية بقوة ، فاقت تعامل دولة الخلافة العثمانية نفسها مع تلك الدول(١٧) .

٤ ـ عدم صحة الاتهامات التي الصقت بالادارة المصرية في نجد والاحساء ، وتعامل الادارة والقوات المصرية مع القبائل العربية بالحسنى(١٨) .

٥ ـ الوصول الى قناعة ، ان التعاون مع محمد علي ، يحمي البحرين من اطماع القوى المتربصة بها في الخليج(١٩) .

٦ ـ الاستفادة من تجربة النظم الحديثة التي يطبقها محمد علي في مصر ، والتي ظهرت نتيجتها في نهضة متكاملة شملت جميع مرافق البلاد(٢٠) .

كل ذلك بشرط ان لا يترتب على التقارب مع مصر ، خلل في استقلال البحرين وسيادة آل خليفة عليها .

وعلى ضوء ذلك ، ارسل حاكم البحرين الى خورشيد ، يعبر له عن رغبته في عقد اتفاقية تعاون ومصالحة مع محمد علي ، ولكي يذكره ، ان البحرين ، مستقلة ويجب ان تظل مستقلة ، اوضح له ، ان بلاده لم تخضع لاي من الفرس او الانجليز ، ثم اشار الى مسألة الاموال المطلوبة ، حيث طلب افادته عن مقدار الزكاة التي يجب ان تدفعها البحرين ، ونوه الى ضرورة الوقوف معه ضد تطلعات سلطان مسقط ، وان يحصل على (امان) من السلطة المصرية في المنطقة(٢١) .

وقد اسرع خورشيد بالرد على

حـاكم البحرين ، لانـه كان شـديـد الرغبة في ايجاد علاقات مع البحرين ، عسى ان تكون بادرة ايجابية ، يقتدى بها زعماء بلاد الخليج العربية ، فعبر في رسالته ، ان الهدف ليس الحصول على اموال ، لان المطلوب مبالغ بسيطة كرمز للمساهمة في مصروفات الجنود وموظفي الادارة ، واضاف ان مصر ، رغم عـلاقاتهـا الطيبـة مـع سلطان مسقط ، الا انها لن تسمح له بالهجوم على البحرين ، فهدف مصر هو التعاون مع البحرين ، خوفا من سقـوطها في ايدي الانجليز او غيرهم[٢٢] .

وانتهز محمد افندي رفعت ـ حاكم الاحساء ـ هذه الفرصة ، خاصة وان الانجليز اخذوا ينشطون ضد التقارب بين مصر والبحرين ، وخـوفا من ان تحدث ضغوط على الشيخ عبـدالله ، فكتب الى الشيـخ مبـارك في قلعـة الدمـام ، ليطلب من والده ، تحـديد موعد معـه ، للنظر في امـر علاقـات البحرين بالادارة المصرية[٢٣] .

والواقع ان خورشيد ، كان شديد القلق على البحرين ، ولم يسترح لعدم حصول مبعوثه حين زارها في ٢٦ يناير ١٨٣٩ ، عـلى رأي قاطع من جـانب حاكمها ، وكان خورشيد ، يعزو ذلك الى ضغوط خارجية على الشيوخ ، اما من جـانب والي بغـداد[٢٤] ، او من جـانب الانجليز ، لدرجـة انـه اخـذ يفكر ، اذا رفض حاكم البحرين ، عقد معاهدة مع مصر ان تظل مستقلة تحت سيادة آل خليفة[٢٥] ، وان على مصر ان تتحمل مسئوليتها ، لكونهـا اكبر قوة عربيـة اسلاميـة ، للحفاظ عـلى استقلال هذه الجزيرة ، بصـورة أو بأخرى ، وكان في ذات الوقت يأمل ان يحدث التعاون لاسباب منها :

١ ـ يكون تدخله عسكريا في البحرين مشروعا ، طبقا للاتفاقية ، اذا حدث هجوم عليها من هنا او هناك .

٢ ـ يعني اشهار الاتفاقية ، ان ترفع كـل الاطراف المتنافسـة في الخليج ، يدها عن البحرين .

٣ ـ اشعـار القـوى المتصـارعـة والمتطلعة الى البحرين ، ان هجومهـا عليهـا يعني الهجـوم عـلى الوجـود المصـري ذاتـه في شـرق الجـزيـرة العربية .

لذلك عنـدما وصله كتـاب حـاكم الاحساء ، الذي تضمن موافقة شيخ البحرين على عقد المعاهدة ، وتحديد مـوعد لمقـابلته في «خـويـر حسـان» بساحل قطر ، حيث كان الشيخ يقيم هناك في تلك الفترة ، عبر خورشيد عن شديد ارتياحه لهذه الخطوة من جانب حاكم البحرين[٢٦] .

وفور وصول محمـد افندي رفعت الى خوير حسـان ، بدأت المبـاحثات بينه وبين الشيخ ، وكانت على جانب كبير من الاهمية ، اذ لم يترك الشيخ احتمـالا الا وطرحـه امـام المبعـوث

المصري ، وكان ينصت باهتمام بالغ لاجاباته عليه ، ومحاولة استجلاء ما هو غامض منها ، ووضح من سير المباحثات ان الشيخ كان في غاية الحرص على وضع بلاده السياسي ، فعندما تطرق الحديث ، لمسألة الاتصالات التي جرت مؤخرا بينه وبين كل من حاكم فارس والانجليز ، تشير الوثائق الرسمية ، الى ان حاكم البحرين ، قدم لمبعوث خورشيد ، ثلاث مكاتبات وردت اليه من فارس ، وكان خطابان من الثلاثة من طرف حاكم «بوشهر» ، يتضمنان دعوة الشيخ الى ان تكون البحرين تابعة لفارس ، ويتعهد بحمايتها من القوات المصرية ، وغيرها ، اذا حدث هجوم عليها ، وكان الخطاب الثالث عبارة عن (فرمان) من طرف «محمد زاده» وكيل «محمد شاه» حاكم ايالات خراسان ، يدعى فيه ان جزيرة البحرين من الاملاك الفارسية ، ويطلب من حاكم البحرين ان يعين مندوبا عنه ، لاجراء المفاوضات مع وكيله ـ حاكم بوشهر ـ الذي لديه كل الصلاحيات لعقد معاهدة مع حاكم البحرين[٢٧] .

ولعلنا نتساءل ، ما هو السر ، وراء ارسال ذلك الفرمان لشيخ البحرين وطلب عقد معاهدة معه ، هل كان الدافع من وراء ذلك ، هو ضم البحرين لفارس ، لتجعل منها ، خطا اماميا ، تحسبا لتطلعات محمد علي الى الخليج ، ام كانت فرصة مواتية لفارس للاستيلاء على البحرين .

في الواقع ، كما تشير الوثائق الاصلية ، فان محمد علي ، لم تكن له تطلعات ضد فارس على الاطلاق ، وبالتالي لم تكن في ذهن خورشيد فكرة التقدم الى الاملاك الايرانية ، كما ان الفرس انفسهم ، كانوا يدركون ذلك جيدا ، حيث يقول حاكم خراسان كما جاء في الفرمان « .. واما من جهة الملك المفخم والدستور المعظم ، سعادة محمد على باشا ، فهو صاحب ملك عظيم وجاه جليل ، ولا يناسب مقامه التعدى على شيء من ممالكنا ..»[٢٨] .

وعلى ذلك نستطيع القول ونحن مطمئنون ، ان هدف حاكم خراسان كان ضم البحرين ، لتحقيق رغبة دفينة لدى ايران ، لذا فان شيخ البحرين حين اطمأن الى سلوك الادارة المصرية في شرق الجزيرة العربية ، لم يستجب لحاكم خراسان ولم يرد حتى على خطابه[٢٩] .

ومن ناحية الانجليز ، فكما ذكرنا سابقا ، فان الشيخ ، اجرى معهم اتصالا بهدف معرفة موقفهم من الوجود المصري وتطلعه الى بلاده ، واعترف الشيخ لمبعوث خورشيد ، انه بعد تردد اخبار التعاون المنتظر بين مصر والبحرين صار الانجليز ، يلاحقونه بالمراسلات والاتصالات ،

بهدف الابتعاد عن مصر والارتباط بالسلطة الانجليزية في الخليج .

وهنا ادرك المبعوث المصري ، خطر محاصرة الانجليز لشيخ البحرين ، وخشى من زيادة ضغوطهم عليه ، فأخذ يقنع الشيخ ، ويوضح له الهدف من الوجود المصري في شرق الجزيرة ، ويطلب منه معرفة وجهة نظره ، نحو نوع العلاقة مع مصر ، حتى يمكن عرضها على خورشيد[٣٠] .

ويبدو ان الشيخ بعد تفكير ، صارح المبعوث المصري ، بانه يفضل عقد معاهدة صلح وتعاون مع مصر ، خاصة ، بعد ما ثبت حسن معاملة المصريين لاخوانهم ، وانه لا يرغب في ان يرتبط مع الانجليز ، لانهم على غير ملة الاسلام ، ولا يحمونه اذا وقع هجوم على بلاده ، ويخشى الارتباط بالعجم لأطماعهم[٣١] .

وطلب حاكم البحرين من «محمد افندي رفعت» امانا مكتوبا ، من قبل خورشيد ، واثباتا بأنه ـ محمد افندي رفعت ـ مفوض من طرف خورشيد ، بعقد المعاهدة .

والواقع ان طلب الامان ، يحتاج الى وقفه ، فلماذا طلبه شيخ البحرين ، وقد ثبت له ان معاملة الادارة المصرية في شرق الجزيرة العربية ، مع القبائل ، تسير على خير الوجوه ، فهل كان الشيخ ، لا يزال يرتاب في محمد علي ، ويتوجس خيفة من خورشيد ، لان لفظ «امان» في اللغة ، يعني ضد الخوف ، وبأنه عقد يفيد ترك القتل والقتال .

فنعتقد ان حرص شيخ البحرين على بلاده ، جعله يتسلح بكل شيء لازم وممكن ، خاصة وان عهد الامان ، يزيد من اواصر التعاون ، ويعمق التفاهم والمودة بين الطرفين[٣٢] .

ويبدو ان خورشيد ، كان قد عمل حسابه لمثل هذه الامور ، فزود مبعوثه بكل الاوراق التي يمكن الاحتياج اليها ، لتسهيل مهمته ، اذ سرعان ما ابرز المبعوث للشيخ عبدالله ، امرا محررا من خورشيد ، موجها الى الشيخ[٣٣] ولكن الشيخ اراد ان يطمئن اكثر ، وذلك باعطائه ورقة امان بختمه ، ولم يتردد محمد افندي رفعت ، وقدم له الامان التالي :

«من خورشيد باشا سر عسكر نجد الى الجناب المكرم عبدالله بن احمد آل خليفة .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد الذي نعرفك به اننا اعطيناك (امان) من طرفنا ، امان الله ، واماننا ، وامان افندينا محمد على باشا ، على اموالك وحلالك ورعيتك ، وان امر البحرين في يدك او وكيلا الذي (تحطه) ـ اي تختاره من طرفك على الاتفاق ، والعهد الذي يصير بينك وبين محمد افندي معاوننا ووكيلنا ومن حيث انه «وكيلا مفوضا»

من طرفنا في ربط الامر معك ، كما اتفقت انت وهو عليه ، وعاهدته عليه ، فهو ماشي عندنا ، وعلى هذا عهد الله وميثاقه والله على ما نقول وكيل ...»[٣٤]

عندئذ ارتاح حاكم البحرين ، بعد ان تسلم ذلك الامان ، الذي ارتكز على اسس اسلامية ، ولم يلبث الشيخ والمبعوث ، ان وقعا المعاهدة ، وتم تبادل النسخ الموقعه[٣٥] الامر الذي اكسب المعاهدة الصفة الرسمية[٣٦] .

ويعد توقيع الاتفاقية (المعاهدة) بعث الشيخ عبدالله بن احمد رسالة الى خورشيد ، جاء فيها « .. فقد صار الصلح بيننا وبينكم على يد محمد افندي .. وعلى ان نحن نعادي من عاداكم ، ونوالي من والاكم ، وانتم كذلك . ونؤدي لجنابكم الزكاة ، كما هو مذكور في الورقة التي كتبناها لجنابكم ، ولصلتكم معه ، واخذنا منه ورقة مقابلها باسمك ، وورقة اخرى من جنابه على ربط الجواب بالعهد .. وصار حالنا معكم حال واحد ان شاء الله تعالى (ماتشوفون) منا الا ما يسر خاطركم ، بحول الله وقوته وانت سالم والسلام»[٣٧] .

والواقع ان هذه الرسالة لها مكان من الاهمية في هذه القضية ، فهي تأكيد من احد الطرفين على توقيع الاتفاقية ، مما يقطع الشك باليقين على اتمامها[٣٨] .

ويتضح من دراستها وتحليلها ، ان البحرين دخلت في اتفاقية تعاون مع مصر ، خاصة في مجال الدفاع ، وبمعنى اوسع في اتفاقية سياسية عسكرية ، «نعادي من عاداكم ، ونوالي من والاكم وانتم كذلك» ، فكان على مصر ، والحالة هذه ، ان تتحمل مسئوليتها السياسية والحربية ، ضد اي اعتداء على البحرين ، وكان على البحرين ، ان تقف ايضا بامكانياتها خاصة العسكرية ، مع مصر ، وبمعنى اخر يكون الدفاع ضد عدو احدهما مشتركا بين الطرفين .

وهنا نتساءل ، هل تعني هذه الاتفاقية ، حماية مصرية على البحرين كتلك التي استخدمتها الدول الاستعمارية في مستعمراتها في العصر الحديث ، اوحتى من الممكن ان تحمل في طياتها نوعا من الحماية المستترة ، مثل معاهدات الصداقة والتحالف التي صارت تعقد بين الدول الكبرى وبين الدول الصغرى منذ الحرب العالمية الاولى .

في الواقع اذا تعمقنا في تحليل هذه الاتفاقية ، لا نستطيع القول انها كانت معاهدة حماية ، لوجود « .. وانتم كذلك» فقد كان حاكم البحرين حذرا جدا ، وكان موقفه مع مصر ، مبنيا على اساس من الاقتناع التام بتلك العلاقة الجديدة ، وحمل مصر ذات المسئولية التي القيت على عاتق

الإتفاقية البحرينيّة المصريّة توافق رغبة البلدين في مواجهة الخطر الخارجيّ

بلاده .. فاذا كانت الاتفاقية تعني حماية - تجاوزا - او حتى ما شابهها ، فان مسألتي الدفاع والشئون الخارجية تكونان من مسئولية مصر ، وتكتفى البحرين بدفع الزكاة ، وهذا لم يرد في الوثائق الرسمية المتعلقة بهذا الموضوع .

كما ان مسألة الزكاة ، قد عبر عنها خورشيد ، بانها لا تشكل اهمية بالنسبة لعقد الاتفاقية ذاتها ، لانه كان يرى من تعاون البحرين معه ، ما يسهل عليه الانطلاق الى بلاد الخليج العربية ، والسيطرة على هذا الممر المائي الاستراتيجي لاتمام تكوين الركن الشرقي من الدولة الحديثة .

فقد ارسل الى حاكم البحرين يقول له «.. ان الدراهم ، ان كثرت او قلت ، ليس لها حساب ، وان الهدف ليس الحصول على «فلوس» وانما الهدف هو «الاصلاح وتمشية السبل» و«المساعدة على الاشغال» .. «ويكون نحن وانتم حال واحد»[٣٩] .

لذلك لا يجب ان نردد قول الاخرين بان دفع البحرين للزكاة : كان يعني التبعية او الحماية المصرية عليها ، بمعناهما اللفظي الاستعماري ، وانما الهدف كان :

١ - لتوثيق العلاقة وتوطيدها مع مصر ، وحتى تتمكن الاخيرة من تصدير الانظمة الحديثة اليها ، وبالتالي يشهد المجتمع نهضة حضارية في اطار المفاهيم الاسلامية .

٢ - اشعار حاكم البحرين وزعماء البلاد التى ارتبطت بمصر ، بان الحكومة المصرية صارت بمثابة الحكومة العربية «الام» التي من حقها جمع الزكاة وغيرها لانفاقها على مختلف الوجوه .

وكان شيخ البحرين قد تعهد بدفع ثلاثة الاف ريال سنويا للادارة المصرية في شرق الجزيرة العربية[٤٠]

وحين لاحظ خورشيد ، ان الشيخ ليس مرتاحا لمسألة الزكاة ، امر بتركها له يتصرف فيها لصالح بلاده[٤١] .

شروط اتفاقية التعاون :

بعد ان تم توقيع الاتفاقية بين حاكم البحرين والمبعوث المصري ، رأى الاخير ، ان يضم اليها ملحقا ، يشمل شروطا ، لتنفيذها والعمل بها وعدم مخالفتها ، ودارت المباحثات حول هذه الشروط ، التي تمت الموافقة عليها برضا الطرفين[٤٢] ، وكان منها ما يلي :

أولا :

ذكرنا سابقا ، ان الشيخ مبارك بن عبدالله ، كان اميرا على قلعة الدمام ، وبعد ابرام المعاهدة ، كان يهم المفاوض المصري ، ان تستقر الاوضاع في المنطقة ، ويسود الامن ، حتى تتمكن الادارة المصرية في ذات الوقت ، من النظر الى بلاد الخليج العربية .

وكان عرب الهواجر[٤٣] ، وبعض عرب العماير ، لا يزالون يقيمون في القطيف ، ويدينون بالولاء للشيخ مبارك ، وكان المبعوث المصري ، على علم ، بعدم ارتياح نفر من هذه القبائل للوجود المصري في تلك الجهات ، لذلك ، لم يستبعد ان تمارس بعض هذه القبائل اعمالا تهدد الاستقرار والامن وقد يمتد اثر ذلك الى السكان ويهدد القيادة المصرية ذاتها في الاحساء[٤٤] . فرأى المفاوض المصري ، ان الحكمة تقضي بان يتكفل الشيخ مبارك ، بالمحافظة على سير الامور واقرار الامن ونشر العدالة وان يراقب سلوك هذه القبائل وان يكون له الحق في طردها من القطيف اذا خرج افرادها على قواعد النظام .

ويتضح من هذا النص ، ان المبعوث المصري بجانب انه حمل الشيخ مبارك ، مسئولية اقرار النظام ، حتى ينعم الجميع بالهدوء ، كان بقاؤه - اي الشيخ مبارك - اميرا على القلعة ، في حد ذاته اعترافا به من القيادة المصرية ، الامر الذي يكسبه قوة ، يستخدمها ضد اعدائه ، ولكن يبدو ان المفاوض المصري استدرك عاقبة الامور ومن ثم لم يترك الحبل كلية على الغارب في يد الشيخ مبارك ، حتى يشعره ان الادارة المصرية حريصة ويقظه ، وحتى لا يتصرف في شيء من الامور الهامة ، التي ربما تأتي بنتائج غير محمودة ،

دون الرجوع الى تلك الادارة ، فمثلا ، شمل النص ان لا يوافق الشيخ مبارك على عودة اي شخص من عرب العماير الذين فروا الى سلطنة مسقط ، بعد ان هدمت قوات «محمد على» قلعتهم في «عنك» على ساحل الاحساء ، دون الحصول على اذن من الادارة المصرية .

ويلاحظ ان هذه الفقرة تشمل نوعا من التحذير لامير قلعة الدمام ، ولكنه تحذير مستساغ ، لانه في صالح الطرفين .

حقيقة كان حاكم البحرين وابنه يعطفان على قبائل العماير في القطيف منذ ١٨٣٤ ، عقب ثورتهم في سيهات[٤٥] ، لكن الوضع تغير بعد توقيع المعاهدة ، فصار يهم مصر والبحرين على حد سواء ، التخلص من القوى المحلية المعارضة ، والتنبه الى خطر القوى الخارجية ، التي صارت ترصد خطوات اقتراب مصر من الخليج بصفة عامة .

ثانيا :

لما كانت سياسة محمد علي ، العمل على النهوض بالبلاد ، ومن ثم ضرورة تحصيل الزكاة او الخراج او الضرائب او حتى احتكار بعض الموارد الاقتصادية ، في سبيل تنفيذ مشروعات التحديث ، كان على خورشيد ان يطبق هذا النظام في الجبهة الشرقية من الدولة ، وكان الشيخ عبدالله بن احمد يحصل على رسوم من العاملين في صيد اللؤلؤ ، في منطقة القطيف فرأى مبعوث خورشيد ان الوضع لا يستقيم بعد توقيع الاتفاقية اذا استمرت الامور على حالها ، فكانت القطيف والاحساء من حيث الدفاع وحاجتها الى مشروعات التحديث ، من مسئولية الادارة المصرية ، لذلك رأى هذا المبعوث ، ان يكون مردود هذه الرسوم للنهوض بأهل القطيف ، ويكتفي الشيخ عبدالله بفرض الرسوم على سفن الغوص العاملة في البحرين[٤٦] .

ثالثا :

يبدو ان حرمان البحرين من رسوم سفن الغوص في القطيف جعل الشيخ عبدالله يتشدد امام المبعوث المصري ، حين طلب الاخير ، ان يدفع اهل قطر ، من بدو وحضر ، الزكاة للادارة المصرية ، على كل ما يملكون من قطيع وماشية ، فقد

كان من الصعب على شيوخ البحرين ، ان يعترفوا بذلك ، ولكنهم وبعد دراسة رأوا من الافضل لهم ان يوافقوا على ذلك ، في مقابل ان يترك المبعوث المصري ، بعض القرى ، كان اهلها يشتغلون بصيد اللؤلؤ بتشجيع من حاكم البحرين .

رابعا :

اراد مبعوث خورشيدان يضمن ويطمئن على تنفيذ المعاهدة ، وذلك بوجود وكيل معتمد من طرف خورشيد في البحرين ، وحتى يكون بمثابة دليل على اقامة التعاون بين مصر والبحرين ، خاصة امام القوى المتنافسة في الخليج .

لكن سرعان ما فطن حاكم البحرين الى هذه المسألة ، فرأى ان وجود وكيل من طرف خورشيد في ظل الاتفاقية ، يورطه في مشاكل ، وربما يجر بلاده الى صراع ، يجعلها ميدانا لحروب باردة اوساخنة ، من جانب القوى الطامعة فيها ، وكان حكام البحرين ، طبقا للاحداث التى تعرضت لها ، يعملون كل ما في وسعهم ، لابعاد الخطر عنها ، وكان من الممكن ان يقبل شيخ البحرين وجود وكيل بصفته ممثلا عن مصر ، شأنه في ذلك ، شأن اي وكيل لدولة اخرى في بلاده ، اذا لم تكن هناك اتفاقية بينه وبين مصر ، ولكنه رأى ان وجود وكيل في البحرين والحالة هذه ، ربما يفسر على انه خضوع لمصر فطلب ارجاء هذه المسألة ولم يتردد المبعوث المصري ، في الموافقة .

ولعل هذه النقطة بالذات ، تنفى ما يردده البعض ، من القول ، ان الاتفاقية كانت تعني الحماية المصرية على البحرين ، او على الاقل كانت تحمل في طياتها نوعا من التبعية ، وهو ما تردده المراجع الاجنبية .

فالباحث يرى اختلافا شاسعا بين هذه الاتفاقية ، وبين الاتفاقيات الاخرى التي عقدتها بعض الدول الاجنبية مع بعض البلاد العربية التي كان من اهم شروطها وجود الوكيل او المقيم او المندوب السامي لحماية اتفاقياتها وتنفيذ شروطها .

خامسا :

تضمنت الشروط بندا ، يعد من اخطرها ويمثل العمود الفقري للاتفاقية ، وهو مسألة التعاون العسكري ، فحبذ خورشيد ان يستفيد من قوة البحرين ، التي كانت تتكون وقتذاك من عدد

كبير من القوارب والسفن الحربية من الطراز الاول في الخليج ، وكان عدد الرجال المقاتلين الذين يقفون مع حاكم البحرين ، ويشدون من ازره ، يزيدون على ستة الاف محارب ، يمكن جمعهم من جزيرتي البحرين والمحرق فقط بجانب ثلاثة الاف محارب كانوا رهن الاشارة ممن ينتمون الى العتوب أو حلفائهم ، وكان الجميع يتصفون بالشجاعة والقدرة القتالية ، ولديهم خبرة فائقة في فن المعارك برا وبحرا(٤٧) .

فكانت هذه القوة في نظر خورشيد في غاية الاهمية بالنسبة لمشروعات مصر في الخليج لعدة اسباب منها :

١ - انها تكسب القوات المصرية سرعة الانتشار العسكري في مياه الخليج .

٢ - عدم الاعتماد كلية على الامدادات العسكرية من مصر ، بسبب طول الطريق البري عبر شبه الجزيرة العربية من ناحية ، ومن ناحية اخرى بسبب الوجود البريطاني في المداخل الجنوبية للبحر الاحمر ، بعد احتلال انجلترا لعدن بالقوة العسكرية في يناير ١٨٣٩ ، والذي صار يقطع حبل الاتصال بين ذلك البحر والخليج .

٣ - الاستفادة ايضا من مراكب البحرين التجارية ، في نقل الغلال والمواد التموينية من الموانىء المختلفة في الخليج ، لحساب القوات المصرية في تلك الجهات .

ويبدو ان حاكم البحرين ، قد فطن ، لحاجة خورشيد العسكرية ، فوافق على ان يقدم له المساعدات الممكنة من مراكب ورجاجيل (رجال) في حالة ما اذا اراد خورشيد ان يتجه الى بلاد الخليج الاخرى ماعدا الكويت ، فقد اشترط الشيخ ، عدم السير اليها بمظاهرة عسكرية لكون شيوخها «آل صباح» من ابناء عمومتهم .

واذا حللنا هذه المسألة تاريخيا ، يتضح لنا منها ما يلي :

١ - يرى حاكم البحرين ، انه اذا ارادت مصر ، ان تتقارب مع الكويت ، فلا بأس ان يحدث ذلك ، عن طريق اتفاقية ، مثل تلك الاتفاقية المبرمة بينه وبين خورشيد .

٢ - لا يمانع حاكم البحرين في المشاركة في فتح مسقط والبصرة ، خاصة بعد ان اقتنع ، ان الوجود المصري في

الخليج ، هدفه حماية البلاد من خطر الاعداء ، واستتباب الامن ، وتطبيق تجارب التحديث ، بعد ان نجحت في مصر نفسها .

٣ ـ اذا شارك حاكم البحرين ، بصورة او بأخرى ، من خلال الاتفاقية ، في محاولة تجميع بلاد الخليج العربية في اقليم واحد ، بمعناه الواسع تكون البحرين اول بلد خليجي تعرب عن استعدادها للمساهمة في هذا المشروع العربي الوحدوي .

سادسا :

التزم طرفا المعاهدة ، ان يسلم كل منهما للاخر ، اي شخص ، يشكل خطورة ، وهرب الى الطرف الثاني ، لمحاكمته ، وكان الهدف من ذلك الشرط ، العمل على انتشار الامن وتوطيد العدالة ، وكان في ذات الوقت لصالح الطرفين على حد سواء[48] .

وبعد ان تمت الاتفاقية على هذا الشكل ، اراد «محمد افندي رفعت» مبعوث خورشيد ، ان يكسبها بجانب الطابع الرسمي ، طابع الموافقة الشعبية من اهل البحرين انفسهم[49] ، فسافر من خوير حسان على ساحل قطر ، حيث كان الشيخ يقيم هناك وقتذاك الى البحرين ، بصحبة نفر من عليه القوم ، وبعض اولاد الشيخ ، وفي البحرين ، اعلن عن المعاهدة ، ليكون الجميع على علم بها .

كانت السلطات الانجليزية في الخليج ، ترصد التحركات المصرية تجاه البحرين قبل توقيع الاتفاقية ، ورغم قلق انجلترا ، وخوفها الشديد ، من حدوث تقارب بين مصر والبحرين ، واحتمال ، ان يمتد الى بلاد اخرى في الخليج ، فانها لم تستطع ان تتخذ اجراء عسكريا مضادا لاسباب لعل من اهمها :

١ ـ زيادة التوتر بين السلطان العثماني ومحمد على في جبهة الشام ، تطلب من الحكومة البريطانية ، اعطاءه الاولوية في الاهتمام .

٢ ـ تكثيف الرقابة في البحر المتوسط ، حفاظا على مبدأ التوازن الدولي .

٣ ـ ترتب على استغلال روسيا ، للتوتر ، الذي كان بين ايران والانجليز حول مسألة «هيرات» وتحفزها للوصول الى الخليج ، وضرب المصالح البريطانية في الشرق ، ان جعل انجلترا تركز نشاطها ، لابعاد الروس من التقارب مع ايران ، حتى تطمئن على مصالحها بل ووجودها في تلك

الجهات [٥٠] .

لكن ليس معنى ذلك ، ان انجلترا ، رفعت يدها امام المشروعات المصرية في الخليج ، فقد سارعت واحتلت جزيرة (خرج) [٥١] في ١٩ يونيو ١٨٣٨ تحسبا لتطلعات محمد على الى البصرة ، بعد ان وضحت اهدافه ، عقب اتفاقية (كوتاهية) في محاولاته الرامية ، الى تجميع البلاد العربية في دولة واحدة تكون له ولذريته من بعده .

لذلك بعد ان حقق خورشيد انتصاراته في الاحساء ، واخذ يتطلع الى البحرين ، نظرا لاهميتها في الخليج[٥٢] ، صار المسئولون الانجليز ، يمطرون حكوماتهم في الهند ولندن ، بوابل من المكاتبات والتقارير حول النشاط المصرى المتزايد ، مما جعل الحكومة البريطانية ، تفكر في احتلال البحرين ، لتمنع مساعدتها لقوات خورشيد ، فطلب «بالمرستون» وزير الخارجية البريطانية في نهاية يناير ١٨٣٩ ، رغم مشاغل وزارته بقضايا اخرى ، الى حكومة بومباى افادته عن موارد هذه الجزيرة ـ البحرين[٥٣] ـ والدفاع عنها ، حتى صدور اوامر اخرى من حكومة صاحبة الجلالة[٥٤] .

ولما ازدادت نوايا خورشيد وضوحا تجاه البحرين ، وجدت حكومة الهند نفسها مضطرة ، حفاظا على مصالح الشركة الانجليزية في الخليج ، أن تسبق تعليمات حكومة لندن ، بشأن السياسة التي يجب اتباعها في الخليج .

ويبدو ان حكومة الهند ، كانت معذورة في ذلك ، لانها كانت تنظر الى المسألة من زاوية معينة تتركز في مصالح الشركة ، عكس حكومة لندن ، التي كانت تنظر الى المسألة من جميع زواياها ، وتتحسب النتائج التي من الممكن ان تترتب على اتخاذ كل خطوة تقدم عليها ، فمثلا ، بعد ان اختفى خوفها من المطامع الفرنسية ، منذ بداية القرن التاسع عشر ، حيال الهند والخليج ، حل محله الخوف من المطامع الروسية ، حيال الحدود الشمالية الغربية لشمال شبه القارة الهندية ومنطقة الخليج ، واذا كانت الحكومة البريطانية ، تحاول جاهدة بصورة او بأخرى ، صد خطر الروس ومنع اقترابهم من الخليج[٥٥] فان تصاعد قوة مصر وتوسع مشروعاتها في البلاد العربية ، زاد من ارتباك سياسة لندن الخارجية .

على اية حال ، ترتب على حرص حكومة الهند على مصالح الشركة ، ان انتهزت فرصة وجود اسطول بريطاني في مياه الخليج ، وفوضت قائده «سير فردريك ميتلاند» ، بان يستخدم كل امكانياته وبقوة ، لمنع قائد القوات

المصرية من التقدم صوب الخليج[٥٦] وخاصة اذا توجه لغزو البحرين[٥٧] .

وفوضت الامبرالية البريطانية هذا القائد ، بان يقدم لشيخ البحرين كل المساعدات الممكنة ، لمقاومة ومنع خورشيد من تنفيذ مشروعه ، لكن دون التورط في حرب فعلية ، واعتبرت حكومة الهند ، هذه التعليمات كافية لمواجهة الموقف والمحافظة على الوضع القائم كما هو لأنها - أى حكومة الهند - لم تكن مستعدة في ذلك الوقت ، لأكثر من ذلك مثل عقد اتفاقية جديدة مثلا مع شيخ البحرين[٥٨] .

كما ان (ميتلاند) من جانبه ، رأى عدم التورط عسكريا في هذه المسألة ، ونصح بأن يعالجها «هينل» المقيم البريطاني في الخليج بالوسائل الدبلوماسية[٥٩] .

وقد اصدرت حكومة بومباي اوامرها الى (هينل) بان يقدم احتجاجا لقائد القوات المصرية ، بصدد خططه نحو البحرين ، وغيرها من بلاد الخليج العربية ، ويحذره من ان ما يقوم به يتعارض مع التفاهم القائم بين حكومة لندن وحكومة القاهرة ، وقد يترتب عليه افساد العلاقات الودية بينهما[٦٠] .

والواقع ان العلاقات بين مصر وبريطانيا في تلك الفترة ، لم تكن ودية على الاطلاق ، ولعل خورشيد ، لم تغب عنه هذه المسألة ، فكان يعرف جيدا ، موقف لندن المعادي لمحمد علي ، حول نزاعه مع السلطان العثماني ، وعدم اكتراثها لمحاولات حاكم مصر ، ان ينال ضمان الدول الاوروبية لمعاهدة كوتاهية ، ومعاونتها له للمفاوضة مع الباب العالي ، لتسوية ذلك النزاع .

لذلك نرى ان الحكومة البريطانية ، كانت لا تزال حتى ذلك الوقت تستخدم مع حاكم مصر ، الدبلوماسية المغلفة بالضغط مع استمرارية تتبع ودراسة الموقف من جميع زواياه ، ففي الوقت الذي طلبت فيه حكومة الهند من (ميتلاند) عدم التورط في حرب مع قوات خورشيد ، بسبب علاقاته مع البحرين ، طلبت منه ايضا ، ان يعرف القوة المادية لمختلف الاطراف في المنطقة ، خاصة قوة شيخ البحرين[٦١] حتى تأخذ ذلك في الاعتبار ، اذا حدث تصادم وتدخل مباشر من جانب الانجليز ، ضد القوات المصرية في الخليج .

وكان خورشيد من جانبه ، يعمل لكل خطوة حسابها ، فاراد ان يجس نبض السلطة الانجليزية ، وموقفها في حالة مواصلة تقاربه مع بلاد الخليج فكتب الى المقيم البريطاني في ٣ ابريل ١٨٣٩ حول ذلك الشأن[٦٢] .

فرد المقيم البريطاني عليه ، طالبا منه عدم اتخاذ أى اجراء تجاه بلاد

الخليج العربية خاصة البحرين قبل توجيه انذار لرعايا الحكومة البريطانية المقيمين في الجزيرة بمدة كافية[٦٣] وقد ايدت حكومة الهند ، هذا الطلب من جانبه ، واعتبرت وقت صدوره مناسبا ، لاسيما وانه يتيح الفرصة لتأجيل الازمة المحتملة[٦٤] .

ولكن يبدو ان اخبار تزايد العلاقات بين مصر والبحرين ، ازعج حكومة الهند ، وخشيت من اتساعها في الخليج ، لذلك لم تكتف بالتحذيرات وخولت قائد الاسطول البحري في رسالة بتاريخ ١٨ ابريل ١٨٣٩ ، الصلاحية في مفاوضة شيخ البحرين ، وان يؤكد له في حالة طلبه ، التدخل ووضع بلاده ، تحت الحماية ، فان الحكومة لا تمانع في ذلك ، لكن عليه ان يفيده ان حماية الاسطول البريطاني له ستكون مؤقتة[٦٥] .

ويلاحظ من هذه التعليمات ـ اذا كانت صحيحة ـ ان حكومة الهند ، باتت في ورطه ، فكانت ترى ان علاقات مصر مع البحرين ، تشكل خطورة ضد مصالحها في الخليج وانها قد تكون بداية لايجاد علاقات لمصر مع بلاد الخليج العربية .

ولعلها كانت تضع في حساباتها ، عامل الدين ، الذي يجمع بين البلاد العربية ، وان محمد علي ، صار بطلا في نظر العالم الاسلامي وقتذاك .

وبينما كانت حكومة الهند ، تتخبط في تفكيرها ، حول ما يسفر عنه الغد من احداث في الخليج ، وتقيدها بتعليمات حكومة صاحبة الجلالة ، خاصة فيما يتعلق بالنواحي العسكرية ، كان «محمد افندي رفعت» وكيل خورشيد ، يقوم بجولة في الخليج حاملا معه صورة الاتفاقية الموقعة مع حاكم البحرين ، فبعد ان زار الجزيرة ، عرج الى جزيرة «خرج» في ٢ يونيو ١٨٣٩ ، لمقابلة المقيم البريطاني «هينل» ليبلغه مضمون تلك الاتفاقية[٦٦] ، حتى تكف السلطة الانجليزية ، وترفع يدها عن مسألة البحرين ، التي فضلت بارادتها التعاون والتحالف مع مصر دون غيرها .

فقد سبق وطلبت حكومة الهند من قائد الاسطول البريطاني في الخليج في ١٨ ابريل ١٨٣٩ ، ان يبلغ قائد القوات المصرية ، بان الاسطول سيقوم بحماية البحرين ـ بصفة مؤقتة[٦٧] ، وبمعنى آخر ، ان الانجليز ، لا ينوون فرض حمايتهم على البحرين .

ورغم ان انجلترا ، لم يكن في استطاعتها في تلك الفترة ـ فرض الحماية ـ خوفا من موقف فرنسا المؤيد لمشاريع محمد علي ، والتي كان الخليج العربي ـ ككل ـ داخلا في اطارها ، وحتى لا تثير عليها روسيا

التي كانت تحقد على السلطة الانجليزية في العراق ، التي ربما تتخذ منه قاعدة لمقاومة التوسع الروسي في جنوب غرب اسيا(٦٨) ، فان تعبير «حماية مؤقته» كان له مغزاه في مخطط السياسة الانجليزية ، فهو يعني تحذيرا لخورشيد من غزو البحرين ، واشعاره بان السلطة الانجليزية -هي وحدها التي لها الحق في حماية البحرين وغيرها من بلاد الخليج ، ضد اي قوة اجنبية ، وقد اشار (لوريمر) الى ان شيخ البحرين ، تعهد للكابتن (ادموندز) مساعد المقيم السياسي البريطاني ، بألا يضع نفسه تحت سلطة او حماية دولة (اجنبية) قبل استشارة المقيم البريطاني(٦٩) .

ويبدو ان هذه الاشارة غير حقيقية ، ومن ثم يجب التحفظ عليها ، استنتاجا من سير الاحداث نفسها ، حيث ان الاتفاقية تمت وصارت نافذة المفعول منذ ابرامها على الارجح في نهايات شهر مارس ١٨٣٩ ، كما سبق ذكره .

وقد ارسل خورشيد من جانبه الى المقيم البريطاني في ٢٩ يوليو ١٨٣٩ ، بأن الاتفاق مع شيوخ البحرين ، صار على «قدر القانون» وان الشيخ عبدالله آل خليفة ، هو الامين على البحرين ، وليس القصد هو مهاجمة تلك الجزيرة ، وانما الهدف اولا واخيرا هو العمل على راحة العباد واصلاح البلاد(٧٠) .

وعلى ضوء تلك التطورات ، اخذ (هينل) يعيد حساباته في اطار السياسة البريطانية العامة تجاه الخليج ، والتي كانت تهدف الى تمزيق المنطقة الى كيانات سياسية صغيرة ومتنافره ، حتى يسهل وضعها في فلك النفوذ الانجليزي ، دون التدخل عسكريا ، الا في الحالات التي تستوجب ذلك ، والدليل على هذا انها كثيرا ما كانت تثير العداء بين مشيخات الخليج ، مثل ما كانت تبارك في بعض الاحيان ، احتلال سلطان مسقط للبحرين(٧١) ، او اعتداء فارس عليها(٧٢) .

ولعله رأى في روح المعاهدة ، خاصة وانها ترتكز على اركان اسلامية ، وتوافرت لها جميع الشروط الصحيحة ، التي تبرم على اساسها المعاهدات الدولية الرسمية(٧٣) وانتشار اخبارها في بلاد الخليج العربية ، ما يشجع المشايخ على التقارب مع مصر ، فأرسل على وجه السرعة ، مبعوثا من قبله الى شيخ البحرين في خوير حسان بساحل قطر ، ليتأكد من صحة المعاهدة(٧٤) .

وقد قدم هذا المبعوث رسالة للشيخ من قبل (هينل) ، وابلغه ان السلطة الانجليزية في الخليج ، علمت بالاتفاقية التي ابرمها مع مصر ، والتي تتضمن ان «الصديق واحد والعدو واحد» وهذا يتعارض مع ما تم التفاهم عليه بينه وبين السلطة

الانجليزية من قبل[٧٥] .

ولما لم يجد المبعوث الانجليزي ، اذانا صاغية من شيخ البحرين ، وتأكد من صدق توقيع الاتفاقية ، اضطر (هينل) ازاء هذه القضية ، التي تشكل الكثير من العقبات في برنامج السياسة البريطانية تجاه الخليج والهند ، ان يذهب بنفسه لمقابلة الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة ، وقد دار حوار شديد بين الطرفين ، اشار اليه كل من هينل ومحمد افندي رفعت ، خلاصته ، انه عندما اخذ هينل يستفسر عن مسألة الاتفاقية ، وعن الاسباب التي ادت الى ابرامها ، كان رد الشيخ عليه بما يعني :

اولا :

ان خورشيد سيطر على ساحل الاحساء ، وهذه الجهات لها اهمية كبيرة بالنسبة للبحرين ، لتبادل التجارة معها ومع العرب .

ثانيا :

الاستفادة من مغاصات اللؤلؤ الواقعة بين البحرين والساحل الشرقي لشبه الجزيرة ، وكذلك الاستفادة من عرب المنطقة الذين لهم خبرة في الغوص لصيد اللؤلؤ .

ثالثا :

ان مصر لديها قوة عسكرية ، ليس في استطاعة البحرين مواجهتها .

رابعا :

سياسة محمد علي ، وسلوك الادارة المصرية في البلاد التي ارتبطت بمصر ، سياسة عادلة ، ولم يترتب عليها اي اثار ضارة بالاهالي .

خامسا :

ردد الشيخ عبدالله ، على مسامع (هينل) عدم استجابة الانجليز لمطالبه ، او حتى تقديم النصح اليه ، حين اخذ خورشيد يتطلع الى البحرين ، بعد سيطرته على الاحساء .

سادسا :

استخدم حاكم البحرين ، دبلوماسية ماهرة ، مع المقيم البريطاني ، تدل على حنكته السياسية ، وبعد نظره ، وتمسكه بوعده ، ومحافظته على العهد والميثاق ، كما ورد في المعاهدة ، فقال «ان صار محمد علي والانجليز اصدقاء فبجانب علاقته مع مصر ، طبقا للاتفاقية ، فان ذلك لا يمنع ان يكون صديقا للانجليز ، لكن اذا حدث عداء بينكم وبينهم - اي بين الانجليز وبين المصريين ، فانتم وهم ملوك[٧٦] .

وهنا نتساءل ، ما هو المغزى من

وراء « .. فانتم وهم ملوك » ، فهل هذا يعني ، انه اذا دخلت مصر حربا مع الانجليز في الخليج ، يقف حاكم البحرين على الحياد ، الامر الذي يتعارض تماما مع ما جاء في خطاب الشيخ عبدالله الى خورشيد ـ السابق ذكره ـ ويتضمن « .. على ان نحن نعادي من عاداكم ونوالي من والاكم وانتم كذلك[٧٧] . ام ان الشيخ كان يقصر ـ من وجهة نظره ـ (الاعداء) على ابناء الخليج فقط ، وهذا يخالف معنى النص كذلك ، لانه تعبير عام ، يشمل كل الاعداء ، سواء كانوا على المستوى المحلي او الاقليمي او الدولي في منطقة الخليج ، لكلا الطرفين اي لمصر والبحرين .

ونعتقد من مفهوم الاحداث وتحليلها ، ان شيوخ البحرين لم تغب عنهم هذه المسألة ، خاصة وان ظروفهم ، جعلتهم اكثر من غيرهم يقظة ، في ضرورة وضع حسابات للمستقبل ، كفيلة بالمحافظة على بلادهم .

وعلى ذلك يبدو ان الشيخ استخدم تعبير « .. فأنتم وهم ملوك » في مواجهة هينل ، ليذكره ان مصر قوية مثل الانجليز ، وفي امكانها مواجهتهم بمفردها ، حتى يكف عن المناقشة ، ويتركه وشأنه ، لانه ـ اي الشيخ ـ كان مصرا ومحافظا على الاتفاقية مع مصر[٧٨] .

ولكن «هينل» لم يترك الشيخ ، واخذ يحاصره بالدبلوماسية الانجليزية المعروفة ، وعاد فقدم اليه رسالة مكتوبة ، تتضمن ان ارتباطه مع مصر يخالف ما صرح به (محمد على) نفسه ، للقنصل البريطاني ، بأنه لن يتدخل في شئون بلاد العرب في الخليج ، ومن ناحية اخرى فان مسألة الاتفاقية في حد ذاتها تتعارض مع المعاهدة التي تمت بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية في ١٨٢٤[٧٩] .

ولما لاحظ المقيم البريطاني ، ان النقاش مع الشيخ ، زادت حدته ولم يتوصل منه الى الهدف المطلوب ، اخذ يجرب معه اسلوب الترغيب ، لعله يقتنع ويرفع يده عن التعاون مع مصر ، ويمزق المعاهدة المعقودة معها ، فعرض عليه ، ان يقدم له بعض الجنود ، كحرس خاص ـ للشيخ ـ يقيمون في قلعة البحرين ، وان ترابط سفينتان انجليزيتان امام الجزيرة ، للدفاع عنها ، ويقدم له حاكم عام الهند ، الحماية الكافية ، ولن يطلب منه اتاوة ولا رسوما جمركية لمدة خمسة وعشرين سنة ، ثم اشار «هينل» من خلال اسلوبه الناعم ، الى ضرورة فسخ الاتفاقية ، وتوسل الى الشيخ ان يمزقها ويتخلص منها[٨٠] .

فرد الشيخ عبدالله آل خليفة ، عليه بأسلوب ، يدل على عمق فهمه لما

يهدف اليه الانجليز ، فأعلن امامه ودون توقع من جانب المقيم ، اعترافه بصداقته وتعاونه مع مصر ، وفقا لشروط الاتفاقية[٨١] ، ورفضه التام لتمزيقها وقال له ، حقيقة ، انه سبق وطلب الحماية من الانجليز ، وكان يعني بذلك ، مساعدته عسكريا لمواجهة اعدائه ، دون التدخل في شئونه ، ولعل الشيخ ، كان يستند الى مضمون معاهدة السلام العامة في الخليج (١٨٢٠) .

ورغم ان شيخ البحرين لم يطلب من الانجليز ، ان يكون من رعاياهم ، فان الحكومة البريطانية ، على ما يبدو ، فسرت الطلب ، على انه نوع من الحماية الاستعمارية ، كما كانت تطبقها الدول الاوروبية ، على مستعمراتها في افريقيا واسيا ، ولما كانت انجلترا ، وقت ذلك الطلب ، على غير استعداد لتنفيذه ـ كما سبق ذكره ـ فان تصاعد القوة العربية الممثلة في الوجود المصري في شرق الجزيرة ، جعلها تتحرك بفاعلية ، وتنشط لوأد المعاهدة بين مصر والبحرين ، وتقطع خط الرجعة على خورشيد تجاه بلاد الخليج العربية الاخرى .

وقد اعاد حاكم البحرين القول للمقيم البريطاني ، انه وافق على الاتفاقية وشروطها ، عن اقتناع تام ، وبعد ان اطمأن على مصالح بلاده المشتركة مع بعض مناطق الاحساء ونجد ، حيث وجود قلعة ابنه الشيخ (مبارك) في الدمام ، فضلا عن اهمية موانىء القطيف والعقير للبحرين[٨٢] ، واخذ يوضح للمقيم ، انه رغم ان الاتفاقية ، ابرمت مؤخرا مع خورشيد ، الا ان الاتفاق عليها ، تم منذ وقت طويل ، ثم اعاد على مسامعه ، رفض السلطة الانجليزية ، ان تقدم له اي مساعدة ، او حتى نصيحة ، منذ ثلاثة شهور سابقة ، وكيف انه نجح في ان يجنب المنطقة اي اضطرابات ، بفضل حنكته السياسية ، وما كان يقدمه من تضحيات مالية ، الامر الذي انعكست آثاره الطيبة على مصالح الانجليز في الخليج[٨٣] .

وقد ترتب على اصرار الشيخ عبدالله على رفض فسخ الاتفاقية ، ان استفزه المقيم البريطاني ، وهدده بانه سيبلغ حكومة الهند بمضمون ذلك الحوار ، وعبر له ، بان تلك الحكومة لن تتحمل اي مسئولية ، اذا وقع ضرر عليه وعلى بلاده ، مما جعل الشيخ ، تأخذه حميته العربية وينفجر في وجه هينل ، قائلا :

«.. ان البحرين ملكنا ورثناه عن اجدادنا ، وليس بيننا شروط لان نكون رعية للسركار (الحاكم العام) ولم اظهر اي سبب لذلك غير الصداقة ، وليس للسركار ان يتعدى

الشيخ عبدالله بن أحمد يرفض وجود وكيل مصري فيستجيب خورشيد باشا

علينا ، فاما اذا كنتم تشرعون في الحرب قوة واقتدارا ، فاننا سنبذل كل وسعنا في سبيل حماية ملكنا واهلنا وعيالنا وديننا ، وليحصل بعد ذلك ما يحصل ..[٨٤] .

وازاء موقف الشيخ عبدالله الصلب ، سلمه المقيم البريطاني ، احتجاجا كتابيا ، على هذه الاتفاقية ، باعتبارها عملا معاديا لبريطانيا العظمى ، وارسلت نسخة ، تتضمن ذات الاحتجاج تقريبا الى خورشيد[٨٥] .

وقد صور (هينل) في تقريره الذي ارسله الى حكومة بومباي ، الموقف مع شيخ البحرين ، بان الشيخ ، استجاب للظروف الضاغطة عليه ، نظرا لعدائه مع «عيسى بن طريف» وتقدم القوات المصرية ، فكان والحالة هذه على استعداد أن يتصل بأي قوة اجنبية لمساعدته[٨٦] .

ثم اشار الى انطباعه الشخصي - اي هينل - قائلا ، انه اوضح للشيخ ان حكومة لندن ، ربما تعتبره ، يقوم بعمل عدائي ضد بريطانيا العظمى ، نتيجة علاقته مع مصر ، بجانب ان هذه العلاقة تتعارض مع روح المادة الاولى من معاهدة السلام العامة ، فاحتج حاكم البحرين عليه ، وقال انه لن يضع نفسه ابدا ضد مصالح الحكومة البريطانية ، حتى لو طلبت منه القوات المصرية ذلك[٨٧] .

ورغم ان هذا الرد ، يدل على ان حاكم البحرين ، كان يعتبر بلاده ، مع وجود الاتفاقية ، مستقلة تماما ، ويرفض ان تكون تحت وصاية اخرين ، فيشير هذا المقيم ، الى ان الشيخ عرض ان ينقض الاتفاقية مع مصر ، اذا قدمت اليه السلطات الانجليزية وعدا صريحا واضحا بحمايته ، وبان يصبح تابعا للحكومة البريطانية ، ويضيف «هينل» على لسان الشيخ ، انه ينتظر نتائج

الاشتباكات الدائرة بين قوات محمد علي والسلطان العثماني في الشام ، فاذا حدث وانهارت القوات المصرية هناك ، فانه سيقف هو وغيره من المشايخ العرب ضد خورشيد باشا ، لان القوات المصرية في شرق الجزيرة العربية ، تفتقر الى العاطفة الشعبية من جانب القبائل(٨٨) .

والواقع ان ما جاء في تقرير «هينل» يحتاج الى وقفة ، لانه يتناقض مع موقف الشيخ المتشدد ، ورفضه الغاء الاتفاقية ، كما ذكره «هينل» نفسه ، وما اوردته الوثائق الرسمية المصرية ، يتعارض مع وجهة نظره ، وما اشار اليه على لسان الشيخ ، ولا ندرى لماذا هذا التضارب في اقوال المقيم البريطاني ، ولعله كان يريد اشباع حاجة في نفس يعقوب» .

فاذا تعمقنا في تحليل الوثائق المصرية ، نرى ان حاكم البحرين ، لم يكن على استعداد، مهما كانت الظروف ـ وقتذاك ـ ان تصير بلاده تابعة للحكومة البريطانية ، لأنه لم ينس صداقتها لسلطان مسقط وشيخ ابوظبي اللذين كانت لهما تطلعات نحو البحرين(٨٩) كما ان الشيخ كان لايزال يرى ان الوجود المصري صامد وقوي في الخليج ، وان علاقته مع خورشيد ، لم تشبها اية شائبة(٩٠) ، ولعله ـ اي الشيخ ـ كان يتطلع الى أن تكون هناك صداقة ـ لا اكثر ـ بينه وبين الانجليز ، لا تتعارض مع استقلال بلاده ، ومن ثم تستفيد البحرين من كلا الطرفين» .

ويبدو ان الذي دفع (هينل) الى ذكر تلك المعلومات ، هو شعوره بفشل مهمته والتي تنحصر ـ اساسا ـ في تمزيق الاتفاقية مع مصر ، فصار يتخبط في ارائه التي ضمنها تقاريره من ناحية ، وصار يحقد بمرارة على الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة من ناحية اخرى .

فمثلا حين عاد من البحرين ، انتهز فرصة لقائه مع السلطان سعيد ، لعقد معاهدة بين مسقط وبين الحكومة الانجليزية (٣١ مايو ١٨٣٩) فأراد ان يشفي غليله من حاكم البحرين ، فأخذ يشجع سلطان مسقط ، على غزو البحرين ، وضمها الى سلطنته ، وعندما وصلت تلك الاخبار الى حكومة لندن ، خشيت من تطور الامور في الخليج ، فأنذرت السلطان بعدم اتخاذ اي اجراء قبل ان توافق عليه في الوقت المناسب(٩١) .

ثم اخذ يثير حكومة الهند ، ويحملها المسئولية ، لتقاعسها ، حين طلب شيخ البحرين منها المساعدة ، مما جعله يتقرب الى المصرين ، ويرى انه كان في الامكان ضمها الى دائرة النفوذ البريطاني ، اذا قدمت المساعدات والحماية الكافية لها(٩٢) ، دون ان يقوم الشيخ ببذل اي

مجهود ، نظرا لكبر سنه ، وعدم توافر الظروف التي تساعد على راحته الشخصية (٩٣) .

ومما يدل ايضا على عدم صدق اراء المقيم البريطاني ، او على الاقل بعدها عن الحقيقة ، ان حاكم البحرين ، ارسل عقب زيارة هذا المقيم ، الى خورشيد ليبلغه بما دار من حوار بينهما .

على اية حال، صارت انجلترا، بعد عقد الاتفاقية، وفشل المقيم البريطانى فى الضغط على حاكم البحرين، لالغائها، تشدد من موقفها فى الخليج، فقد خشيت، ان تشكل مصر قوة بحرية عربية فى مياه الخليج، واخذت تتحسب من ان تتوسع، وتصير قوة عربية اسلامية، بانضمام قوة الفرس اليها، بصورة او بأخرى، خاصة وان محمد على، كان فى كثير من الاحيان، يدعو فى خطاباته الى الوحدة الاخوية بين المسلمين، كما حدث، حين القى خطابه فى ٧ يوليو ١٨٣٩، عندما ابحر الاسطول العثمانى، بقيادة احمد باشا فوزى، من البسفور الى الاسكندرية، ليضع نفسه تحت تصرف محمد على (٩٤).

فرأت انجلترا، انه اذا حدث وسيطرت مصر على مياه الخليج اضافة الى انها كانت فى ذلك الوقت تشرف على البحر الاحمر فسوف تصبح المصالح الانجليزية فى الخليج، بل وفى الهند، تحت رحمة هذه القوة الجديدة، لوقوع طرق المواصلات، الى الشرق تحت سيطرتها، ومن الممكن ان يؤدى ذلك الى قلب ميزان القوى فى المشرق العربى (٩٥).

وقد اجرت دوائر الحكومة البريطانية، دراسات دقيقة، حول هذه القضية، انتهت الى توصية، وهى ضرورة ان تضغط انجلترا، على مصر محمد على، وان تتخذ من مسألة نزاعه مع السلطان العثمانى، اداة، لتحجيمه وتحجيمها، وابعادها عن عالمها العربى، فكان اقتراب مصر من الخليج، وعقدها الاتفاقية مع البحرين، وتطلعها الى البصرة هى ساعة الصفر، للتحرك بفاعلية قوية، ومحاصرة حاكم مصر، واعلان الحرب الباردة عليه بشكل سافر.

فرأى محمد على، امام هذه الظروف، ان يزيد من اقترابه الى فرنسا، ويشجعها على تردد السفن الفرنسية باستمرار على منطقة البحر الاحمر، خاصة بعد انشاء الخط الملاحى المنتظم للسفن التجارية من مرسيليا الى الاسكندرية، وكان يهدف من وراء ذلك، الى ان تقف ـ فرنسا ـ معه ضد مشروعات انجلترا المعادية له.

وكان فى ذات الوقت يدرك، ان منطقة الخليج لها من الحساسية والاهمية بمكان، بالنسبة لانجلترا،

وطرق مواصلات الامبراطورية الى الهند، [٩٦]. اكثر من غيرها من البلاد، التى انضوت تحت حكمه، من برقه فى الغرب الى العراق، ومن سوريا فى الشمال، الى غندوكرو شمال خط الاستواء فى السودان. فبات الرجل فى ورطة بسبب عداء انجلترا لمشروعاته العربية الوحدوية.

ورأى ان الحكمة تقضى عليه، والحالة هذه، ان يجمد علاقات مصر مع البحرين، حتى لا يتيح الفرصة لانجلترا، لأن تحتلها، كما حدث واحتلت عدن بالقـوة العسكريـة، وارسلت سفنها الحربية الى البصرة، لاشعار مصر بالقوة الانجليزية فى الخليج، خاصة وان لغة القنصل البريطانى فى الاسكندرية صار يغلب عليها، طابع الضغط المغلف بالتهديد، ففى مقابلة معه، اكد له، بان الحكومة البريطانية، لن تسمح له بان يسيطر علي البحرين، بحجة انها لا تكون جزءا من شبة الجزيرة العربية [٩٧].

فارسل محمد على، الى خورشيد، يأمره بوقف الاتفاقية، وان يتصرف الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة فى شئون بلاده بنفسه، ويبدو، ان صورة من هـذه التعليمات، ارسلت الى الحكومة الانجليزية، التى ارسلت نسخـة منها الى المقيم السيـاسى البريطانى فى الخليج،

حدث ذلك فى وقت كان فيه (محمد افندى رفعت) حاكم الاحساء يقوم برحلة فى الخليج، ونزل الى البحرين، وتقابل مع شيخها، الذى شرح له الحوار الذى دار بينه وبين المقيم البريطانى (هينل) - وعبر عن تأكيده له بثباته على العهد، ومحافظته على الاتفاقية، وقد كتب حاكم الاحساء الى خورشيد باشا، بمضمون هذا الحوار.

وقام خورشيد بدوره بالكتابة الى حكومة القاهرة، مـوضحا مـوقف الانجليز تجاه القوات المصرية، وكيف انهم يسعون للسيطرة على الموانىء العربية فى الخليج، بعد ان فشلوا فى السيطرة على الموانىء الفارسية، ونوه خورشيد الى موقف روسيا المؤيد للفرس ضد الانجليز، ثم ضغط على مسألة البحرين، فقال ان هذه الجزيرة مهمة جدا للوجود المصرى على ساحل الاحساء، وان انجلترا اذا استولت عليها، فسوف تتحول الى قاعـدة انجليزية، لخدمة قواتها فى الخليج، وهذا الامر له خطورته، فقد تصير قاعدة البحرين، مشابهة لقاعدة مالطة الانجليزية فى البحر المتوسط [٩٨].

والواقع ان تقرير خورشيد، رسم صورة واضحة وصادقة، للموقف بـالنسبة للبحـرين، حيث ضمنـه التحذيرات الكافية، وكـان تشبيه البحرين بجزيرة مالطة، على غاية من دقة التصوير، فالمعروف ان مالطة، بسبب موقعها الاستراتيجي فى الجزء

الشرقى من حوض البحر المتوسط كانت محطة انطلاق هامة للقوات البريطانية، تجاه أعداء الانجليز فى المنطقة، [٩٩] وان البحرين اذا تحولت الى قاعدة عسكرية، من الممكن ان تصير مركزا للانتشار العسكرى السريع الى كل بلاد الخليج، بحكم موقعها فى قلبه.

على اية حال، كانت صورة تعليمات محمد على الى خورشيد، التى ارسلتها الحكومة البريطانية الى المقيم السياسى العام فى الخليج، فرصة استغلتها السلطة الانجليزية فى المنطقة،فقد اعلن (هينل)، ان مصر الغت الاتفاقية المبرمة مع الشيخ عبدالله بن احمد، وان البحرين اصبحت تابعة لانجلترا.

وعندما سمع حاكم البحرين بهذه الاخبار، سيطرت عليه موجة من الغضب، ولكنه قبل ان يتخذ اى موقف مضاد، رأى ان يتأكد اولا من الحقيقة، فارسل الى خورشيد يستوضح منه المسألة ومدى صحتها [١٠٠].

ويبدو ان تعليمات محمد على الى خورشيد، وصلت الى (هينل) عن طريق حكومته، قبل ان تصل الى خورشيد فى شرق الجزيرة العربية من القاهرة، فأوفد هو الاخر من جانبه، الشيخ (شافعى) شيخ قبيلة (بنى هاجر) الى البحرين، للتحقق من تلك الاخبار، ومعرفة موقف الشيخ عبدالله، وعاد الشيخ شافعى الى خورشيد، حيث نقل له عن لسان حاكم البحرين قوله، (... ما دمت على قيد الحياة، فانى لا استسلم للانجليز، وانهم منذ ثلاثين سنة، وهم يحتالون علينا، وسأبذل جميع مالى وقوتى، وقد بلغت اخر العمر، فلان نموت جميعا اولى من ان نكون رعية للكفار، وافضل شىء وأشرفه ان لا نرى ذلك اليوم.. [١٠١]

وعندما وصلت تعليمات محمد على الى خورشيد، صار يقارن بينها وبين موقف الشيخ عبدالله، وموقف القوى المتنافسة فى الخليج، خاصة انجلترا، تجاه البحرين، اذا رفعت مصر يدها، والغت المعاهدة من جانبها فقط، فضغط فى تقريره، على انه اذا كانت حكومة القاهرة ترى ابطال الاتفاقية، فيجب على حكومة محمد على، ان تمنع وقوع البحرين تحت سيطرة الانجليز [١٠٢]

ويبدو ان زهوة النصر، الذى حققه خورشيد فى الجزيرة العربية، وتدخله فى الخليج دون صعوبة كبيرة، من القوى المتنافسة فى المنطقة، جعله لا ينظر الى قضية محمد على - ككل - وانما نظر وركز جهوده فى الزاوية التى كلف بها، واعنى بذلك، شرق الجزيرة وبلاد الخليج العربية.

فخشى خورشيد من ضياع ثمرة انتصاراته بهذه السرعة وبتلك البساطة، وربما جال بفكره، ان الغاء

علاقات مصر مع البحرين، من المحتمل ان يؤدى الى فشل مشروع محاولة تكوين الوحدة الاقليمية العربية فى الخليج، خاصة وان حكومة القاهرة، صارت تتراخى فى امداده بالمساعدات المطلوبة،.

فى الواقع لا نستبعد ان يكون خورشيد، فكر فى تلك المسألة، بعد تلك التطورات، بسبب مشاكل محمد على مع حكومة الباب العالى، وبسبب تشدد الحكومة البريطانية وضغوطها ضد حاكم مصر، وقد شعر هو شخصيا - خورشيد - باثار تلك الضغوط فى الخليج.

والواقع ان الحكومة البريطانية، رأت ان نجاح مشروعاتها فى الخليج، والمحافظة على نفوذها وتأمين طرق مواصلاتها الى الهند، يتطلب منها على الاقل، إبعاد مصر من الخليج، فلما صارت الدولة العثمانية مكشوفة امام محمد على، وبعد ان سلم اسطولها نفسه له فى الاسكندرية، بحجة ان استانبول اصبحت فى ركاب دولة مسيحية وهى روسيا، وكان السلطان محمود الثانى، قد توفاه الله فى ٢٩ يونيو ١٨٣٩، وحل محله السلطان عبدالمجيد، وقد قررت حكومة السلطان الجديد، ان تحسم الموقف مع حاكم مصر، حقنا لدماء المسلمين ومنعا للتدخل الاجنبي، وابدى خسرو باشا، الصدر الاعظم، استعداده لاجابة مطالبه، غضبت انجلترا، ورأت ان هذا الاجراء يزيد من قوة محمد على، وتطلبت سياستها ان تضرب مصر العربية الصاعدة فى شخصه، تضربه بالسلطان العثمانى نفسه، وبمعنى اخر، تضرب العرب بالأتراك، او المسلمين بالمسلمين، حتى تقضى على اخطر قوة عربية اسلامية وقتذاك، وليكون ذلك عبرة لمن يفكر من العرب او المسلمين فى محاولة تكوين دولة متحدة ذات قوة، كما نعالجه بعد قليل،

اهتمامات مصر ببلاد الخليج العربية الاخرى:

أ - جنوب البحرين:

لم تقتصر اهتمامات خورشيد على البحرين فقط، وانما نظر منها الى البلاد العربية التى تقع الى جنوبها وشمالها فى ان واحد، بهدف ان يدمجها مع سواحل الاحساء، ويشكل منها اقليما سياسيا واحدا، يرتبط مع الدولة الحديثة بصورة او بأخرى.

فبعد ان استقرت الاحوال للادارة المصرية فى نجد والاحساء، التحق (سعد بن مطلق المطيرى) بخدمة خورشيد، وكان قد عزله الامير (فيصل آل سعود) عن البريمى قبل نهاية حكمه، وبعد ان استأنس به خورشيد وعرف ان لديه خبرة واسعة بهذه الجهات، زوده بالكتب اللازمة، وفوضه بان يسير الى امارات الساحل العمانى،

لكي ينشيء علاقات مع شيوخها.[١٠٣]

وقد وصل سعد بن مطلق الى الشارقة في مارس ١٨٣٩، واستقبله الشيخ (سلطان بن صقر) القاسمي، استقبالا طيبا، وانزله في منزل خاص يستريح فيه، وقد تمكن ابن مطلق، ان يقنع الشيخ سلطان، بأن يتعاون معه في اطار دولة مصر محمد على الحديثة..[١٠٤]

من ذلك المنزل، اخذ سعد بن مطلق، يرسل كتبه الى شيوخ الساحل. بصفته مبعوثا من خورشيد، لتكوين علاقات، مع الادارة المصرية في الاحساء، وفي ذلك الوقت ارسل مبعوثا من طرفه الى (بنى نعيم) الذين كانوا يحتلون واحة البريمي بعد ان حاربوا (احمد بن يحيى) عامل الامير فيصل.[١٠٥] وكانوا يجدون التأييد من (حمود بن عزان) حاكم صحار، وقد طلب منهم ابن مطلق، تسليم الواحة له، وهذا يعني، سلبهم سلطتهم على الواحة، فعبروا، لمبعوث ابن مطلق، عن رفضهم التام، بسبب بغضهم الشديد لسعد نفسه، لانه كان قد اساء في السابق معاملة اهل البريمي والظاهرة، وحملهم مسئولية مقتل أبيه في عهد الدولة السعودية الاولى.[١٠٦]

وقال (بنو نعيم) لمبعوث ابن مطلق، انهم يؤثرون ان يدفنوا احياء تحت انقاض بيوتهم، على تسليم الواحة له، واخذو يتطلعون الى المساعدة من بعض القبائل المناوئة لمبعوث خورشيد..[١٠٧]

ورغم المضايقات من جانب (بنى نعيم) وبعض القبائل الاخرى، فقد تمكن سعد بن مطلق، بعد ان اعلن انه وكيل خورشيد باشا، ان ينجح في كسب الشيخ (خليفة بن شخبوط) شيخ ابوظبى، الذى عبر له عن تأييده ومساعدته ماديا[١٠٨].

ولكن يبدو ان سعد بن مطلق، لم يعتمد عليه كثيرا، لاعتقاده، انه لن يستطيع ان يلعب الدور المطلوب في مد جسور التعاون مع بقية الشيوخ، او ان يفرض الامر بالقوة، خاصة على بنى نعيم في البريمي.

وكان قد حدث في ذلك الوقت، ان الاسطول البريطاني، بقيادة الاميرال (ميتلاند) يقوم بجولة امام الساحل العماني، وكانت فرصة لتشويه حقيقة الوجود المصرى في الخليج، فنزل احد المسئولين الانجليز الى الساحل، وصار يحرض الشيوخ ضد وكيل خورشيد، ويعدهم بالمساعدات، وقد وعده الشيوخ بمقاومة سعد بن مطلق، ولكن بمجرد رحيل الاسطول البريطاني من مياه الساحل، كان شيوخ الشارقة وابوظبى، يتسابقون في التقرب الى وكيل خورشيد، ويعبرون عن رغبتهم في ايجاد علاقات وتعاون مع الادارة المصرية[١٠٩].

هذا التصرف من قبل الشيوخ، يدل

على ان بلاد الخليج العربية، كانت مغلوبة على امرها ـ وقتذاك ـ بسبب القوة الانجليزية، التى كانت تعربد فى تلك البلاد، وفى قرارة نفسها، تتطلع الى وجود قوة عربية، تخلصها من التدخل الانجليزى فى شئونها.

والمدهش حقا، ان ميتلاند، يضمن تقريره الى حكومة بومباى قوله (انه لما يحز فى النفس، ان ارى زعماء القبائل غير مدركين (للخطر) الذى يداهمهم، وانهم رغم المخاطر، التى يتعرضون لها، فانهم لم يتخذوا اية خطوة لمواجهتها. (١١٠).

عمان:

بعد ان شعر ابن مطلق، بتأييد معظم الشيوخ له فى الساحل العمانى، اخبر خورشيد بذلك، الذى رأى ان الوقت قد حان، بغض النظر، عن مسألة واحة البريمى، لتنضم عمان الى دولة محمد على،

وكانت العلاقات بين حاكم مصر وسلطان مسقط ودية، وان كان مشروع تكوين الدولة الحديثة، يحتاج ان تكون عمان، ضمن هذه الدولة، التى بدون شك، تستفيد من موانيها، خاصة ميناء مسقط الذى يتحكم فى مداخل الخليج.

وكان هذا الامر يتعارض على طول الخط، مع طموح السلطان سعيد، الذى كان يتوسع فى الجناح الاخر من سلطنته فى شرق افريقيا. (١١١).

ويبدو ان خورشيد تصور ان السلطان يضع ثقله فى زنجبار (١١٢). وان حالة عمان بوضعها الراهن ـ وقتذاك ـ من المستطاع ضمها الى دولة مصر الحديثة، وقد كتب خورشيد الى القاهرة، بان عمان تنقسم الى ثلاثة اقسام، احدها يخضع للسلطان سعيد، والثانى يخضع لحمود بن عزان، والثالث من الظاهرة يتبع الموحدين (١١٣).

وعلى ضوء ذلك ارسل سعد بن مطلق، مبعوثا من طرفه فى الاسبوع الاول من يونيو ١٨٣٩، حاملا رسائله ورسائل من خورشيد، موجهة الى (هلال وثوينى) ولدى السلطان سعيد، الذى كان فى زنجبار فى تلك الفترة، تتضمن طلب تقديم العون والمساعدة للقوات المصرية، ودفع الزكاة، وكان من بين تلك الرسائل، رسالة من طرف الامير (خالد بن سعود) يطلب من الاخوين، السمع والطاعة لسعد بن مطلق، والاستجابة لمطالبة، واعادة دفع الزكاة، التى كانت تدفع للموحدين سابقا (١١٤).

وحين علم السلطان سعيد بكتاب خالد بن سعود، المرسل الى ولديه، ارسل الى محمد على بالقاهرة، بما يتضمن نوعا من العتاب الاخوى، ويفيده انه سيذهب الى مسقط بعد شهر رمضان، وانه على استعداد

لتلبية احتياجات محمد على من تلك الجهات (١١٥).

وان كان السيد سعيد، حين عاد من زنجبار، ووقف على تلك التطورات التى ترتبت على وجود سعد بن مطلق المطيرى بصفة اساسية، اخذ يشجع بنى نعيم فى واحة البريمى، ويحثهم على عدم الخضوع لابن المطيرى، وان يتمسكوا باستقلالهم، (١١٦) رغم العداء الذى كان بينه وبينهم، لوقوفهم مع الشيخ حمود بن عزان حاكم صحار، اثناء نزاعه معه (١١٧).

ويبدو ان السيد سعيد، رغم حرصه الشديد، على استمرارية العلاقات الودية مع محمد على، الا انه كان فى ذات الوقت، يحرص ايضا، على هوية سلطنته كدولة مستقلة من ناحية، بل وتطلعه الى توسيع رقعتها فى الخليج وشرق افريقيا من ناحية اخرى (١١٨).

ب ـ شمال البحرين:

لم يقتصر النشاط المصرى على البلاد العربية التى تقع الى الجنوب من البحرين، وانما شمل البلاد التى تقع الى الشمال منها، واقصد بذلك الكويت والبصرة، لشراء الغلال ومواد التموين والحصول على تأييد شيوخها ومساعدتهم للقوات المصرية فى شرق الجزيرة العربية(١١٩).

الكويت:

يلاحظ ان سمة نشاط خورشيد فى الخليج العربى كانت تختلف من بلد الى اخر، فمثلا كانت بالنسبة للبحرين، تنحصر فى المراسلات والمباحثات، والتى انتهت بالاتفاقية، وبالنسبة لامارات الساحل المهادن، وسلطنة عمان، انحصرت فى المراسلات مع وجود القوة العسكرية، الممثلة فى سعد بن مطلق، اما بالنسبة للكويت، فقد اختلفت سمة العلاقات بينها وبين خورشيد عن البلاد العربية السابق ذكرها.

فقد كان اتصال خورشيد بشيخ الكويت فى بداية الامر، يدور حول المساعدة فى الحصول على الغلال من شط العرب وفارس، لحاجة القوات المصرية اليها، ولكن يبدو ان الشيخ (جابر آل صباح) كان يتتبع نشاطات محمد على فى الجزيرة العربية وسوريا وغيرها من البلاد التى صارت فى حوزته، وكان الشيخ فى الوقت نفسه لا يرتاح للدولة العثمانية المتهالكه ولا لسياستها فى شرق الجزيرة العربية ومن ثم كان يلقى مبعوث خورشيد، كل الترحيب من جانب حاكم الكويت، وصارت مكانته تفوق مكانة اى شخص اخر فى المجلس الاميرى فى الكويت.

ولعل خورشيد، رأى والحالة هذه، انه لا داعى لابرام اتفاقية رسمية مع

الشيخ، طالما انه من تلقاء نفسه، لا يدخر وسعا فى تقديم المساعدات المكنة للقوات المصرية، وان كان الدكتور احمد مصطفى ابو حاكمه يشير فى هذه المسألة، الى أن الكويت كانت مستقلة، ولم تكن لديها موارد اقتصادية غنية، مثل غيرها، ولم تدفع الزكاة للموحدين، ومن ثم لم يكن فى استطاعة محمد على المطالبة بها [١٢٠]

ورغم ان التفسير منطقى ومعقول، الا اننا نرى ان الاهم من ذلك هو سياسة محمد على، التى كانت تسير على ضم البلاد العربية وتوحيدها فى دولة حديثة، بالحسنى والتفاهم، او اخضاعها بالقوة، اذا تطلبت الضرورة، والدليل على ذلك:

١ - حين تطلع خورشيد الى البحرين، لايجاد علاقات معها، لم يستجب حاكمها فى بداية الامر بسرعة، فاستخدم خورشيد معه أسلوب الحوار والمناقشات، ومن ثم كانت الاتفاقية السابق ذكرها.

٢ - عبر حاكم الكويت عن تعاونه منذ البداية، ودون ضغط عليه، فمثلا حين هربت كتيبة عثمانية من البصرة الى الكويت فى طريقها للانضمام الى قوات خورشيد، وطلب والى العراق من شيخ الكويت، القبض عليها، واعادتها الى البصرة بالقوة، لم يهتم الشيخ جابر آل صباح، بطلب والى العراق، وسهل امر وصولها الى الاحساء، وذلك بصحبة قافلة الغلال المرسلة من الكويت الى خورشيد [١٢١] ومن ناحية اخرى، كانت تطلعات الانجليز فى الخليج، الى الكويت، اقل من تطلعاتهم بكثير بالنسبة للبحرين، وعلى ضوء ذلك، لم يجد خورشيد ما يتطلب ابرام معاهدة رسمية بين الطرفين.

٣ - رفض حاكم الكويت نفسه، ان تصير بلاده تحت سيطرة الانجليز، حين ارادوا ان يتخذوا منها، مركزا عسكريا وبحريا فى الخليج [١٢٢] وقد ترتب علي تلك المسألة بالذات، ارتياح لدى الدوائر المصرية وتقدير لشيخ الكويت.

٤ - لا نستبعد ان يكون خورشيد الذى صار يتطلع الى البصرة قد جال بفكره، انه اذا تمكن وحقق هدفه فى البصرة، فتصبح الكويت بينها وبين الاحساء، ومن ثم ترتبط تلك المشيخة، برغبة حاكمها، بصورة او بأخرى بالدولة الحديثة.

البصرة

كانت ظروف العراق تمر بتطورات لصالح محمد على، فبعد موقعة (نزيب) (يونيو ١٨٣٩) صارت حدود العراق مفتوحة امام القوات المصرية، بقيادة ابراهيم باشا فى الجبهة السورية، كما صارت الجهات الجنوبية فى متناول قوات خورشيد فى شرق الجزيرة العربية، فقد كانت تلك الجهات، تشهد

حركة تذمر ضد الحكومة العثمانية، شملت العسكريين والمدنيين على حد سواء، فقد سبق واشرنا الى ان كتيبة عثمانية من جيش الدولة، هربت واستقلت سفنا كويتية لتنضم الى القوات المصرية، الامر الذى شجع خورشيد، ورأى ان الفرصة مواتية لدخول البصرة، خاصة وانه كان على علاقة طيبة مع حاكم الكويت، ويبدو ان خورشيد، كان يتطلع الى مزيد من التعاون من جانب الكويت، وذلك بان يمده حاكم الكويت، بقوات من جانبه، لمساعدة القوات المصرية، فى انتزاع البصرة من الدولة العثمانية وضمها الى الدولة الحديثة (١٢٣).

والاهم من كل ذلك، هو تعاطف سكان جنوب العراق امثال عشائر المنتفك وأهل البصرة والزبير، وتقبلهم لحكومة محمد على، (١٢٤) **وعجز الباب العالى عن ارسال قوات نظامية لمؤازرة (على رضا) والى العراق، ولتتمركز تلك القوات فى جنوب العراق، لتثبيت الوجود العثمانى فى البصرة وما حولها** (١٢٥).

وقد كتب خورشيد الى حكومة القاهرة، لافادتها عن الموقف فى جنوب العراق، وانه ينتظر التعليمات لتوجيه القوات الى تلك الجهات، ويقول (... ان هذا ملكا عظيما، يضاهى ملك مصر، وهو الان كالحسام الجوهر، الذى سقط فى (جفين)، فبحسب ظنى ان اخذه واجب، ويطلب امداده بالاموال (كم الف كيس) من المحروسة، والفين من الخياله، وبعض عساكر الجهادية (١٢٦).

موقف ايران:

نعتقد ان ايران كانت لا تمانع فى ذلك الوقت فى ان تسيطر مصر على البصرة لاسباب منها:

١ ـ الانتقام من (على رضا) والى العراق، الذى استولى على المحمرة فى عام ١٨٣٧، على اثر الاشتباك الذى وقع بين الايرانيين والانجليز فى افغانستان (١٢٧).

٢ ـ ترتب على رفع محمد على لشعار الوحدة الاخوية بين المسلمين ـ فى بعض الاحيان ـ ان اطمأن شاه ايران الى جانبه (١٢٨).

٣ ـ العداء المشترك بين مصر وايران ضد بريطانيا والدولة العثمانية.

٤ ـ لم تغب عن شاه ايران، ان القوة الاسلامية الكبرى فى تلك الفترة، كانت تتمثل فى مصر، التى صار لها وجود فعلى وفعال فى الخليج.

٥ ـ كان الشاه يرى انه اذا تحقق تحالف اسلامى مع مصر، من الممكن ان يتخلص الخليـج من النفـوذ الانجليزى، فأرسل الى محمد على، يقول له (... وانه اذا اقتضت المصلحة بمطالبتنا باى تعضيد، ومظاهرة فاننا

مستعدون لادائها [١٢٩].

خروج انجلترا عن سياستها التقليدية:

ترتب على امتداد علاقات مصر ببلاد الخليج العربية - بصورة او بأخرى - ان خرجت انجلترا عن سياستها التقليدية، كما فعلت بالنسبة لاتفاقية التعاون بين مصر والبحرين، فاخذت تزيد من ضغوطها ضد محمد على فى داخل بلاد الخليج وخارجها، فقد وصل بها الامر الى الاقتناع، بأن نفوذها، سيعانى من ضربة قوية، اذا اقام المصريون لهم قاعدة دائمة فى شرق الجزيرة العربية [١٣٠].

وقد لعب (هينل) المقيم العام البريطانى فى الخليج، دورا كانت له تأثيراته الفعالة فى المنطقة ضد الوجود المصرى.

فكان على اثر سماعه بذهاب (سعد بن مطلق المطيرى) الى الشارقة، أن قام بنفسه برحلة الى موانىء الخليج العربية، خلال الاسبوع الاول من يوليو ١٨٣٩، وصار يستخدم سياسة التفرقة والتحريض ضده، فتقابل مع الشيخ (سلطان بن صقر القاسمى) الذى كان يؤيد ويستضيف ابن مطلق، واخذ يهدده تارة ويغريه تارة اخرى بامداده بالمال والسلاح، اذا رفع يده عن وكيل خورشيد، [١٣١] وانذره بان كل واحد من شيوخ الساحل الذين وقعوا على اتفاقية عام ١٨٢٠، ينشىء علاقات مع خورشيد، لن يلوم الا نفسه [١٣٢] وأمام ضغط وتهديد المقيم البريطانى، اخذ كل واحد من هؤلاء الشيوخ، يلقى تهمة التعاون مع سعد بن مطلق، على غيره، واخيرا نجح (هينل) فى عمل معاهدة سلام بينهم، بعد مناقشات حادة وعنيفة [١٣٣] وفى ذات الوقت حصل - اى هينل - على تعهدات مكتوبة من شيوخ ابو ظبى ودبى وعجمان، بقطع اى علاقات مع خورشيد، والتعاون مع الانجليز، فى صد ومقاومة القوات المصرية ضد بلادهم، كما تعهد الشيخ سلطان بن صقر، بانه لن يتصل بمحمد على او احد معاونيه، او باى قوة اجنبية، بدون علم واذن الحكومة الانجليزية، ويعتبر اعداءها، أعداءه فى مقابل مساعدته بالسلاح والذخيرة، اذا هو هوجم من اى عدو له [١٣٤].

ثم ارسل هينل الى (بنى نعيم) فى البريمى ، يحثهم على الصمود فى موقفهم ضد السياسة المصرية، [١٣٥] ويعدهم بالمساعدة بالسلاح فى حالة الضرورة [١٣٦]

وكانت السلطات الانجليزية، تعول كثيرا على صداقتها مع سلطان مسقط، ومن ثم اخذت تحثه على ان يكون على استعداد لصد القوات المصرية فى الخليج [١٣٧]، خاصة بعد ان علمت برسائل خورشيد وسعد بن مطلق

المرسلة الى ولديه (هلال وثوينى) - السابق ذكرها - ورأت:-

١ - ان الضرورة تحتم عليها الاستمرار فى التفرقة بين سلطان مسقط وبين محمد على، حتى لا يتم تقارب بين مسقط والقاهرة.(١٣٨)

٢ - ان تصلح ما بين السلطان سعيد والشيخ حمود بن عزان حاكم صحار، للوقوف معا، لمواجهة القوات المصرية، خاصة فيما يتعلق بواحة البريمى (١٣٩)

٣ - ان يرسل (هينل) رسالة الى خورشيد يحتج فيها، على تطلع (سعد بن مطلق) الى واحة البريمى، حتى لا يتعكر جو الصداقة بين مصر وبريطانيا.

٤ - ان يطلب (هينل) من خورشيد، استدعاء، سعد بن مطلق، حيث نهب جزيرة (قيس) واستولى من سكانها على اربعمائة رأس من الغنم وبعض الاموال، وتجميد نشاط المصريين فى تلك الجهات، انتظارا لوصول تعليمات من حكومات لندن والقاهرة حول تلك الامور(١٤٠).

٥ - افادة خورشيد، ان طلب (بنى نعيم) بخصوص وضع انفسهم تحت الحماية الانجليزية، قد حظى بالقبول من جانب حكومة لندن، (١٤١) ومن ثم صاروا فى ظل الحماية البريطانية (١٤٢).

ويتساءل الباحث، لماذا هذا التحول المفاجيء من جانب هؤلاء الشيوخ وموافقتهم على الارتباط مع السلطة الانجليزية، ضد الوجود المصرى فى الخليج هل السبب فى شخص (سعد بن مطلق) كوكيل لخورشيد فى تلك الجهات، كما يقال لتمتعه برصيد كبير من الكراهية، لقسوته مع القبائل حين كان نائبا عن الموحدين فى تلك الجهات، (١٤٣) ام ان هناك سببا او اسبابا اخرى.

المعروف تاريخيا، ان انجلترا صارت منذ بداية القرن العشرين، تهتم بمنطقة الخليج سياسيا، بجانب اهتمامها الاقتصادى الذى كان فى المحل الاول، وكانت تنظر الى اى تقارب عربى فى المنطقة، يتم بدون رغبتها، على انه عمل موجه ضد مصالحها، ومن ثم لم تدخر وسعا فى تحطيم وتفتيت مثل هذا التقارب.

وكان عرب القواسم بصفة خاصة بمثابة غصة فى حلق الوجود الانجليزى وكانوا يتوقون الى تجديد واحياء قوتهم البحرية، ويبدو انهم رأوا فى القوات المصرية، خير ما يساعدهم على تحقيق رغبتهم، بعد غياب قوة الموحدين، ليثأروا من الوجود الانجليزى.

وعندما حدث تقارب بين شيخ الشارقة ووكيل خورشيد، الامر الذى يدل على ان محاولات تجميع البلاد العربية فى الخليج، كانت تسير فى طريق

الوحدة الاقليمية، فى اطار الدولة الحديثة، اسرع الانجليز لاجهاض هذه المحاولات، وقد ساعد انجلترا فى ذلك عدة عوامل ، لعل اهمها ما يلى:

١ - عدم وجود قوة مصرية كافية تساند مشايخ الامارات العربية.

٢ - لم يكن المشايخ على استعداد عسكرى، لمواجهة الانجليز، خاصة بعد تدمير قوة العرب البحرية الممثلة فى اسطول القواسم عام ١٨١٩.

٣ - عدم اطمئنان المشايخ بعضهم لبعض، وقد استثمر المقيم العام البريطانى هذه المسألة بالذات لصالح الوجود الانجليزى [١٤٤].

٤ - تلويح انجلترا باستخدام القوة العسكرية تارة، وبتقديم وعودها بالمساعدة اللازمة لصد القوات المصرية تارة اخرى، كما كان يحدث مع سلطان مسقط على سبيل المثال [١٤٥].

٥ - تحذيرات السلطة البريطانية فى الخليج، من اى توسع مصرى، على حساب عمان او ما جاورها وانه، سيواجه بالقوة العسكرية [١٤٦].

٦ - ترتب على هذه التحذيرات المتكررة، ان صار بعض المشايخ الذين كانت تسيطر عليهم الرغبة فى التعاون مع مصر، يعيدون حساباتهم حتى لا يتعرضوا لانتقام القوة الانجليزية.

٧ - لم يهتم المشايخ انفسهم فى ذلك الوقت بتشكيل وحدة اقليمية، وفضل كل واحد منهم الاستقلال ببلاده، وهذا ما كانت ترمى اليه انجلترا، حتى يسهل عليها التعامل مع كل شيخ على انفراد وبأسلوبها الخاص.

إذن فمسألة سعد بن مطلق، او حتى عدم ارتياح بعض المشايخ العرب من الوجود المصرى فى الخليج كانت عوامل ثانوية والأيام كانت كفيلة بتقوية الروابط والعلاقات بين عرب الخليج والمصريين، اذا غاب الوجود الانجليزى من المنطقة.

لذلك نؤكد ونحن مطمئنون تماما، ان انجلترا هى السبب الاول والرئيسى فى ابعاد هؤلاء المشايخ عن التقارب مع الوجود المصرى، وقتل اى علاقة بينهم وبين مصر، حتى لا يزداد وجود مصر قوة، خاصة بعد ان صار له مؤيدون، يرون ان مصر العربية الاسلامية، تمتاز بقوة برية تفوق اى قوة غيرها، [١٤٧] بل وكانوا يتفاخرون بوجود هذه القوة فى الخليج. [١٤٨]

ولكن اذا كانت انجلترا عن طريق سلطتها فى الخليج، نجحت فى زعزعة العلاقات بين شيوخ الساحل المهادن وبين مصر، فانها لم تتمكن من ضربها - اى العلاقات - التى كانت بين مصر والبحرين - كما سبق ذكره، وبينها وبين مسقط والكويت.

فبالنسبة لمسقط، نلاحظ من الوثائق الرسمية، انه رغم الضغوط الانجليزية على السلطان سعيد، فان

العلاقات بينه وبين محمد على ظلت قوية، بدليل استمرار تصدير الغلال من عمان الى جدة، (١٤٩) ومساعدة ضباط الجيش المصرى فى تدريب قوات السلطان، كما حدث على سبيل المثال، عندما طلب السلطان من محافظ الحجاز، ان يرسل اليه (مدفعجى) لحاجته اليه (١٥٠) وقد امر محمد على ان يجاب السلطان الى طلبه فورا (١٥١) . تعزيزا للروابط والعلاقات الطيبة بين البلدين.

وبالنسبة للكويت، فقد نطقت الوثائق المصرية والانجليزية على حد سواء بقوة العلاقة التى كانت بين مصر والكويت، لدرجة افزعت السلطة الانجليزية فى الخليج، واضطرت ان ترسل المقيم السياسي المساعد فى بوشهر الملازم (ادموندز) لمقابلة الشيخ (جابر آل صباح) للوقوف على النشاط المصري فى بلاده.

وعندما وصل (ادموندز) الى ميناء الكويت فى ٣٠ اكتوبر ١٨٣٩، اطلقت السفينة الحربية البريطانية التى كان يقلها، مدافعها، بالتحية، لشيخ الكويت، كالمعتاد، الا ان السفن الكويتية لم ترد عليها بالمثل، كما ان شيخ الكويت لم يبعث احدا من مجلسه او اقاربه الى ظهر السفينة البريطانية، للترحيب به، وظل (ادموندز) حبيس السفينة لمدة ثلاثة ايام، حتى سمح له الشيخ بمقابلته، وعندما وصل الى المجلس الاميرى، كان الشيخ جابر، محاطا بقوم كثيرين، وحاول ببطء شديد، القيام من مقعده، وفى فمه الغليون الذى كان يدخنه، للسلام عليه، وقد بدا واضحا ان الشيخ لم يهتم به كثيرا خلال تلك الزيارة (١٥٢) .

ويعزو (ادموندز) هذه الاهانة كممثل لبريطانيا العظمى، الى الصداقة الوطيده التى تربط بين الشيخ وبين محمد على، واعجابه الشديد، بالنجاح والانتصارات المتوالية التى حققها (١٥٣) .

ويشير لوريمر، الى ان ادموندز وهينل، اتفقا على ان هذا المسلك الغريب من جانب الشيخ جابر، لم يكن صادرا عن نوايا سيئة نحو السلطات البريطانية، لكنه كان يهدف لخداع الوكيل المصرى عن حقيقة العلاقة القائمة بينه وبين الانجليز، واخذت حكومة الهند الانجليزية بوجهة نظرهما، فقررت عدم ارسال انذارات للشيخ بصدد هذه الحادثة(١٥٤).

والواقع ان وجهة النظر هذه، تحتاج الى تصحيح، فتشير الوثائق المصرية الى ان حاكم الكويت لم تكن لديه ثمة مخاوف من خورشيد، وانما على العكس. كان هناك اعجاب وتقدير منه لحاكم مصر، واعتزاز بوجود قوة عربية في الخليج، وأن تصرف الشيخ بتلك الطريقة

كان اشارة الى تأييد محمد على فى عدائه للانجليز، وتجنيد امكانيات الكويت لمساعدة القوات المصرية ضد الوجود الانجليزى فى الخليج.

والدليل على ذلك، كما يشير اليه (كامبل) نفسه، بان هناك سفينة كويتية (جونشا ـ Gooncha وصلت الى ميناء القطيف فى نوفمبر ١٨٣٩، قادمة من ميناء الحديده فى البحر الاحمر، محملة بالسلاح والذخيرة لصالح القوات المصرية فى نجد [١٥٥].

فاذا صحت هذه الرواية فانها تعتبر خير برهان، على قوة العلاقات بين الكويت ومصر، وزيادة على ذلك، فان السفن الكويتية ظلت فى تعاون مستمر مع القوات المصرية فى شرق الجزيرة، فكانت تقوم بنقل الغلال من الكويت وشط العرب وبوشهر اليها [١٥٦].

وعلى ضوء ما سبق، نرى ان تصور هينل وادموندز، كان تغطية لفشل الاخير، الذى نعتقد انه كان يريد من زيارته:

١ ـ ابعاد الوكيل المصرى من الكويت، وضرب التعاون مع خورشيد، وبمعنى اخر، ضرب العلاقات المصرية الكويتية، كما حدث ونجح هينل مع بعض مشايخ الخليج..

٢ ـ مشاهدة موقع الكويت على الطبيعة، ومعرفة امكانياتها ومدى صلاحيتها اذا ما فكرت السلطات الانجليزية، فى اتخاذها مقرا للمقيم العام البريطانى بدلا من جزيرة (خرج)[١٥٧]، التى احتلتها بريطانيا فى عام ١٨٣٨، خلال التوسع الايرانى صوب هيرات [١٥٨].

تجميد العلاقات بين مصر وبلاد الخليج العربية:-

حين لاحت فى الأفق بوادر لتسوية الازمة بين محمد على وحكومة الباب العالى، صارت انجلترا، تضغط بكل قوة على الدول الاوروبية، المهتمة بمسألة الدولة العثمانية، بصورة او باخرى، لتقف معها ـ انجلترا ـ، وتشاركها الرأى فى ان الامر اشد خطورة من ان يفصل فيه الباب العالى وحده.

وكانت قد كتبت اليه تخبره ان لا يتفاوض مع محمد على، ولا يتفق معه، الا عن طريق الدول، وأصدرت الدول الخمس (بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا وفرنسا) فى ٢٨ يوليو ١٨٣٩، مذكرة مشتركة، بعثت بها الى السلطان عبدالمجيد، حتى لا يبرم صلحا مع محمد على من غير موافقة تلك الدول الموقعة على تلك المذكرة.

ولعل الذى دفع انجلترا لهذه الحركة السياسية ما يلى:

١ ـ رأت ان انتصار القوات المصرية على قوات الدولة العثمانية فى معركة نزيب، يجعل محمد على يتشدد على مائدة المفاوضات، مع حكومة السلطان

العثمـانى، ليحقق اهدافـا، ربمـا تتعارض مع السياسة الانجليزية ومخططاتها فى المشرق العربى.

٢ ـ توريط هذه الدول فى القضية، ومن ثم مشاركتها فى عمل ضد مصر، اذا رفض محمد على، الشروط التى تعرضها تلك الدول عليه، والتى لابد ان تكون فى صالح السياسة البريطانية.

أمام تلك التطورات التى نتجت عن موقف انجلترا المتشدد، رأي محمد على، ان الضرورة، تتطلب منه، ان يعلق مهمة خورشيد فى شرق الجزيرة العـربية، ويغلق بـاب المصروفات المخصص للحملة، بل ويطلب اليه، تجميد العلاقات مع بلاد الخليج العربية، والعودة الى القاهرة، [١٥٩].

وعلى ذلك نرى ان ظروف محمد على الصعبة، التى كانت وراءها الحكومة البريطانية هى السبب الرئيسى، الذى اجبره على اتخاذ هذا الاجراء الذى يعتبر (ردة) فى تاريخ سياسته الخارجية، لاننا نلاحظ انه لم يحدث ان ترك محمد على بلادا او الغى اتفاقية مفيدة مع غيره، من تلقاء نفسه.

ونعتقد ان هذا التصرف من جانب مصر، رغم ما يحمله من اتهامات ضدها، كانت وراءه حكمة، لا تصدر الا من رجل داهية، كمحمد على، خبر الاساليب الاوروبية الاستعمارية، وعرف كيف يتعامل معها، فبعد شعوره بالموقف الاوروبى المضاد لمشروعاته الوحدوية فى البلاد العربية، اضطر الى ان يعيد النظر فى سياسته الخارجية ـ ككل ـ من منطلق ذلك الموقف، فلم يستبعد ان تتحالف الدول الاوروبية وتـدخل معـه معـركـة، تحت ستـار مسـاعـدة السلطان العثمـاني[١٦٠]، فرأى والحالة هذه، أن يسرع بتجميع أكبـر عدد من قـواته المـوزعـة عـلى أطراف شبـه الجـزيـرة العـربيـة، ويستفيد من خبرة قواده العسكريين أمثال خورشيد، في مواجهة ما يسفر عنه الغد من احتمالات خاصة بالنسبة لسوريا ومصر[١٦١].

وكان يدرك ان منطقة الخليج بالذات، منذ وجود ابراهيم باشا فى شرق الجزيرة عام ١٨١٨، تشكل اهمية خاصة لانجلترا، وقد تزايد اهتمامها بها، عندما عادت القوات المصرية بقيادة خورشيد، ونشاطه السياسى فى المنطقة، بدليل ملاحقتها ـ لمحمد على ـ بـالاستفسارات عن مشروعاته المستقبلية فى الخليج تارة، وبالتلويح باستخدامها القوة اذا لزم الامر تارة اخرى.

على اية حال، نزل قرار القاهرة بالعودة، كالصاعقة على خورشيد، فهو لم يستطع ان يخالف اوامر الحكومة المصرية [١٦٢]، ومن ثم صار ينعى حظه بعد ذلك المجهود فى شرق الجزيرة

والخليج العربى والذى رآه، يتبدد بتلك السرعة، دون ان يكتمل مشروع توحيد البلاد التى تقع على الساحل الغربى للخليج العربى، فى اقليم سياسى واحد.

وتشير الوثائق الرسمية فى اكثر من موضع، الى خوفه من خطر الوجود الانجليزى فى الخليج، وفراغ المنطقة وقتذاك من وجود قوة عربية او اسلامية ، لها القدرة الكافية على التصدى لهذا الخطر، ويستشف من دراسة هذه الوثائق، انه كان يدرك ان المنطقة ان عاجلا او اجلا لابد ان تتعرض للاحتلال البريطانى بصورة او باخرى، وكان اخشى ما يخشاه، هو سقوط البحرين بالذات فى قبضة الانجليز، لعداء شيوخها للسلطات البريطانية فى الخليج، ولموقف الجفاء من جانب تلك السلطات لهؤلاء الشيوخ (١٦٣)، بسبب ابرامهم المعاهدة مع مصر وتمسكهم بشروطها، لذلك كان خبر سياسة القاهرة الرامى الى الانسحاب من الخليج، اشد وقعا على حاكم البحرين من غيره، ومن ثم داخله الخوف، من ان يحتل الانجليز بلاده بالقوة، فاخذ يعد الجنود من بدو الاحساء وبادية العراق، ويضمهم الى جيش البحرين، استعدادا وتحسبا لاى مخاطر قد تسفر عنها الايام (١٦٤).

وهكذا نجحت انجلترا فى ان تبدد العلاقات بين مصر محمد على وبلاد الخليج العربية، دون ان تصطدم به عسكريا فى تلك الجهات، فقد اكتفت بان تكتل معها بعض الدول الاوروبية امثال النمسا وبروسيا تحت ستار المحافظة على كيان الدولة العثمانية، وحتى لا يحدث خلل فى توازن القوى الدولية فى البحر المتوسط، وتضغط عليه عسكريا فى جبهة الشام، ليرفع يده عن الجبهة الشرقية فى الخليج نهائيا.

ولكن اذا كانت انجلترا حققت هدفها فى الخليج عن طريق الدبلوماسية او التهديد ليصير واقعا تحت نفوذها، ثم بسط حمايتها على بلاده العربية فانها لم تتمكن من قطع العلاقات الاخوية بين المصريين وعرب الخليج لانها تشكل جزءا من حياتهم ووجودهم وظل كل طرف يعيش مع الاخر ويشاركه افراحه وآلامه وآماله ومن جانب آخر فان الزعماء العرب كانوا يزدادون مع الايام وعيا وقوة، ومن ثم لم يهدأوا حتى حصلوا على استقلال بلادهم.

الهوامش ومكتبة البحث

١ - للمزيد أنظر للباحث:
التطور التاريخي لسياسة محمد على تجاه الخليج العربى - ص - ٤٠ وما بعدها، الوثيقة، العدد العاشر - السنة الخامسة، جمادى الاولى ١٤٠٧ هـ يناير ١٩٨٧ (مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين).

٢ - أنظر للباحث:
خلفية البحرين التاريخية قبيل وجود محمد على في الخليج العربي. ص ١٤ وما بعدها - الوثيقة - العدد التاسع - السنة الخامسة، شوال ١٤٠٦هـ يوليو ١٩٨٦م - (مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين).

٣ - Kelly,J.B.: Britain and the Persian Gulf,PP.300 - 301 (London 1968)

٤ - لوريمر، ج.ج: دليل الخليج - القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٣٠٤، طبعة جديدة معدلة ومنقحة، اعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو امير دولة قطر.

٥ - يبدو ان مسألة ابن عفيصان، كانت تشكل عقبة في طريق التقارب بين مصر والبحرين، وذلك بسبب تمسك شيخ البحرين بوعده له، وقبوله في بلاده كلاجىء سياسى، وقد طرح محمد أفندى رفعت بعد عودته من هذه الزيارة، المسألة على خورشيد باشا، وانتهى الرأي الى ان وافق خورشيد، على العفو عن ابن عفيصان.
محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧)، صورة الجرنال المحضر، من طرف محمد أفندى - شروط المعاهدة، (دار الوثائق القومية بالقاهرة).

٦ - للمزيد انظر للباحث: خلفية البحرين التاريخية، مرجع سابق.

٧ - د. محمد عرابى نخلة: تاريخ الاحساء السياسى (١٨١٨ - ١٩١٣) ص ٤٩ وما بعدها (الكويت ١٩٨٠)

٨ - Arabian Gulf Intelligence, Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, No. XXIV, 1856. Historical sketch of the Wahabee Tribe of Arabs; P. 445

٩ - محفظة رقم (٢٦٦) عابدين، وثيقة رقم (٤) اصلى - ٨٩ حمراء، بتاريخ صفر ١٢٥٥ (ابريل ١٨٣٩) دار الوثائق القومية بالقاهرة.

١٠ - F.O. 78-371, Extracts of Taylor's Private letters, 31-3-1839

١١ - لوريمز: مرجع سابق. جـ ٣ ص ١٣٠٤

١٢ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، وثيقة رقم (٤٠) اصلية، ١٠ حمراء بتاريخ ٣ شعبان ١٢٥٥ هـ (١٢ اكتوبر ١٨٣٩م)

١٣ - Kelly, J. B.: Op. Cit.: pp. 303-304

١٤ - Arabian Gulf Intelligence, Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, No. XXIV, 1856. Historical Sketch of the Uttoobee Tribe of Arabs; "Bahrain", P. 389 وكان (حاجى قاسم) من قبل مسئولا عن شحن السفن التجارية، لكنه اصبح وقتذاك يحمل لقبا وثوبا شرقيا من شيخ البحرين، وتحرسه فرقة من عشرة جنود ايرانيين، وكان ارساله فشلا محققا من كل ناحية، خاصة بالنسبة لما كانت الحكومة الايرانية، تفترضه من ان شيخ البحرين سيدفع مبلغا من المال سنويا، مقابل تأييدها وحمايتها، أنظر:
لوريمر. جـ ٣، ص ١٣٠٥ وما بعدها

١٥ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) صورة الجرنال المحضر، البند الرابع، مصدر سابق.

١٦ - Historical sketch... Uttobees-op-Cit.P.389.

١٧ - Toynbee,A.:Astudy of History, Vol.111(1951),P.P 247-248

١٨ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) صورة الجرنال المحضر، البند الرابع.

١٩ - من ذات البند الرابع

٢٠ - د. محمد فؤاد شكرى واخرون: بناء دولة مصر محمد على - القاهرة ١٩٤٨

٢١ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) - البند الرابع.

٢٢ - ذات المحفظة والوثيقة، صورة المكاتبه المرسلة الى الشيخ عبدالله بن احمد أل خليفة بتاريخ ٢٠ ذى الحجة هـ - (٦ مارس ١٨٣٩م)

٢٣ ـ د. محمد عرابى نخله: مرجع سابق . ص ٧٧
٢٤ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين ، وثيقة رقم (٧) اصلية ـ ٥٠ حمراء بتاريخ ٢١ محرم ١٢٥٥ هـ (٧ ابريل ١٨٣٩م)
٢٥ ـ ذات المحفظة، وثيقة رقم (٤٠) اصلية ـ ١٠ حمراء بتاريخ ١٩ رمضان ١٢٥٥هـ (٢٧ فبراير ١٨٣٩)، من خورشيد الى صاحب الدولة.
٢٦ ـ ذات المحفظة، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧)، صورة الجرنال المحضر، البند الاول
٢٧ ـ ذات المحفظة والوثيقة، البند الثانى.
٢٨ ـ ذات المحفظة والوثيقة والبند.
٢٩ ـ ذات المحفظة والوثيقة، البند الرابع.
٣٠ ـ ذات المحفظة والوثيقة، البند الثالث.
٣١ ـ ذات المحفظة والوثيقة، البند الرابع.
٣٢ ـ عن تعريف الامان وحكمه انظر:
د. الشيخ عبدالوهاب القاضي: موقف الاسلام من المعاهدات الدولية (دراسة مقارنة) ص ١٨٩ وما بعدها ـ (البحرين ١٩٨٤)
٣٣ ـ محفظة رقم (٢٦٧) ـ المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) البند الخامس.
٣٤ ـ ذات المحفظة والوثيقة، صورة الامان للشيخ عبدالله بن احمد.
٣٥ ـ ذات المحفظة، صورة المرفق العربى للوثيقة (١٣٧) حمراء، رسالة من الشيخ عبدالله بن احمد الى خورشيد بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٥٥ هـ (٧ مايو ١٨٣٩)
٣٦ ـ Historical Sketetch. Uttobees,op.cit.p.489 وللأسف لم نعثر على نص الاتفاقية فى دار الوثائق القومية بالقاهرة، ولا بين الوثائق البريطانية المتاحة امامنا، ولكن لا يعنى ذلك، انه لم تكن هناك معاهدة بين مصر والبحرين، فتتفق الوثائق المصرية والانجليزية على وجودها، وتبرز كل منهما روحها والشروط التى تضمنتها، وانحصرت الصعوبة امام الباحثين فى معرفة تاريخ اليوم الذى وقعت فيه تلك المعاهدة، والتى من المرجح طبقا للاحداث التاريخية، ان تكون تمت فى العشرينات من شهر مارس ١٨٣٩، اللهم الا اذا ظهر النص الاصلى فى احد الايام، واعفى الباحثين من الاستنتاج التاريخى .
٣٧ ـ محفظة رقم (٢٦٧) صورة المرفق العربى للوثيقة (١٣٧) حمراء،

رسالة من الشيخ عبدالله بن احمد الى خورشيد.

٣٨ ـ Historical sketch..Wahabees,op.Cit.P.446

٣٩ ـ محفظة رقم (٢٦٧)، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) حمراء، مكاتبه من خورشيد الى الشيخ عبدالله بتاريخ ١٠ ذى الحجة ١٢٥٤ هـ (١٤ فبراير ١٨٣٩)

٤٠ ـ جاء تقديرها فى لوريمر بحوالى ٢٠٠٠ روبية، جـ ٣. ص ١٣٠٨

٤١ ـ محفظة رقم (٢٦٧) صورة المرفق العربى للوثيقة (١٣٩) اصلية، ٦ حمراء بتاريخ ٢٢ رجب ١٢٥٥ هـ (١٠ سبتمبر ١٨٣٩)م

٤٢ ـ محفظة رقم (٢٦٧) صورة المرفق العربى للوثيقة (١٣٧) حمراء، شروط الاتفاقية

٤٣ ـ كان الشيخ مبارك متزوجا من بنت (شافيربن شعبان) شيخ الهواجر

٤٤ ـ محفظة رقم (٢٦٧) صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٦٤) حمراء بتاريخ ٢٥ ذى الحجة ١٢٥٤ هـ (٩ فبراير ١٨٣٩)

٤٥ ـ محمد بن خليفة النبهانى: التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٥٤ وما بعدها (ط ٢ القاهرة ١٣٤٢هـ)

٤٦ ـ هذا دليل اخر، على عدم تدخل الادارة المصرية فى شئون البحرين

٤٧ ـ لوريمر: جـ ٣. ص. ١٣٠٧

٤٨ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧، شروط الاتفاقية.

٤٩ ـ د. محمد عرابى نخله: مرجع سابق. ص ٨٢ ـ ٨٣

٥٠ ـ د. عبدالعزيز نوار: تاريخ العراق الحديث. ص ٣٩٧ (القاهرة ١٩٦٨

٥١ ـ ويلسون، سيرارنولد: تاريخ الخليج، ترجمة محمد امين عبدالله، ص ١٨٢ (سلطنة عمان ١٩٨١)

٥٢ ـ Historical Sketch..Wahabees.op.cit p.445

٥٣ ـ Kelly,J.B.:op cit,P.P 337-338

٥٤ ـ لوريمر: مرجع سابق، جـ ٣ ص ١٣٠٦

٥٥ ـ مولى ايزارد: الخليج ـ محاولات الغرب للتقرب الى شبة الجزيرة العربية ص ١٥٨ (الهيئة المصرية للاستعلامات ـ القاهرة ١٩٨٠)

٥٦ ـ عرض حكومة المملكة العربية السعودية فى التحكيم لتسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وابوظبى وبين المملكة العربية السعودية، حـ ١ ص.١٧٢ (القاهرة ١٩٥٥)

٥٧ ـ Kelly, J.B.:Eastern Arabian Frontiers,P.48,(london 1964)

٥٨ ـ لوريمر:مرجع سابق، حـ ٣، ص ١٣٠٥
٥٩ ـ د. جمال زكريا: الخليج العربي ـ (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ص ٦٧ (القاهرة ١٩٦٦)
٦٠ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربي للوثيقة رقم (١٣٧) حمراء بتاريخ ١٨ جمادى الاولى ١٢٥٥ هـ (٣٠ يوليو ١٨٣٩)
٦١ ـ لوريمر: مرجع سابق. حـ ٣. ص ١٣٠٦
٦٢ ـ Kelly,J.B.:Britain and the persian Gulf, P.319
٦٣ ـ د. جمال زكريا: مرجع سابق. ص ٦٧ وما بعدها
٦٤ ـ لوريمر، حـ ٣. ص ١٣٠٦
٦٥ ـ لوريمر، حـ ٣. ص ١٣٠٦
٦٦ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربي للوثيقة رقم (١٣٧) البند الخامس والسادس
٦٧ ـ لوريمر، حـ ٣. ص ١٣٠٦
ويلاحظ ان تعبير الحماية المؤقتة او الاحتلال المؤقت، استخدمته الدول الاستعمارية، مثل ما حدث بالنسبة لمصر فى عام ١٨٨٢، وتونس فى ١٨٨١ والمغرب الاقصى فى ١٩١٢ بهدف التهدئة، ريثما تثبت كل منها اقدامها فى تلك البلاد العربية.
٦٨ ـ د. عبدالعزيز نوار: مرجع سابق. ص ٢٤٧
٦٩ ـ لوريمر، حـ ٣، ص ١٣٠٧
٧٠ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربي للوثيقة رقم (١٣٧) حمراء، بتاريخ ١٨ جمادى الاولى ١٢٥٥ هـ (٣٠ يوليو ١٨٣٩)
٧١ ـ Historical sketeh.. Uttobees, op.cit.PP.366-382
٧٢ ـ محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (١٣٩) اصلية ـ ٦ حمراء، بتاريخ ١٣ اكتوبر ١٨٣٩، من خورشيد الى الباشمعاون الخديوى.
٧٣ ـ من المعاهدات ومشروعيتها وانواعها انظر:
د. الشيخ عمر عبدالوهاب القاضى: مرجع سابق. ص ٨٥ وما بعدها
٧٤ ـ محفظة رقم :٢٦٧) صورة المرفق العربي للوثيقة رقم (١٣٧) حمراء، تقرير محمد افندى لخورشيد عن زيارته لبلاد الخليج.
٧٥ ـ من ذات التقرير السابق ذكره
٧٦ ـ من ذات التقرير السابق ذكره
٧٧ ـ من ذات المحفظة والوثيقة، رسالة من الشيخ عبدالله بن احمد الى خورشيد باشا بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٥٥ هـ (٧ مايو ١٨٣٩)

٧٨ ـ من ذات المحفظة والوثيقة من طرف محمد افندى .
٧٩ ـ د. جمال زكريا: دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا (١٧٤١ ـ ١٨٥٦) ص ١٨٠ وما بعدها (القاهرة ١٩٦٧)
٨٠ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، تقرير خورشيد الى سنى الهمم صاحب الدولة والعطوفه الباشمعاون الخديوى، من ثرمده في ٣ شعبان ١٢٥٥ هـ (١١ اكتوبر ١٨٣٩)
٨١ ـ لوريمر، حـ ٣ . ص ١٣٠٨
٨٢ ـ من تقرير خورشيد السابق ذكره
٨٣ ـ لوريمر. جـ٣ ص ١٣٠٨
٨٤ ـ من تقرير خورشيد السابق ذكره
٨٥ ـ لوريمر، حـ ٣ ص ١٣٠٨ ـ ١٣٠٩
٨٦ ـ Historical sketeh.. Uttobees, op.cit.P.389
٨٧ ـ د. جمال زكريا: مرجع سابق. ص ١٨١ وكذلك لوريمر، حـ٣. ١٣٠٩
٨٨ ـ Historical sketeh.. Uttobees, op.cit.P.389
٨٩ ـ Ibid.PP. 377-378
٩٠ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) البند الرابع.
٩١ ـ Kelly,J.B.:Op.Cit.PP.322-340
٩٢ ـ Historical sketeh.. Uttobees, op.cit.P.389
٩٣ ـ لوريمر، حـ ٣. ص ١٣٠٩
٩٤ ـ انظر عبدالرحمن الرافعي: عصر محمد على (القاهرة ١٩٥١)
٩٥ ـ د. احمد عزت عبدالكريم: دراسات في تاريخ العرب الحديث ص ٢٧٢ وما بعدها (بيروت ١٩٧٠)
٩٦ ـ د. محمد رشيد الفيل: الاهمية الاستراتيجية للخليج العربى. ص ٤٨ ـ الخليج العربى في مواجهة التحديات ـ محاضرات الموسمين الثقافيين السابع والثامن ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ (الكويت ١٩٧٥)
٩٧ ـ محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (١٣٩) اصلية، ٦ حمراء، من خورشيد الى الباشمعاون الخديوى في ١٣ اكتوبر ١٨٣٩، والغريب حقا ان انجلترا كانت في تلك الفترة تبنى احتجاجاتها، على تلك الصلات الجديدة التى نشأت بين مصر والبحرين، على اساس ان تلك الجزيرة تابعة لفارس، ولكننا نرى فيما بعد، كيف انها في مناسبات اخرى عديدة، عارضت ادعاءات فارس على البحرين، مما يدل على ان

انجلترا، لم تتخذ مبدأ ثابتا فى سياستها، وانما كانت مصالحها هى الى تملى عليها السياسة المطلوبة، وبمعنى اخر، كانت سياستها هى مصالحها.

٩٨ - من تقرير خورشيد بتاريخ ٣ شعبان ١٢٥٥ هـ السابق ذكره

٩٩ - لا تزال جزيرة مالطة تلعب دورا هاما فى حوض البحر المتوسط وقت الحرب

١٠٠ - محفظة رقم (٢٦٧) صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٩) اصلية، ٦ حمراء بتاريخ ٢٢ رجب ١٢٥٥ هـ (٩ - اكتوبر ١٨٣٩)

١٠١ - من تقرير خورشيد فى ٣ شعبان ١٢٥٥هـ السابق ذكره

١٠٢ - من ذات التقرير

١٠٣ - عرض الحكومة السعودية: مرجع سابق. ص ١٧٣ وما بعدها

١٠٤ - Historical sketeh.. Wahabees, op.cit.P.446

١٠٥ - محفظة رقم (٢٧٠) عابدين، وثيقة رقم (١٩٤) حمراء، بتاريخ ١٢ جمادى الاخر ١٢٥٥ هـ (٢٣ اغسطس ١٨٣٩)

١٠٦ - د. صلاح العقاد: التيارات السياسية فى الخليج العربى. ص ١٣٨ (القاهرة ١٩٧٤)

ويقول السالمى انه بعد مقتل مطلق، جاء ولده سعد فى طلب ثار أبيه، فى ركب قوم من البريمى، وجنبوا الخيل واغاروا على بديه، صبيحة العيد، وهو يوم الزينة، فقتل منهم رجالا، وقتلوا منه رجالا، ثم عطف راجعا، فلم يعاود منهم احد بعد ذلك، انظر: السالمى: تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان حـ ٢ ص ١٥٨ (مطبعة الامام بالقلعة بمصر)

١٠٧ - Historical sketch..Wahabees.op.Cit.P.446 ويعزو خورشيد عداء بنى نعيم وعدم التعاون معه، الى الفتن والدعايات المضادة التى يبثها الانجليز ضد الوجود المصرى فى الخليج.

١٠٨ - Historical sketch..Wahabees.op.Cit.P.p.446-447

١٠٩ - لوريمر. حـ ٣. ص ١٦٤٣

١١٠ - جون كيلي: بريطانيا والخليج. حـ ١. ص ٥٤٥، الترجمة العربية، (سلطنة عمان ١٩٧٩)

١١١ - السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان، سلطان مسقط وزنجبار: مذكرات اميره عربية، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسى. (سلطنة عمان ١٩٨٥)

١١٢ - انظر: د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا: زنجبار (القاهرة ١٩٥٩)

١١٣ - محفظة رقم (٢٧٠) وثيقة رقم (١٩٤) حمراء بتاريخ ١٢ جمادى الاخرة (٢٣ اغسطس ١٨٣٩) رسالة من خورشيد الى الباشمعاون الخديوى

١١٤ - محفظة رقم (٢٦٦) وثيقة رقم (٤٣) اصلية (١٨١) حمراء رسالة من خالد بن سعود الى ابناء سلطان عمان، بدون تاريخ

١١٥ - محفظة رقم (٢٦٦) عابدين، وثيقة رقم (٤٣) اصلية، بتاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٢٥٤ هـ ٥ اغسطس ١٨٣٩)

١١٦ - د. جمال زكريا: دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا ص ١٧٨ وما بعدها، (القاهرة ١٩٦٧)

١١٧ - Kelly,J.B.:Britain...op Cit.P.P.323-324

١١٨ - نرى انه لو حدث تعاون بين محمد على والسلطان سعيد وقتذاك في فتوحات افريقية، لكان في الامكان تحقيق نجاح مؤكد في تلك القارة

١١٩ - Historical sketch..Wahabees.op.Cit.P.p.446-447

١٢٠ - د. احمد مصطفى ابو حاكمه: تاريخ الكويت، الجزء الثانى، القسم الاول، ص. ١٨٤ وما بعدها، (الكويت ١٩٧٠)

١٢١ - محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٧) بتاريخ ٣ ربيع الاخر (١٦ يونيو ١٨٣٩)

١٢٢ - د - جاكلين اسماعيل: سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر، ص ١٩. (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - العدد السادس عشر - السنة الرابعة - الكويت ١٩٧٨)

١٢٣ - د. جمال زكريا: موقف الكويت من التوسع السعودي في نجد وسواحل الاحساء. ص ٩٩ ومابعدها (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ١٧)

١٢٤ - محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٤) حمراء، بتاريخ غره جمادى الثانية ١٢٥٥ (١٢ اغسطس ١٨٣٩)

١٢٥ - د. مهدى جواد حبيب: الصراع العثمانى الفارسى واثره على العراق حتى اواخر القرن التاسع عشر، ص ١١٢ - ١١٣ - الحدود الشرقية للوطن العربى، دراسة تاريخية - مجموعة ابحاث اصدرتها جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق، (بغداد ١٩٨١)

١٢٦ - محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٤) حمراء، بتاريخ غره جمادى الثانية ١٢٥٥ هـ (١٢ اغسطس ١٨٣٩)

١٢٧ - للمزيد انظر:

د. ياسين عبدالكريم: اتفاقيات الحدود الشرقية الى نهاية القرن

التاسع عشر. ص ٢١٠ وما بعدها ـ مجموعة ابحاث في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي، دراسة تاريخية (بغداد ١٩٨١)

١٢٨ ـ يتخبط المؤرخون حول هذه المسألة، فتارة يجدون ان محمد على يرفع الشعار الاسلامي، وتارة يرفع الشعار العربي، ومن ثم لم يحدد بالضبط هوية سياسته، ونحن نقول ان سياسته جمعت بين العربية والاسلامية، وكان يستخدم كل منهما وقت اللزوم.

١٢٩ ـ محفظة رقم (٢٥٨) عابدين ـ وثيقة رقم (١٨٣) بتاريخ رمضان ١٢٥٥ هـ نوفمبر ١٨٣٩، نقلا عن د. عبدالعزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث. ص ٢٢٨. (القاهرة ١٩٦٨)

١٣٠ ـ لوريمر، حـ ٣ ص ١٦٣٩ ـ ١٦٤٠

١٣١ ـ ترتب على الضغوط الانجليزية، بجانب عدم ارتياح بعض القبائل العربية، ان عاد سعد بن مطلق المطيرى الى الاحساء، بعد ان قضى في تلك البلاد التى تقع الى الجنوب من البحرين فترة سبعة شهور، بحجة ان ما لديه من قوات لن يكفى لتحقيق مهمته بسبب النشاط الانجليزى: محفظة رقم (٢٧٠) وثيقة عربية رقم (١٩٤) حمراء، وصورة المرفق العربى رقم (١) بتاريخ ١٢ جمادى الاخرة ١٢٥٥ هـ (٢٣ اغسطس ١٨٣٩)

١٣٢ ـ محفظة رقم (٢٧٠) وثيقة عربية رقم (١٩٤) حمراء، وصورة المرفق العربى رقم (٣) بتاريخ ٢١ ربيع الاخر ١٢٥٥ (٣ يوليو ١٨٣٩)

١٣٣ ـ Arabain Gulf Intelligence, Selections from the Records of the Bombay Government, New series,No XXIv,1856. Historical Sketch of Rise and Progress of the Government of Muskat,P.211

١٣٤ ـ Historical sketch..Wahabees.op.Cit.P.447

١٣٥ ـ د. صلاح العقاد: مرجع سابق. ص ١٣٨
وكذلك لوريمر: حـ ٣. ص ١٦٤٣

١٣٦ ـ Historical sketch..Wahabees,op.P.447

١٣٧ ـ Coupland,R: East Africa and its Invaders,P.470 (London-1938)

١٣٨ ـ د. صلاح العقاد: مرجع سابق. ص ١٢١

١٣٩ ـ Historical sketch..Wahabees,op.Cit P.447

١٤٠ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين صورة المرفق العربى للوثيقة رقم ١٣٩) أصلية، (٦ حمراء، بتاريخ ١٧ جمادى الاخرة ١٢٥٥ هـ (٢٨

اغسطس ١٨٣٩

١٤١ - Historical sketch..Wahabees,op.Cit P.447

١٤٢ - لوريمر: حـ ٣، ص ١٦٤٣ - ١٦٤٤
ويلاحظ ان حكومة بومباى الانجليزية، اوقفت المساعدة المالية والعسكرية عن (بنى نعيم) على اثر انسحاب قوات خورشيد من شرق الجزيرة العربية، انظر: Kelly,J.B: Britain.. Op. Cit.P.340

١٤٣ - Historical sketch..Wahabees,op.Cit P.447

١٤٤ - Ibid.P.447

١٤٥ - Coupland,R.: Op Cit.P.470

١٤٦ - Historical sketch..Wahabees,op.Cit P.447

١٤٧ - Kelly,J.B.: Britain. Op Cit.PP322-329

١٤٨ - F.O. 78-386,No.140, Political Department, from Abdullah Bin Khalifa to the Resident in Persian Gulf,26-1-1839

١٤٩ - دفتر رقم (٦٧)معيه تركى، وثيقة رقم (٦٤) ورقة (١٢) بتاريخ ١٠ رجب ١٢٥٥ هـ ١٩ سبتمبر ١٨٣٩، نقلا عن د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على، المجلد الاول. ص ٧٢٤ - ٧٢٥ (الدوحة ١٨٩٢)

١٥٠ - محفظة رقم (٢٦٩) المرفق العربى للوثيقة رقم (٢٨) اصلية، (٦٧) حمراء، بتاريخ ١١ ذى القعدة ١٢٥٥ هـ (١٦ يناير ١٨٤٠)

١٥١ - ذات المحفظة السابقة، افادة رقم (١٧) بتاريخ ١٧ جمادى الاخرة ١٢٥٦ هـ (١٦ اغسطس ١٨٤٠)

١٥٢ - لوريمر، حـ ٣، ص ١٥١٤

١٥٣ - India office Records, F.R.P. P.G.Vol 68, Edmonds Report on his mission to Koweit, 5-11-1939

١٥٤ - لوريمر، حـ ٣، ص ١٥١٥

١٥٥ - Historical sketch..Wahabees,op.Cit P.448

١٥٦ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) صورة الجورنال المحضر

١٥٧ - تنطق فى العراق (خرج) وفى ايران (خرك) وهى غير (خرج) التى تقع فى منطقة الرياض باقليم نجد.

١٥٨ - بعد ان تخلصت انجلترا من الوجود المصرى فى الخليج فى عام ١٨٤٠، قررت حكومة بومباى الانسحاب من هذه الجزيرة الذى تم

في عام ١٨٤٢، وللمزيد انظر:
د. جمال زكريا: الخليج العربي، دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوروبي الاول، ص ٤٤٦ وما بعدها (القاهرة ١٩٨٥)

١٥٩ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، وثيقة رقم (١٣٧) ارادة رقم (٢١) بتاريخ ٢ رجب ١٢٥٥هـ

١٦٠ - وفعلا، بعد ان رفض محمد على معاهدة لندن في ١٥ يوليو ١٨٤٠، اخذ الاسطول البريطاني يحاصر الاسكندرية، وقطع خط الاتصال البحري بين مصر وسوريا، وصارت قوات الدول المشتركة (النمسا وتركيا وبريطانيا) تضرب بيروت، وتحرز الانتصار على القوات المصرية هناك، مما اضطره الى الانسحاب من الشام، وعادت مصر ولاية من ولايات الدولة العثمانية، بمقتضى الفرمان الصادر في فبراير ١٨٤١

١٦١ - Kelly,J.B.: Britain.. OP. Cit.PP.34o-42

١٦٢ - يعزو المسئولون الانجليز، انسحاب خورشيد، الى حقد محمد على عليه، نتيجة الانتصارات التي حققها، وخوفه من ان ينفصل بها عن حكومة القاهرة، وهذا هراء من جانب هؤلاء المسئولين، فقد رفض هذا القائد ان يتخلى عن تلك الحكومة، رغم اغراء (على رضا) والى العراق له، ليستفيد منه في ادارة شرق الجزيرة العربية.

١٦٣ - لوريمر: حـ ٣، ص ١٣١٠ وما بعدها

١٦٤ - د. محمد عرابي نخله: مرجع سابق. ص ٩٣

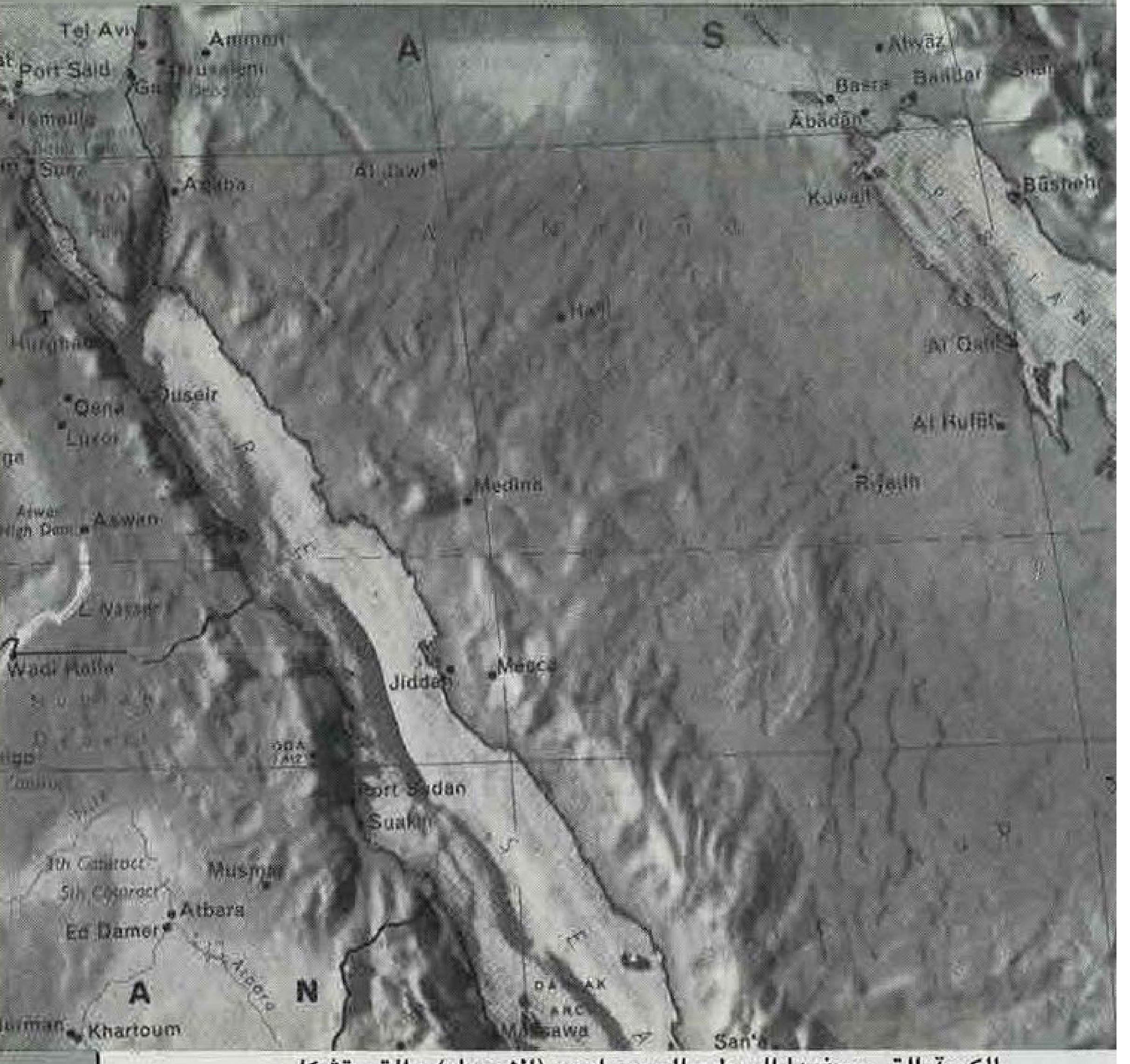


البحرين وعُمان

بقلم :

جيه . سي . ولكنسون (جامعة اكسفورد)

طبقا للمصادر الكلاسيكية العربية تقسم الجغرافية التقليدية، الساحل الشرقي للجزيرة العربية بين البحرين وعمان. وهذه الفكرة القديمة بالنسبة للبحرين تتطابق الى حد ما مع فكرة دلمون كما تتطابق عمان على وجه التقريب مع ماجان. وهذا التقسيم اساسا يقوم على فكرة جغرافية. وترتكز الحياة الاقتصادية في منطقة عمان على سلسلة من الجبال التي تمتد لمسافة ٦٥٠ كم وتشكل ميزة طبيعية بارزة لجنوب شرقي الجزيرة العربية. وتقع البحرين فوق منطقة تتكون من كتلتين من الماء اي



الكمية التي يجذبها السطح الصحراوي (الاحساء) والتي تشكل طبقة صخرية مائيـة محددة تنحـدر تدريجـا نحو الخليـج من المنحدرات (اليمامة) حول اطراف نجد (العروض) بالاضافة الى ان النقاط الطبيعية من الطبقات السطحية تخلق تحت الضغط جوا ملائما لظهور العيون التي تزود الواحات الرئيسية للاحساء بالماء من حـدود الكويت (كـاظمة) الى قـطر وعلى ارض جـزيرة البحرين نفسها.. وكان الغواصون يملأون قربهم بالماء بعيدا عن الشواطىء من نقاط التفريغ الطبيعية في البحرين،

وقد اطلق على المساحة الحدودية بين هاتين المنطقتين اسم «البينونة» لانها تفصل بينهما حسب ما ذكر «العوتبي» وهو مصدر عماني لأوائل القرن الثاني عشر الميلادي ويتطابق مع ما يقوله ياقوت في موسوعته الجغرافية. واليوم لا تشكل البينونة الا شريطا ساحليا صغيرا في غرب ابي ظبي ولم يعد الاسم الا اسما اثريا ينتشر فقط في جزء من المساحة الاصلية.

والبحرين نفسها نموذج رائع لهذه العملية (بوتس ١٩٨٣) اذ يمكن العثور على استخدام قديم لهذا الاسم في القرن التاسع عشر. فالكابتن سادلير وهو اول اوروبي يعبر الجزيرة العربية (١٨١٩) يشير الى اسم (البحرين) لكنه يطلق على البر الرئيسي (البحران) «بالرفع» (سادلير ١٩٧٢، طبع جديد ص ٥٢) في حين يقول لوريمر بأن الاسم القديم للجزيرة اي اوال كان مفهوما حتى في بداية هذا القرن.

وقد تعرض شمال عمان كذلك لتغييرات مماثلة ومن منتصف القرن الثامن عشر نلاحظ اختفاء الاسماء القديمة للمنطقة والتي ترجع الى بداية العصر الاسلامي وقبله وتشير الى المركز الرئيسي ومنطقته. وتشمل جلفار (جلافار او جرفار او جرافار) اصلا ساحل عمان بالكامل، ربما من مستوى دبي (السبخة) الى شبه جزيرة مسندم مع ان الميناء الذي عرف بهذا الاسم اطلق عليه خور رأس الخيمة الحديثة. ويختفي اسم جلفار بظهور دولة القواسم. كذلك تختفي اسماء المنطقتين الرئيسيتين الداخليتين المتتاليتين في نفس هذه الفترة. فتوام (الاصح توام) تصبح البريمي وتسمى المنطقة المجاورة (الجوّ) مع ان الاسم القديم لا يزال يستخدم كلقب (تيما) (العين) (اي عين الظواهر - انظر فيما بعد للتفاصيل عن المجموعات القبلية في المنطقة). وفي الداخل يختفي اسم (سر) ويشتهر المركز الرئيسي باسم (عبري). ويصبح كل من البريمي وعبري اسمين للواحتين الرئيسيتين وتعطى المنطقة التي تضم الاثنتين اسما جديدا هو (الظاهرة) مقابل (الباطنة) اي الجانب الداخلي لسلسلة الجبال. ويلاحظ ان هذا الاصطلاح (بدوي) الى حد ما ويستخدم لمقارنة جانبين لمظهر جغرافي واحد (راجع ايضا «الظاهر» اللقب البدوي لابي ظبي الذي يقع على ظهر «الخور» والذي هو المستوطن الداخلي للباطن). و«الظاهرة» دون شك اسم حديث نسبيا ويظهر لاول مرة في المصادر العمانية المتأخرة من بداية القرن الثامن عشر والتي تستخدم الاسماء الجديدة للمراكز في شمال عمان. ورغم

ذلك تبقى آثار الاسماء القديمة حتى اليوم بشكل مخلوط بحيث يقسم المحليون الظاهرة الى ظاهرة السر وظاهرة الجو. وترتبط هذه التغييرات في اسماء المواقع الجغرافية بالمفاهيم الجغرافية لدى السلالات الجديدة والمجموعات القبلية. كما نرى فيما بعد اذ تغيرت المنطقة كلها كثيرا بسبب الهجرات التي سبقت تغييرات رئيسية بين الاسر الحاكمة في القرن الثامن عشر وهي الفترة التي برزت فيها ملامح السلالات الحاكمة الحالية الى حد ما. في تلك الفترة حل آل سعود في البحرين القديمة محل بني خالد وكذلك بدأ العتوب وآل ثاني فيما بعد يحققون شهرة كبيرة. وانتهت سلالة اليعاربة في عمان نتيجة الحرب الاهلية وحلت محلها سلالة البوسعيد. وفي الواحات الشمالية بدأ البوفلاح والقواسم في اقامة دول مشابهة كما اتبع البوخريبان من النعيم نفس الخطوة على مستوى اقل.

وفي نفس الفترة تقلصت منطقة (البينونة) التي كانت تضم مساحة واسعة حسب المصادر القديمة ربما شملت كافة ابوظبي الغربية وشاع استخدام الاسماء المحلية كالظفرة واليوا وسمجان وسبخت مطي والبينونة الجديدة. وعلى الرغم من التغيير في الاسماء الا ان المفهوم الجغرافي القديم عن الحدود ظل كما هو. «فسبخت مطي» «حسب الشهادات المعاصرة لجميع الشيوخ وحسب الاشخاص الذين لديهم معلومات عن الموضوع والذين التقيت بهم، هي الخط الفاصل بين نجد (اي الدولة السعودية الجديدة) وعمان وكان يعتبر هكذا منذ القدم». (مايلز ١٨٧٧). وتظهر «سبخت مطي» بالضبط على الحدود بين البحرين وعمان على خريطة ف ـ وستنفلد (البحرين واليمامة لدى الجغرافيين العرب) التي اعدت في نفس الوقت وتم فيها تحديد الاماكن على الجانب العماني بوضوح. فهم يشيرون الى القبائل البحرينية/ السعودية كـ (أهل) الغرب ولا يوافقون على نظرية التقسيم التي ترجع الى الانطلاق من المنطقة الجبلية الداخلية اي الفصل بين الهناوي والغافري. هذه الصيغة العمانية معترف بها من الجانب الآخر ايضا من حيث انه يمكن لمواطن قطري ان يشير الى أبوظبي كعمان. وفي داخل عمان نفسها يطلق هذا الاسم على قلب المنطقة بحيث يميل السكان الى تسمية المساحة المتاخمة للجبل بعمان.

ورغم ذلك هناك ارتباطات مشوقة بين البحرين وعمان مما يلقي الضوء على الوضع القبلي في شمال عمان (اي من السر الى ابوظبي) وعلى التاريخ السياسي في تلك المنطقة. ومن ناحية

يمكن تتبعه الى تاريخ الهجرات بين المنطقتين ومن ناحية اخرى الى التحالفات واحيانا الى التأثير الديني الذي يربط بينهم.

العلاقات المبكرة

● العلاقات القبلية:

ان عمان شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاثة جوانب ويمتد «الربع الخالي» في الجانب الرابع. ويقتصر الوصول اليها على ممرين ضيقين احدهما على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية ويؤدي الى جنوب شرق عمان عن طريق جعلان وثانيهما عبر ساحل الهدنة الى توام.

ويبدو ان اول هجرة سجلت في تاريخ القبائل العربية جاءت من جنوب غربي الجزيرة العربية وهي هجرة (مالك بن فهم الأزدي) واتخذت طريق الممر الاول لكن الهجرة التي اتخذت الطريق الثاني ذات اهمية اكثر. لان الموجتين الرئيسيتين المتتاليتين لكل من ازد (عمان) وعمران (الأزد وهجر) وشنوءه (يحمد وأولاد شمس) اتبعتا طريق وسط الجزيرة العربية (العروض) الى اليمامة والبحرين قبل استيطان عمان. كذلك اتبعت ابن سامة ومجموعات عبدالقيس ويحتمل كنده ايضا نفس الطريق.

كان عمران من اول المهاجرين الذين وصلوا الى عمان بهذا الطريق وطبقا للعوتبي (وهو المصدر الرئيسي العماني حول ما ذكر في هذا البحث عن القبائل) فان عاصمة اليمامة القديمة وهي حجر اتخذت اسمها من حجر بن عمران. واستقر عمران على طول طريق الهجرة حتى الظاهرة الحديثة والشرقية وهكذا امتزج مع مالك بن فهم الذين كانوا من البدو وبالتعاون مع جماعات قضاعة (خاصة الراسب) هاجروا عبر جنوب الجزيرة العربية الى مجمع في جعلان ومن هناك انتشروا داخل الجبال بشكل تيار معكوس في اتجاه البحرين. وفي البحرين تحالفت جماعات مالك بن فهم وقضاعة بدورها مع عبدالقيس الذين استوطنوا ضواحي الواحات الرئيسية وانتشروا شرقا نحو عمان وشمالا الى العراق مما ادى الى وقوع تصادم بينهم وبين بني سعد من تميم وكانوا آنذاك هم البدو الصحراويون من شرق الجزيرة العربية. لقد كان تحرك كل من مالك بن فهم أزد وقضاعة وعبدالقيس شمالا هو مصدر الاساطير التي صاحبت هجرة تنوخ ومحاولات ابن الكلبي غير المعقولة لفهم اصول السلالات القبلية العربية (خاصة ما ذكره عن اندماج الازد. وقضاعة عن طريق مالك بن فهم وجذيمة الابرش) واختلاطهم مع الجاليات المتمدنة على الحدود الصحراوية في الجزيرة العربية. لكن

لا عبد القيس ولا مالك بن فهم نجحا في التعايش مع الجماعة القبلية الجديدة التي دخلت الى عمان عن طريق بوابة توام وهي بنونجو او ناجية والجماعات الاخرى من بني سامة الشهيرة (اصل من لؤي).. ويذكر التاريخ القبلي حول السلالات الشخصية ان عمران تحالف مع لؤي بواسطة زواج ابنه ازد من هند بنت سامة بن لؤي. وقد نشأت من هذا الزواج عشيرة عتيك وهو اسم قبلي لعشيرة من اصل النباهنة الطليعية كما انحدر منهم المحلبيون ايضا. (طبقا للاسلوب الذي يستهدف اكتشاف بدايات مشرفة للعائلات).

لكن المركز الرئيسي في التحالفات العربية بالمنطقة قبل الاسلام احتلته جماعات شنوءه التي هاجرت الى عمان عن طريق وسط الجزيرة العربية وربما ارتبطت هجرتهم بالاوضاع العامة لقوة العرب في الجزيرة العربية خلال القرن الرابع وهناك دلائل تشير الى ارتباطهم بكنده التي استوطنت جماعات هامة منها عمان. وبعد المرور من العروض الى اليمامة يبدو ان عشائر شنوءه سيطرت على بني حنيفة لكن جماعات من عامر بن صعصعة التي سكنت المنطقة تصدت لها فاندفعت الى الامام وتقدمت نحو البحرين حيث يقال انها غزت سكان الارض البحرية (اهل العباب) وفي النهاية بدأت تستوطن عمان ويحتمل حدوث ذلك خلال ضعف الحكم الايراني وقبل توطيد سلطة كسرى انوشروان، لكنهم حافظوا على بعض السلطة في الاماكن التي هاجروا منها اخيرا فنجد ان شيخ المعوالي (اولاد شمس شنوءه) عين رجلا اسمه باقل بن ساري (يقرأ «شاري») بن يحمد وهو اخ لخروص الشهير (بن شاري بن يحمد) من عشائر عمان، صاحب العروض في احد المناصب (ابن قتيبة طبع ١٩٦٠، ١٠٨، العوتبي، جونستون، مخطوطة ٢١٢ ص ٥ ابن دريد، الاشتقاق، ٥٠٨).

ويبدو أن هذه الجماعة من شنوءه اصبحت اهم تحالف في تحالفات جنوب شرقي الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت الاسلام وان هذا الوضع نال الاعتراف به عندما عين شيخهم "جلندي" على القبائل العربية في مزون (عمان) حسب الاتفاقية التي تمت مع الايرانيين عقب تنفيذ اصلاحات انوشروان. وقد تمت ترتيبات مماثلة مع العرب في كل من البحرين وجنوب غرب الجزيرة العربية حيث تم تعيين شيوخهم اسباض (اسبباض) وابنا (ولكنسون ١٩٧٣).

● عبدالقيس

لقد تحقق التحالف بالبحرين عن طريق علاقات عبدالقيس بعشائر مالك

بن فهم وترجع هذه العلاقات الى قصة مكافأة القائد العبدي الذي عين وزيرا لقائد «الأزد» مكافأة له على قصيدته في مدح مالك بن فهم كما سمح له بحق الاستيطان.

ونظرا لاهمية التحالف القديم بين عبد القيس والأزد فقد تكون بعض التفاصيل عن جماعات العبدي التي اوردها العوتبي مشوقة الى حد ما. وتضيف هذه التفاصيل شيئا الى النصوص الكلاسيكية (على سبيل المثال ابن قتيبة ٤ ـ ٩٣ والهمداني ـ صفحة ١٣٦ وانظر أيضا أكاسكل في اي ٢ و١، عبد القيس وبكر بن وائل وفي طبعة للكتاب عن ابن الكلبي). فبصفة عامة انتشرت الجماعات حسب السلالات وفي طليعتها (لكيز بن افصي بن عبد القيس) في المراكز الرئيسية بالبحرين. ونقل اخوة (شن) شمالا الى حدود العراق وكان وراءهم لبوع (عبد القيس). وهكذا كانت الاتصالات العمانية غالبا بفروع لكيز خاصة مع نقرة وديل وعواقة/ عيوق وعمور وعمار (انمار). وانتشرت الاخيرة في منطقة عمان وكان من فروعها جماعة بني الحارث بن عمار وخاصة عامر بن الحارث وعوف بن عمار وتفرعت الى جذيمة وعمرو.

عاش بنو عمرو بن عوف بن عمار بصفة عامة في البحرين نفسها وفرضوا مراقبتهم على المستوطنات الرئيسية في الاحساء بالتعاون مع حلفائهم بني الحارث وعواقة ويبدو ان القطيف كانت آنذاك تحت سيطرة نقرة وتواجد عامر بن الحارث في اتجاه عمان مع ان فرعا منهم عاش في هجر عاصمة البحرين. كان عامر بن الحارث من جماعة بدوية وهكذا اختلطوا مع البدو الصحراويين من بني سعد الذين كانوا يسكنون جانبي الدهناء وانتشروا الى كل من قطر ويبرين وبينونة (البكري ١٢,٥٧، وياقوت ـ المعجم ـ مقال عن بينونة) اما المستوطنتان الرئيسيتان لهذه الجماعة من عبدي فكانتا في مكانين مجهولين (الشفار والطروان ؟) لكن مساكنهم كانت في رمال كل من هجر وقطر وبينونة. وقد شكلوا ركنا في التحالف المسمى «الخارجية» (نص العوتبي غير دقيق ومن المحتمل انه يقصد الخوارج) والذي ضم على الاقل قبيلة عمار، اي عامر بن مالك. ويحكى العوتبي حكاية غريبة حول العشيرة الاخيرة فيقول عن شخص اسمه معاوية بن يحى انه ترك ديار القبيلة ومعه ٢٠٠ من اقاربه وبني عمومته واستوطن جلفار. ثم احتلت الجماعة اوال (جزيرة البحرين) وقسمت اراضيها بينها وبين سكانها من المجوس وكان عددهم قليلا.

وكانت جذيمة (بن عوف بن عمار) تسكن الساحل الذي يشتهر حاليا

(وقت كتابة البحث) بساحل عمان المتصالح وفي المناطق الداخلية على الحدود الصحراوية بشمال عمان حتى السر على الاقل وكانت تحالفات عبدالقيس معقدة وسيطرت عليها «الديل» وكانت اثنتان منها هما بنو عامر (بنو الديل) وآل عوف (بن عوف بن عامر بن الديل) من البدو الرئيسيين في منطقة توام (على الاقل في الدور الاسلامي المبكر) في حين ان بني الحارث (عمار) وكانوا محور التحالف المسمى «براجم» في المنطقة الجنوبية يسيطرون على المناطق الحدودية الصحراوية وكانوا اعداء بني جذيمة وهم اقاربهم وفضلا عن هذه التحالفات البدوية سكن بعض المتحضرين من عبدالقيس في قرى عمان نفسها ولكن هذا لا يهمنا هنا. والامر الجدير بالملاحظة هو انه منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى اواخر القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي - على الاقل كانت عبدالقيس ابرز الجماعات البدوية في شمال عمان وعمان المهادنة.

العلاقات العمانية / البحرينية: المشاعر الخليجية في العصر الاسلامي المبكر:

سيطرت الروابط الوطنية على تاريخ القبائل في الفتوحات الاسلامية (اطروحة ولكنسون ١٩٦٩ الفصل الثالث. وفي طبعة جين بول ١٩٨٣) فنجد جيش عثمان بن ابي العاص يقوم بغزوات في فارس وكانت سراياه مكونة من شنوءه ومالك بن فهم وعمران أزد وبني راسب وبني ناجية من عمان. وعبدالقيس والأزد من البحرين. وقد اتخذوا من التواج مركزهم الرئيسي لكن الاوضاع الحسنة التي وجدوها هناك اثارت حسد القبائل العربية الاخرى التي امرت بتمصير البصرة. وهذه المشاعر التي كانت معادية للمشاعر الخليجية خاصة بين قبائل الحجاز اصبحت عنصرا هاما في تطوير سياسة البصرة. فلم يتعرض أزد المزون فقط للكراهية بل كذلك جميع القبائل التي خضعت للفرس قبل الاسلام. ولولا الاسلام لبقيت القبائل الحجازية خاضعة للذين حكموهم ولظلت تعيش عيشة الذل على السواحل منعزلة عن الاراضي الخصبة ولبقيت تكسب رزقها بصعوبة من البحر او الصحراء، كما قال معاوية (الطبري (١) ٢-٢٩١١). وقد تعرضت العلاقات التجارية القديمة مع الهند وهي العلاقات التي نشأت قبل الاسلام للهجوم من قبل عشائر الحجاز الحاكمة. فعانى التجار العمانيون والبحرينيون من القانون الذي فرض عليهم بعدم بيع المنتجات الزراعية حتى بعد الوفاء بضريبة الحكومة.

ولقد لعبت مثل هذه المشاعر دورا في تفسير لماذا ظلت علاقة عبدالقيس قوية مع الازد عندما قام مسعود بن عمرو بن معان مالك بن فهم (المشهور باسم قمر، قائد الهجرة الرئيسية للأزد شبه البدويين الذين دخلوا البصرة منذ حوالي ٥٩ هـ وبعدها) بزحفه الطائش في ٦٤ هـ. كما تلعب دورا في تفسير حساسية كل من البحرين ـ اليمامة وعمان للمذاهب الثورية اجتماعيا مثل الحركة الخارجية (النجدات) والاباضية والشيعية والقرمطية. ولقد نسبت هذه الحركات في بدايتها الى الجماعات المنعزلة كبني ناجية وهم اتباع خريب بن راشد الناجي في ٣٨ هـ او المستغلين مثل الطالوت في اليمامة. لقد كان كل واحد يحاول الى حد ما ان يأتي بتغيير اساسي. وقد مثلت حركة نجدة بن عامر الحنفي في البداية مجرد مذهب لبني حنيفة في الايديولوجية الخارجية يبرر انشقاقه عن الازارقة ونجاحه في اليمامة ومحاولته الاستيلاء على البحرين وعمان (البلاذري الانساب، ٩، ١٢٥ ـ ١٤٧) هذا المذهب اعتمد على بعض الافكار عن الحاكمية وهو يرفض التحكيم وعلى الرغم من أن دولة النجدات دامت حوالي ٥ سنوات الا ان البحرين ظلت في يد الخوارج لمدة ٣٠ سنة فيما بعد. (انظر ابن الاثير ٥، ٩ ـ ٨٨ للتفاصيل التي لا ترد في اي مصدر آخر) كذلك لعبت هذه الحركات المبكرة دورا في تمهيد الطريق لتثبيت الاباضية.

ومع ذلك كان النظام القديم يتغير. فلم يدم التحالف بين عبدالقيس والازد في مواجهة العداء بين نزار ويمن الذي بلغ ذروته في العصر العباسي (المسعودي، مروج الذهب ٦، ٦ ـ ٤٥). وفي البحرين حل النفوذ الشيعي والقرمطي محل الخوارج (مع ان الفرق بين الاثنين اقل مما تعكسه المصطلحات الاسلامية). وفي نفس الوقت كانت قوة عبدالقيس تضعف هناك وتحل القبائل الجديدة محلها. هذه التغييرات التي حدثت في البحرين تزامنت مع بروز ازمة رئيسية في الامامة العمانية ادت في النهاية الى الحرب الاهلية وابعاد الاباضية عن شمال عمان بصورة دائمة. من هنا ظل سكان شمال عمان عمانيين في صلاتهم الجغرافية والاقتصادية والقبلية ولكن اصبحت المنطقة (الشمالية) غير متجانسة سياسيا ومتنافرة في الغالب مع السلطة العمانية المركزية مهما كان نوعها. وأدى هذا التطوير في ميزات الارض الى بروز بعض العلاقات الجديدة مع البحرين المجاورة.

عزل عمان الشمالية وتطويرها كمنطقة حدودية

الحرب الأهلية العمانية

من الناحية الجغرافية بقي هناك فاصل جزئي بين شمال عمان ووسطها لان شمال عمان كان منسجما مع الخليج اقتصاديا ومهتما بالسياسة التي تركز على مراقبة مدخل الخليج. لكن الخلاف السياسي برز في الافق بسبب انهيار الامامة الاولى عندما عزل موسى بن موسى وهو قائد بني سامي الخروصي اليحمدي امام الصلت بن مالك في ٢٧٢ هـ/ ٨٨٦ م ولا يتناول هذا المقال الاسباب التي ادت الى الحرب الاهلية. وكل ما يهمنا هنا هو ان ما حدث كان بسبب احتكار السلطة في المركز وتكديس الاموال التي جاءت من التجارة الخارجية في يد تحالف الازد، وقد تكون هذا التحالف من قبائل وسط عمان من يحمد وسيطر على اقليم الرستاق ووسط الباطنة. وكانوا في موقف يسمح لهم بتعيين الموظفين في المناصب العليا في سائر انحاء عمان بواسطة الامام خاصة في صحار وجلفار وهما مركزان هامان للتجارة الخارجية. وتزايد ابتعاد القبائل التي كانت تعيش وراء الجبال الى المناطق الحدودية واكثرهم عددا جماعات نزاري بن سامة ومعهم عنصر يمني رئيسي في حدان (اولاد شمس شنوءه الأزد) ومما ساعد في هذه العملية الشيخوخة المتزايدة لامام الصلت الذي كان رجلا غير فعال مع انه كان رجلا طيبا.

لقد افسد تصرفهم بعزله كلية الميزان السياسي القديم الذي تطور عبر عصر الامامة المبكرة مما جعل القتال القبلي الداخلي امرا شائعا وضعفت مكانة بني سامة وحلفائهم الحداني في منطقة الجوف. فانصرفوا شمالا وانتخبوا العالم الحداني البارز في ينقول اماما لهم وقاموا بتعبئة الافراد للانضمام الى قبائلهم في (السر) وامتدت عملية التعبئة الى الافراد من كل من عبدالقيس بن عامر في توام والواشحين (مالك بن فهم) في وسط الظاهرة وبين الحارث مالك بن فهم من الباطنة. وواصلوا التقدم واحتلوا صحار ولكن انشىء جيش من قبل التحالف العماني المركزي آنذاك وحدثت مجابهة بينهما في ضواحي مدينة قاع (٢٧٨ هـ/ ٨٩٢ م) وانهزم المتمردون تماما. وقتل العالم السامي و٦٠٠ من المساعدين النزاريين الى جانب الامام الحداني و ٨٥ من مساعديه اليمانيين. ولاذ اثنان من الزعماء الساميين الناجين بالفرار الى توام ومن هناك توجها الى البحرين طالبين عون والي الخليفة المعتضد على اساس ان الحرب كانت بين النزارية واليمانية ولما كان الخليفة يريد استئصال عش الثورات هذا (تشير

المصادر المعاصرة الى الاباضيين بهذا الاسم) ولما كان يهدف الى سيطرته على ميناء صحار المزدهر فقد امر واليه بتعبئة جيش قوي معزز بأعداء الازد القدماء (من ايام البصرة) حتى من الأماكن البعيدة كسوريا. وقد نزلوا فى جلفار وانضم الى صفوفهم القبليون الذين أيدوهم وزحفوا الى الجبال وفتحوا نزوى وقتلوا الأمام فى معركة دارت بسمد فى الشرقية وفرضوا الهزيمة على الجيش العمانى الرئيسى فى (دما) (السيب حاليا) على الساحل ثم انغمسوا فى نشر الرعب والدمار.

القرامطة

تأتى بعد ذلك فترة غموض فى التاريخ فيما يتعلق بعمان والبحرين من حيث دور القرامطة.

متى فتح القرامطة عمان بالضبط ؟ هذا أمر غير واضح. يحسبه ابن خلدون (العبر (٤) ٩٣) ٣١٧ هـ/ ٣٠ ـ ٩٢٩م (يوجد تباين فى نفس المصدر، ص ٨٩ ـ ٣١٥هـ). نقل القرامطة الحجر الاسود من مكة المكرمة فى تلك السنة وأرجح الروايات ٣١٧هـ يضيف ابن خلدون قائلا بأن القرامطة جاءوا بناء على دعوة من جماعة من بني سامة الذين كانوا يقاتلون بعضهم البعض. هذا التاريخ غير صحيح بالمرة واذا كان صحيحا فإنما يشير الى اعادة فتح صحار او وهو الاكثر احتمالا فتح حصل سنة ٣١٨هـ على يد ابو طاهر وحسبما اورده المسعودي (التنبيه ٥٠٠) فقد احتل ابو سعيد الجنابي الميناء الكبير بعد غزوات عديدة.

ولكن اذا اعتبرنا، قوله من ناحية اخرى بأن ابو سعيد الجنابى قتل فى ٣٠٠ هـ/٩١٣م صحيحا يكون رأيه الآخر مشكوكا فيه. لأنه يدلى بشهادة (وفى «مروج الذهب» (١) ٤ ـ ٢٣٣) أن احمد بن هلال (السامى ؟) كان فى منصبه فى ٣٠٤ هـ (من قبل العباسيين) فى حين أن (الطبرى ٦٨) يعتبره متواجدا هناك فى ٣٠٥ هـ. وفى الحقيقة فإنه فى تلك السنة او السنة التى تلتها ربما استولى القرامطة على صحار.

واذا نظرنا الى الشهادة التى يدلى بها كل من المسعودى وابن خلدون مع ما أورده المؤرخون الذين نقل عنهم «دى كوجى» (١٨٨٦ و ١٩٨٥) واضفنا الى كل ذلك ما هو جديد فى المصادر العمانية، فيبدو بأن ابا سعيد الجنابى نجح بصورة متزايدة فى جلب القبليين من حدود عمان الشمالية.

وقد حصلت الحركة القرمطية على مساندة «ملموسة» من أحد رؤساء الحدانى وهو عبدالله بن محمد الحدانى الذى انتخب اماما من قبل اتباعه والذى بدأ فى نشر دعوتهم ويسمى فى تاريخ عمان باسم «ابو سعيد القرمطى»

وفى حوالى ٣٠٦ هـ سقط وسط عمان ايضا فى ايدى القرامطة وكل ما نعرفه هو ان ذلك حدث اثناء أمامة حدانى آخر هو عمر بن محمد مطراف الذى استقال من منصبه نتيجة لذلك (انظر سيرة محمد بن روح القرن ٤/ ١٠) وورد فى التحفة (١)، (٢٦٥) أنه ما كان بالامكان الا ان يكون احتلالا قصيرا لان الشخص الذي اصدر الحكم بخصوص املاكهم بعد ان طردوا ثانية كان ابو المؤثر الصلت بين خميس الخروسي الذي اعيد انتخابه كرئيس لقبيلته في ٢٣٧هـ ولكن يبقى من الصعب علينا ان نحدد تاريخ انتهاء احتلالهم بعيدا عن العقد الاول للقرن ٤هـ/ ١٠م وقد يكون حكمهم قد امتد على الساحل لفترة اطول او ربما عاودوا احتلالهم في عصر ابن خلدون. وعلى كل حال فان من العبث تحديد تاريخ انتهاء حكمهم بـ٣٧٥هـ/ ٩٨٥ ـ ٩٨٦م. فبالامكان ان تكون السلالة الجديدة للوجيهيين التي حكمت على الساحل خاضعة للقرامطة وبناء على اثارتهم هاجم يوسف بن وجيه البريديين في البصرة في ٣٣١/ ٩٤٣ (الصولي (٢) ٧٩).

وكان دائما يتصدى للأمام الرحيلي ابو قاسم سعيد بن عبد الله (بن محمد بن محبوب) الذى انتخبه الأباضيون المعتدلون فى حوالى ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢م والذى كان يهدف لاعادة توحيد الصفوف فى المنطقة الداخلية وقد قتل نتيجة اضطرابات قبلية فى ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩م ـ ٤٠م. فحل محله اباضى معتدل آخر أسمه راشد بن وليد صمد نزوى (الكندي).

ولكن استقلال المنطقة الداخلية لعمان ومركز الوجيهيين انتهيا فجأة اثر الاحتلال البويهى. والمصادر الكلاسيكية متضاربة الى حد كبير حول تاريخ هذا الحدث كما تقول (فاسمر ١٩٢٧). وتذكر المصادر العمانية («بيان الشر» انظر التحفة (١) ٢٨٢ ـ ٢٨٤) صراحة بان راشد بن وليد اضطر الى التنازل عن سلطته للغزاة فى ٢٠ ربيع الثانى ٣٤٢ هـ/ ٩٥٣م وهذا التاريخ يتطابق مع البراهين الاخرى لتلك الفترة. وان الغزاة الجدد مارسوا السلطة على الساحل لحوالى قرن وعقب احتلالهم انتهت آثار الحكم القرمطى فى عمان.

وبكلمات اخرى لم يكن القرامطة فى عمان الا بمثابة فترة فاصلة، فقد احتل الساحل بواسطة تابعيهم على الاغلب لـ ٣٥ سنة بصورة متقطعة، فى حين كانت فترة حكمهم فى المنطقة الداخلية قصيرة جدا وربما لم يكن الحكم حكما مباشرا. مع ان نفوذهم دام مع القبائل الشمالية طوال بقائهم لاننا نجدهم يستجيبون بالتطوع بالرجال والاموال فى ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦ ـ ١٠٦٧ عقب النداء الذى وجهه ابن

ابو عبدالله بن سمبر فى زمن لم يكن الحاكم القرمطى قادرا على دعم سلطته. (دى جوجى ١٨٩٥) وتمتعت الإمامة بسلطة كاملة على وسط عمان مرة أخرى.

نمط جديد للعلاقات البحرينية العمانية

مهما قصرت مدة النفوذ القرمطى ومداه الا ان الأمر الذى يشوقنا هو العلاقة الجديدة بين البحرين وعمان وميزتها المظاهرة البحرينية فى عمان التى استمرت حتى القرن الحالى بشكل الغارات الوهابية والصورة الاساسية كانت تقوم على أن البحرينيين عندما كانت تتوافر لديهم زعامة قوية كانوا يقوّضون الحكومة العمانية المركزية بتشجيع ميول الحرية السائدة بين القبائل الحدودية بواسطة تأييدهم للسلالة الحاكمة المنافسة فى الشمال ولم يكن ذلك بهدف احتلال عمان بل لاخضاعها وكان دفع الخراج رمزا للخضوع. لذلك نجد نفورا فى اوساط الحكومة العمانية المركزية نحو مركزة القوة ممثلا فى البحرين. وقد ابدى العمانيون من المنطقة الواقعة فى شمال السر نحو البحرينيين مشاعر معادية.

ولكن المغايرة بين العمانيين الشماليين والسلطة المركزية الحكومية وصلت الى اقصى ابعادها اثر استعادة الامامة فى المنطقة الداخلية فى النصف الاول من القرن ٥ هـ/١١م وبطرد تابعي البويهيين فى منتصف ذلك القرن. فبدا لبرهة فقط انه سوف تأتى امامة جديدة هامة. وكان دور الاباضيين العمانيين هذه المرة ان يقوموا بالهجوم تحت قيادة الامام راشد بن سعيد اليحمدى ثم ابنه حفص فنجد لأول مرة ولآخر مرة فى التاريخ اتحاد الاباضيين الحضرميين تحت راية الامامة العمانية واعلنوا جهادا عدوانيا ضد اليمن تحت قيادة الامام ابو اسحق ابراهيم بن قيس. وفتح العمانيون الجبهة البحرينية ومع ان القرامطة كانوا ينسحبون بعد سقوط جزيرة أوال فى ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م - ١٠٥٩م الا ان البر الرئيسى لم يكن قد تم فتحه حتى ٤٦٩ هـ/١٠٧٦م - ١٠٧٧م من قبل عبدالله بن علي مؤسس سلالة العيونيين (انظر المقالات أي ١ - ٢ «عبدالقيس والبحرين» - الاحسائى - ١٩٦٠، ص ٩٨) وكان ذلك التوسع قصير الامد لأن المطالب السلالية لقبيلة يحمد فى الامامة اصبحت واضحة جدا عندما ورثها (حفص) دون تعب وحتى دون عملية انتخاب رمزية وقد اعلن عن «احقيتهم» التاريخية رسميا بصدور مرسوم من قبل مذهب رستاق فى ١٠٥٢/٤٤٣. هذا التصرف كان بمثابة رفض تام

للموقف المعتدل لمدرسة نزوى التى سبق لها ان حاولت تسوية الاحقاد القديمة الناجمة عن الحرب الاهلية ونتائجها السيئة عن طريق التراضى حول اسباب تلك الحرب. ولكن الاعلان بأن الذين ايدوا موسى بن موسى السامى فى عزل الصلت بن مالك الخروصى فى ٢٧٢/٨٨٦ قد اخرجوا لم يثر فقط سخط الحضرميين بل جعل الشماليين خارج نطاق الحظيرة ولم يتم التوفيق بينهم وبين الاباضية فيما بعد على الاطلاق ومنذ ذلك الحين نراهم اما اعتنقوا السنة واما اتخذوا بدعا متطرفة (ويلكنسون «الدراسات العربية ٣و٤).

ولكن التطرف الذى كان تميز به مذهب رستاق والطموحات المتزايدة ليحمد من رستاق للوراثة أديا الى الخلافات الداخلية حتى فى نهاية القرن ٥ هـ/١١ م وأسقط ملوك «يحمد» بعض اصول الاسلام الشرعية ولم تبق الامامة الا فى (جوف) وذلك بصورة متقطعة وفى وجه المنافسة. وبدأت تظهر الى حيز الوجود فى البلاد قوة جديدة وهى النباهنة وهم اصلا من صحار ويمثلون القوى الخارجة المتفرقة المسيطرة على السواحل. وهكذا اصبحت السياسة الداخلية فى وسط عمان صراعا ثلاثيا بين اليحمد والاسر النبهانية المختلفة التى كان مركز قوتها فى قاعدتها القبلية فى الشمال (عتيق وعمران وأزد) وبعضها فى المنطقة الداخلية وكان على هامش هذه الرؤية السياسية (الحدان) الذين خاصموا بشدة اية سلطة عمانية مركزية. وتطلعت جميع الجماعات المتنافسة الى البحرين لتزويدها بالتأييد وبالمرتزقة لان هذه الفترة كانت فترة توسع العيونيين بشكل ملحوظ اذ اعترفت جميع القبائل العربية فى الصحراء من الشام الى عمان بسلطة محمد بن ابو الحسين احمد (الاحسائى ١٩٦٠، ١٠٧)

ظهور (آل عامر)

لم يدم حكم العيونيين طويلا وحصلت بالفعل تغييرات رئيسية فى التشكيلات القبلية فى البحرين حيث بدأت كل من قبائل عامر من الجزيرة العربية تظهر منذ القرن التاسع وكذلك تميم. (الهمدانى، صفحة ١٣٦ ـ ١٣٧) ويرجع تاريخ المنافسة بين عبدالقيس وآل عامر (ربيعة بن صعصعة) الى عصر ماقبل الاسلام وسبق لنا استعراض العداوة بين شنوءه أزد وآل عامر كان آل عامر اساسا مقتصرين على اليمامة حتى عهد القرامطة وهكذا اقتصرت المنافسة داخل حدود اقليمية ولم يكن العمانيون متورطين مع قبائل وسط الجزيرة العربية بصورة مباشرة. ولكن تغيرت هذه الظروف بنهوض

القرامطة حيث تم كبح قوة عبد القيس وبرز آل عامر بشكل ملموس في شئون البحرين وعقب اعادة فتح العيونيين استعادت عشيرة عبد القيس السيطرة على المنطقة لكن آل عامر بقوا قوة نشيطة على المسرح

وفى النهاية سقطت بقايا سلالات عبدالقيس فى عقود ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٠ امام آل عامر واثناء فترة امتدت حوالي ٣٠٠ سنة فيما بعد مارست كل من اسر العقيليين وبني عصفور وبني جروان والجبور السلطة هناك. (الاحسائى ١٩٦٠، ١١٨).

وقد وقع زحف آل عامر نحو عمان حوالى اواخر القرن ٥ هـ/ ١١ م حين أسس عبدالله بن علي سلطة العيونيين على البحرين وفرض الهزيمة علي زعماء آل عامر وطرد القبليين في اتجاه عمان (الاحسائى، ١٩٦٠، ١٠١) ونصادف أول برهان قاطع لتورط جماعات آل عامر في شئون عمان عندما انهزم امام نزوى على يد محمد بن مالك الرستاق فى معركة طوّ (٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م م ؟) وكانت معه قوة من القبليين من يحمد مدعمة بالجنود الاضافية من عامر ربيعة من الشمال ومن الاحساء. وكان هذا الدعم مبنيا على الارتزاق والدليل على ذلك بأنهم قاتلوا بجانب الامام موسى بن ابو المعلى ايضا (التحفة ،ص، ٣٤٢) وبعد ذلك بقليل نجد الاحسائيين بدورهم كاعضاء فى الجيش النظامى لسلطان صحار-النبهانى - وبمساعدة قوة اضافية مكونة من القبليين من باطنة غزوا محمد بن غسان بن عبدالله الخروصى لكنهم انهزموا فى (الخوض) فى مكان لم يكن بعيدا عن (طوّ) عند المدخل الى سمائل الغربى (بهجة الابصار) حيث كان قد سقط سلف له. هذا الامام الذى ازدهر فى العقدين الاخيرين للقرن ٦ هـ/ ١٢ م (انظر البرهان فى استرن ١٩٥١) كان آخر امام قوى على مدى ٥٠٠ سنة وقد واصل هجماته فى الاحساء ووراءها فى نجد. وقد حدث ذلك على الارجح حين ضعفت الزعامة البحرينية لانه حدث تغيير آنذاك من عشيرة بني عقيل بن عامر الى بني جروان (الاحسائي ١٩٦٠، ١١٩).

واثناء العصر النبهانى اى «العصور المظلمة» التى لا نعرف عنها شيئا، اسرعت هجرة جماعات آل عامر وطوال ٥٠٠ سنة هى فترة حكمهم تسربت القبائل مثل النعيم وبنى كعب وجماعات كثيرة من العوامر من عمان نفسها الى المنطقة. وربما بدأت بعض العشائر من وائل التحرك الى الداخل عن طريق شمال عدن. (وفى عصر العوتبي يبدو ان مازن بن شيبان) كانوا متواجدين هناك. انظر ايضا ابن دريد - الاشتقاق ٣٥١) وأصبح بعضهم بارزين حتى أوقفهم فى ذلك رد الفعل فى عصر اليعاربة. ان القبيلتين

«الشقيقتين» الحبس والسيابيين ربما كانتا المهاجرين المبكرين الى المنطقة الشرقية لكن الاسر التى بدأت التسرب الى عمان الداخلية من (السر) الى غدف (منطقة رستاق) ربما كانت جماعات احتلت مناصب هامة فى حين كان المستوطنون العمانيون ينقصهم التنظيم السياسى ونذكر على سبيل المثال (انظر سيابى ـ ١٩٦٥ عن سلسلة النسب وتاريخ العبريين عن السياسة) بني حبس (منطقة حمرا) وذهول (عوابى) الذين انضموا الى العبديين وبنى عوف نوادى فرع وقسم للشيوخ قام بتعزيز عشائر متباينة فى منطقة (جاما) ليشكل بنى حراص وبنى جساس أيضا من السليف وعبرى، وجماعات مكونة من طوائف متبقية كا (الشكور) فى رستاق وحمرا وذنك ومن بنى شيبان فى الظاهرة وباطنة. لكن تم تمركز العامر بصورة رئيسية فى الشمال فنجد المستوطنين العمانيين القدماء يحاولون تشكيل جماعات قبلية دفاعية جديدة. ويتجلى هذا من مجرد تسمية الظواهر وقد اشتهرت بهذا الاسم بعض العشائر (الدرامكة وكنود) ومقابيل، فى منطقة (توام) مشيرا الى العملية التى كانت تجرى آنذاك وتشبه تلك العملية نفس العملية التى ادت الى تسمية شعب وبلد «ويلز» «فاليز» اى «الاجانب» فى بلدهم نفسه.

ولم يكن البحرينيون فقط هم الذين حلوا محل المستوطنين العمانيين الاصليين او سيطروا عليهم فى شمال عمان بل الجماعات الايرانية ايضا. فان تاريخ هجرة العرب الى الساحل المقابل فى الخليج وعلاقات القبائل العمانية والسلالات مع من كان فى الساحل الموازى، يمتد الى نفس الفترة التى تغطى تاريخ البحرين. هناك ايضا حدثت تغييرات جذرية فى تشكيلات سياسية وقبلية فى القرن ٤/١٠ هـ ـ ١١/٥ م وخاصة فيما يتعلق بانهيار علاقات جلندا التى توقفت على تحالف بنى سليمة. اثر بروز النباهنة الشماليين اكثر العشائر نفوذا فى عمان عقب انهيار تحالفات يحمد القديمة ووجد (الحدّان) انفسهم مشتتين ومحرومين من تأييد البحرين. فتطلعوا الى الساحل الايرانى بحثا عن حلفاء جدد. وهكذا ساعدوا الشيرازيين فى ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤ م ـ ١٢٤٥ م فى محاولتهم غزو عمان الذى وصل الى (بهلا). ثم فى ٦٧٥ هـ /١٢٧٧ م شاركوا الايرانيين من «اولاد رئيس» فى غارتهم الهدامة على نزوى فى وقت كان (الملك) النبهانيون، وهم اكثرية القبليين من نزوى، بعيدين عن الساحل وتبع ذلك عقوبة صارمة وانهزم التحالف (التحفة (١) ٣٥٣ ـ ٣٥٤). وذلك، لحد ما، يرمز الى نهاية (الحدّان)

الذين غابوا عن المسرح السياسى العمانى كلية وليس الامر هكذا بالنسبة الى «اولاد رئيس» (او الريائسة) الذين استوطنوا شمال عمان وأصبحوا من اقوى مؤيدي النباهنة والذين صاهروهم عندما وجد النباهنة المتأخرون موقفهم فى وسط عمان يصعب الدفاع عنه فى القرن السادس عشر. من هم «الريائسة» هذا أمر غامض. ويحتمل انهم جاءوا من ساحل (مكران) وهو المكان الذى نشأ منه البلوش.. والبلوش من (ظاهرة)

الجبور

احتلت البحرين أهمية فى سياسات شمال عمان وعمان الداخلية اكثر من كرمان وكان نفوذ كرمان غالبا مقتصرا على الساحل. كان هذا هو الحال الى حد كبير بخصوص نهوض الجبور وهم اسرة (عقيل) من اصل نجدي هزموا (ابن جروان) حاكم البحرين خلال القرن ٨ هـ/ ١٤ م.

وبسط الجبور نفوذهم على طول الساحل تحت حكم أجود بن زامل الجبرى) (ولد فى ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م) أخو سيف «مؤسس السلالة الحاكمة» وطردوا الهرمزيين من البحرين. وعندما جاء البوكرك الى الخليج فى بداية القرن السادس عشر سيطروا على شرق الجزيرة العربية كلها من البحرين الى حضرموت مع انهم وصلوا الى تفاهم مع الهرمزيين حول تقسيم السلطة على البحر والبر بينهما.

ونعرف كذلك مما أورده (دى باروس) بأن سكان وسط عمان حافظوا على انفسهم بدفع الخراج لهم وهنا تجدر الملاحظة ان المذهب المالكى ازدهر فى شمال عمان تحت نفوذهم.

وحدث تغيير جذرى فى موقفهم بعد قليل بسبب اعادة البحرين الى الهرمزيين بواسطة البرتغاليين ونتيجة للنزاعات الداخلية فى صفوفهم بعد ان قتل مقرن بن اجود فى ٩٢٧ /١٥٢١م. وبعد قليل سقطت كل من الاحساء والقطيف فى يد اسرة من البصرة، (المغامس) مما مهد الطريق فيما بعد للاحتلال العثمانى للبحرين. (الاحسائى ١٩٦٠ ـ ١١٩ ـ ١٢١، دى باروس دا آسيا، ديسمبر ٢ (٣) ٢ والبوكرك (١) ٦٦، ٧٥، ٨٤ ـ ٨٣، ٨٧، ٢ ـ ٩١ والتحفة النبهانية (الطبعة الثانية) ، ١٠٨، كاسكيل ١٩٤٩).

من هنا أصبحت القوة الجبورية فى البحرين أثرية فقط (انضم المتبقون منهم الى بنى خالد) وتركزت سياستهم على عمان. وكان لهم مجال واسع للتلاعب هناك لان الأسر العمانية القديمة من وسط عمان حاولت استعادة الامامة وطرد النباهنة من المنطقة الداخلية فى حين جاهد البرتغاليون والهرمزيون للاستيلاء

على الساحل. كذلك ساعد الشيخ الجبرى الهرمزيين فى الدفاع عن مصالحهم فى الموانىء الغمانية وعندما جاء البرتغاليون لأول مرة نرى الحاكم الجبورى المحلى فى شمال عمان يتصرف فى حماية مصالح نفسه ويمد يد المساعدة الى البرتغاليين عندما تمرد الهرمزيون فى ١٥٢٢م.

وقد حصد ثمار (هذه المساعدة) عندما عينه البرتغاليون مندوبا لهم هناك. وقد أدت الظروف غير المستقرة للغاية فى المنطقة الداخلية لتعريض المنطقة للاستغلال من قبل القبائل البحرينية بحيث أصبح التاريخ المحلى متهما بنشاطات الجماعات الجبورية المشتتة كـ (قطن بن قطن) و(قطن بن علي بن هلال بن زامل الجبري) وحلفائهم السابقين كـ(الاغبرة) أو (لغبرة) و(العوامر) و(بنو هلال).

والوضع الذى نجم عن هذه الظروف يعكسه تاريخ قصر بهلا. خلال ثلاث سنوات بين ٩٦٤ هـ و ٩٦٧ هـ (١٥٥٦ م - ١٥٥٩ م) فيبدو ان القصر، امتلكه السلطان النبهانى بن محسن بن سليمان امام بركات بن محمد الذى سبق له ان طرد من نزوى من قبل علماء ابن مداد عندما عينوا اماما منافسا وباعه الجبور الشماليون الى حلفائهم من العمير من منطقة فجوة سمايل ثم فقدوه بدورهم لصالح امام منفصل فى (منح) وبعد بضع سنوات استعاده النباهنة مرة أخرى (امام : التحفة (١)، ٣٨٦ - ٣٨٧) وبعد ان استرد النباهنة (بهلا) وهم الأسر الخروصية القديمة من هناك (اسرة سليمان بن سليمان) ومنذ ذلك الوقت اتخذ الصراع فى المنطقة الداخلية صبغة الشمال ضد الوسط وبدأ السلاطين النباهنة المتأخرون تحصين مراكزهم فى كل من (ينقل) ومقنيات وتطلعوا الى نيل التأييد من الجبور الشماليين و (أولاد رئيسى). وفى أواخر القرن السادس عشر استولى (سليمان بن المظفر) على عمان كلها وهو الامر الذى ادى الى الشقاق بينه وبين حلفائه السابقين بما فيهم الشيخ الجبورى الذى انضم الى صفوف النزويين المتمردين. لكن الاسرة التى كسرت اخيرا ظهر النباهنة كانت (عمير من منطقة سمايل) وهى أسرة بحرينية سابقا. فبالتحالف مع الملك طردت السلطان النبهانى من صحار بمشاركة (بنى هنا) من (بهلا) وبن علي من معقلهم الاخير في (مقنيات) و(ينقل).

وقد أدى سقوط الحكم النبهانى الى فراغ فى السلطة الحكومية المركزية فى عمان ويظهر ان الرئيس العميرى تخلى بسرعة عن أية محاولة لينظم حكومة «بديلة» فاستفادت نتيجة ذلك العشائر البحرينية القديمة من اسر الشيوخ التى أصبحت عمانية غالبا

بتوطيد دعائمها فى البلاد التى احتلتها. ومن البريمى و (لوا) (فوق صحار) في الشمال و(مقنيات) و (ينقل) و (بات) فى (السر) ومن (منح) فى (الجوف) الى (سمبر الشأن) و (ابرى) فى الشرقية احتل كل من الجبور وبنى هلال و (الأغبرة) القلاع الرئيسية. وعلى الساحل كذلك دعم البرتغاليون احتلالهم فى آخر محاولة لهم للحفاظ على كيانهم فى منطقة الخليج. اثر هذا الحصار تشتت العمانيون أنفسهم بين الملك المحليين وكانت بقية آثار الاباضية بل النظم القبلية القديمة نفسها محكومة بالاضمحلال بصورة نهائية.

ونتيجة رد فعل استثنائى تم انتخاب عضو من أسرة ملك المحلية من رستاق ذلك عندما انتخب (ناصر بن مرشد اليعربى) اماما فى ١٦٢٤م و قصة طرد او اخضاع الاجنبى سواء على الساحل او فى الداخل فى ربع القرن التالى لا تخصنا هنا كما لا يخصنا تاريخ التطورات التالية فى القوة البحرية او الازدهار الذى تمتعت به عمان نتيجة تطور القوة البحرية. ولكن يجب علينا ان نلاحظ هنا ان عمان توحدت مرة اخرى وجرت فى اطارها القبلى تغييرات جذرية. وفى هذه العملية انضمت الجماعات البحرينية القديمة الى البنيان الاجتماعى والاقتصادى للمنطقة وهكذا تم امتصاص الموجة الرئيسية البحرينية الاخيرة لكن المنطقة الشمالية كالعادة ظلت منطقة حدودية وفى (السر) وفوقها فان العلاقات بين القبائل والامراء وبين الحكام العمانيين المركزيين فى احسن الاحوال، كانت قلقة. وهكذا فإن اكثرية زعماء القبائل ناصروا قضية المتمرد محمد بن ناصر الغافرى الذى اعلن امامته فى نزوى فى ١٧٢٤م وحتى عقب هزيمته فى ١٧٢٨م ظلت المنطقة تحت نفوذ الغافرى الى حد ملحوظ. اما موقفهم تجاه سلطة الحكومة المركزية فقد ورد تلخيصه فى «سيرة الأمام محمد بن ناصر» وتم تدوينه للشيخ الغافرى فى ١٨٧٧ م حسبما يلى:

« تغيرت الدولة ونشبت حرب أهلية. ثم قتل (بالعرب بن سلطان) (اليعربى) على يد احمد بن سعيد (اول حاكم بو سعيدى).

وقد أخذ الله كلا منهما».

ومرة اخرى اكدت القبائل الشمالية شبه استقلالها وبرز الى حيز الوجود بعض زعماء المهاجرين البحرينيين القدماء باحتلالهم مكانة الامراء المحليين كـ البوفلاح (بنى هلال) و(البوخريبان) و(آل حموده) (النعيم) على الجانب الصحراوي في الحدود الشمالية، فى حين تنعكس الصلة الايرانية فى نهوض القواسم

الذين سيطروا على (الهولة) على مدخل الخليج وهم من السكان الايرانيين والعرب المخلوطين. وبسبب الشقاق الذى حدث فى صفوف عائلات البوسعيد المنافسة أصبح الموقف ملائما جدا للتدخل البحريني. ولم يمض وقت طويل حتى سنحت الفرصة. ولكن قصة نهوض الدولة السعودية والزحف فى اتجاه عمان تشكل تاريخا موثقا ولا تحتاج الى سردها مرة ثانية هنا. الا انها تتميز بميزة تورط اليمامة والبحرين فى عمان وحتى سنة ١٩٥٥م ظلت خطوط التداخل كما كانت.

وعندما كتب الكولونيل بيلى فى ١٨٦٦:

« ان الميزة الاساسية لهذا التسرب هى ان عدد الوهابيين النجديين الاصليين من بين الغزاة كان قليلا نسبيا. بالعكس كان قادة القبائل الحدودية على حدود عمان نفسها.»

فكأنه كان يكتب عن تاريخ الجبور والقرامطة والخوارج (النجدات). ان تحليل تطور النزاع حول البريمي يشير الى استنتاج ان سياسة الترهيب والترغيب، التى تميز بها تورط اليمامة / البحرين / نجد الاحساء فى شئون المقاطعة العمانية الشمالية لم تختلف.

سطور من تاريخ البحرين والخليج اعتماداً على الوثائق الهولندية

التواجد الهولندي في الخليج يعمل على ابتزاز ثروات

يحوط الغموض كثيرا من الاحداث في الخليج في القرن السابع عشر والنصف الاول من القرن الثامن عشر.. ورغم تعدد المصادر التى يتشكل اغلبها من تقارير المقيمين الاجانب او التجار الا انها تتضارب تضاربا شديدا بل ويناقض بعضها بعضا في كثير من الاحيان. وقد حرصت الوثيقة منذ العدد الاول على ان تحشد اكبر عدد من الابحاث حول هذه الفترة حتى يمكن في النهاية ومن خلال المقارنة والتحليل الوصول الى الحقائق. وعلى هذه الصفحات نقدم صورة من هذه الأحداث اعتمادا على الوثائق الهولندية كتبها احد الخبراء في هذه الوثائق.

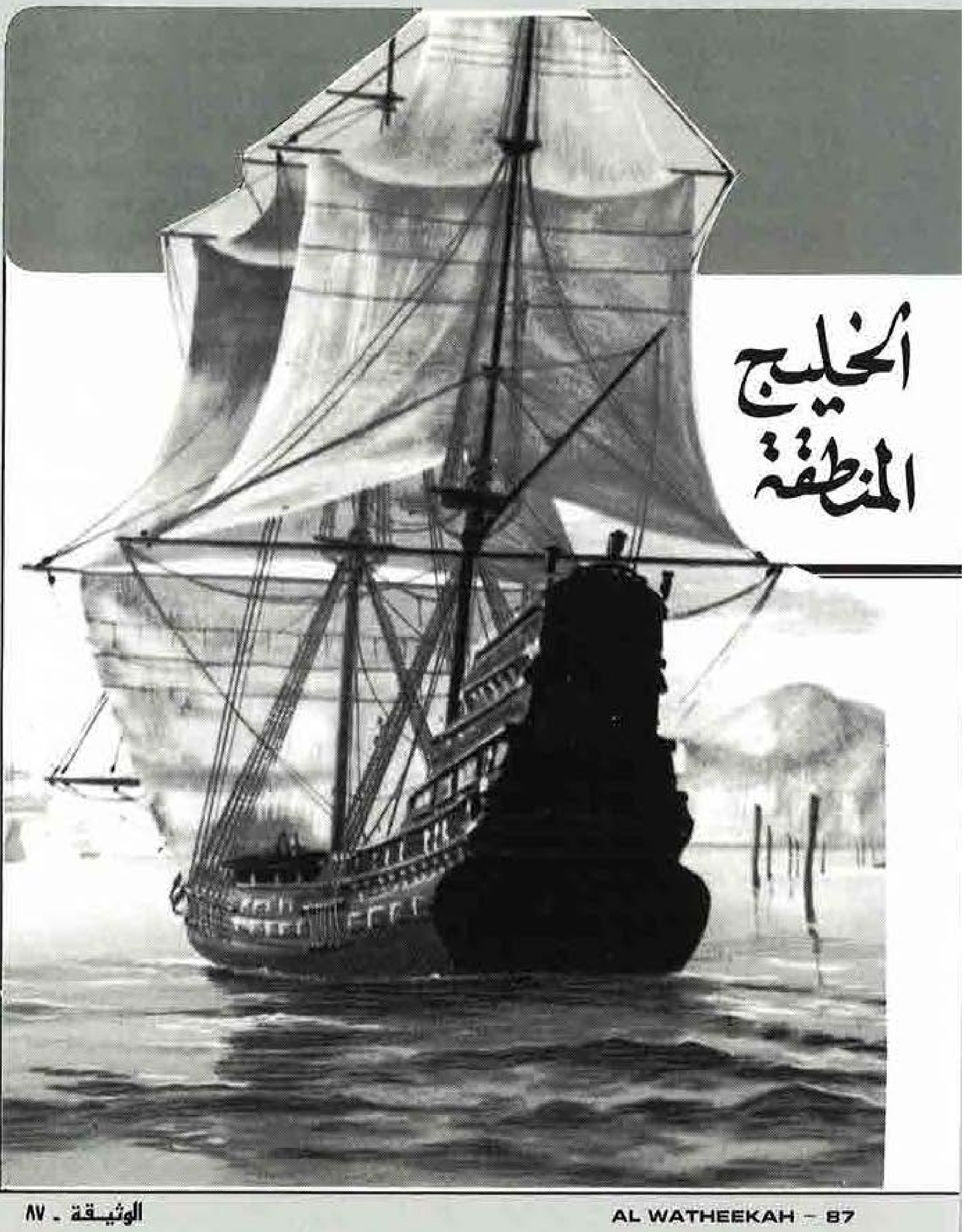
(الوثيقة)

بقلم: البروفيسور:

ب. جيه سلوت

من الارشيفات الهولندية

الخليج
المنطقة



تأسسس المكتب الرئيسى لشركة الهند الشرقية الهولندية في الخليج بين ١٦٢٣م و ١٧٤٧م في وسط مدينة جمبرون وفي مبنى من طراز الباروكى تظهر صورته المنقوشة في كتاب السائح الهولندي سترايس وكان يطلق عليه اسم (المصنع) [1] نظرا لان المبنى تأثر بسبب تعرضه للزلازل لدرجة انه اصبح مدمرا جزئيا في اواخر العهد الصفوي ولما كانت الحاجة ماسة لتوفير امان اكثر ضد الاضطرابات فقد تم بناء مبنى آخر من طراز قليعة خارج المدينة وتوجد صورة له في الأرشيفات العامة في لاهاى [2] وكانت لشركة الهند الشرقية الهولندية مكاتب في اماكن اخرى فكان لها تمثيل في البلاط الملكى الايراني في اصفهان ومصيف في الجبال فوق جمبرون ومندوبون في كل من كنغ ولار وشيراز (حيث كان للشركة صانع للنبيذ) وكرمان وبوشهر. وبعثت الشركة أيضا بحملات تجارية الى كل من بندريق والبحرين والبصرة ومسقط داخل حدود ايران وخارجها وقد ظلت مكاتب الشركة في البصرة ومسقط لفترات قصيرة او طويلة من حين لآخر وغادر الهولنديون جمبرون في ١٧٦١م واحتل شيخ محلى مبنى مكتبهم [3] وعقب مغادرتهم جمبرون ركز الهولنديون نشاطاتهم حول البصرة في منطقة الخليج حتى اضطروا الى الخروج منها نتيجة الصراع الذي وقع بينهم وبين المحافظ العثماني المحلى وحصل الهولنديون بعد ذلك على جزيرة خرج من مير ناصر [4] وكانت هذه الجزيرة هي المؤسسة الوحيدة للهولنديين في الخليج حتى احتلها مير مهنا وهو ابن مير ناصر في عام ١٧٦٥م.

وحتى عام ١٧٤٩ تمتعت المؤسسة الهولندية في بندر عباس بدرجة مديرية وبعد سقوط الحكم الصفوي لم يعد رئيس المكتب الهولندي يتمتع بمنصب المدير وحمل لقب «هوفد» أو «خزاخ هبر» اى رئيس المكتب وكان يساعده مجلس يضم عدة اعضاء منهم نائب الرئيس والضباط المسئولون عن التجارة وكبير المحاسبين وأمين المستودعات وقائد حامية صغيرة للجنود الأوربيين وشكل مجلس قضائي من بين اعضاء المجلس السياسى ومارس سلطته القضائية بشأن المواطنين الهولنديين وكذلك كان هناك عدد من صغار الموظفين مثل الكتاب والحرفيين والعساكر وعدد كبير من الخدم المحليين وبعض المسئولين المحليين كالسماسرة (خاصة البانيان والأرمن) والمترجمين من الأرمن وفي بعض الأحيان بعض العثمانيين المسيحيين من حلب [5] وكان يحدث أحيانا تعيين المدير مؤقتا في منصب اعلى وذلك بترقيته الى رتبة سفير في البلاط الفارسى وأرسل احيانا مفوض

برتبة مفتش ودرجته اعلى من درجة المدير وخول صلاحيات القيام بمفاوضات مع السلطات الايرانية.

أما المكاتب الفرعية فكان يرأسها المقيمون الهولنديون وقد خصص اثنان منهم لكل مكتب وان كان عدد الهولنديين من بين هيئة الموظفين كبيرا مثلما كان عليه الأمر في اصفهان وفي بعض الاحيان في البصرة وقد شكل الاعضاء الكبار منهم مجلسين لهم.

أما بوشهر فلم يكن فيها اي مقيم بل كان فيها موظف أقل رتبة من المدير [٦] كما لم يكن هناك أي ممثل هولندي في بعض المكاتب وكان المسئول عنها سمسارا ارمينيا او بانيان او رئيسا للمكتب مثلما كان الأمر في كرمان وفي بعض الاحيان في مسقط.

وكان المدير يحصل على تعليماته من حكومة باتافيا العليا وهي السلطة الحاكمة للجزر الهندية الشرقية الهولندية بمقرها في باتافيا (جاكارتا) وتكونت من الحاكم العام ومستشاريه وكان أهمهم المدير العام الذي ترأس العمليات التجارية في آسيا. ونظرا لقصر المسافة بين ايران وأوربا كان المدير في ايران يراسل مباشرة لجنة المدراء في هولندا (السادة ١٧) ولم يكن الهدف من ذلك الا اشعار المدراء بالاوضاع. وكان السادة ١٧ قد خول حكومة باتافيا العليا سلطة إدارة شئون آسيا وكثيرا ما ارسلت التعليمات الى ايران عبر باتافيا.

وبعد ان تدهورت المصالح الهولندية في ايران (عندما انتشرت الفوضى في أواخر عهد الحكم الصفوي) مالت السلطات الى خفض درجة تمثيلها في ايران ولم يحتفظ رئيس المكتب في ايران برتبة «المدير» بل كان يدعي رئيس الادارة فقط.

وفي عام ١٧٤٩م فقدت جمبرون مكانتها وأصبحت مجرد مقيمية متواضعة كما لم يخضع مدراء الشركة في البصرة منذ ١٧٤٧م لسلطة جمبرون وظلوا مسئولين أمام سلطة باتافيا[٧] بصورة مباشرة وفي نفس الوقت وضعت المؤسسة في بوشهر تحت سلطة المقيمين في البصرة وكل هذه الاجراءات أدت الى رفع مكانة البصرة من ذلك الوقت. وحتى نهاية تواجد المؤسسات الهولندية في الخليج حمل ممثلو الشركة لقب «المقيمين» فقط وكان هناك مقيمان عامة احدهما رئيس المؤسسة والثاني نائب له. ويرجع سبب ذلك الى عدم تواجد مجلس سياسى مكون من ضباط كبار في المكاتب ليحمل مسئولية الادارة.

وفي النهاية تخلت الشركة الهندية الهولندية عن البصرة عقب نزاع برز بين المقيم الهولندي ومحافظ البصرة وبعد قليل اغلقت الشركة مؤسستها في بوشهر أيضا وفتحت مكتبا جديدا في جزيرة خرج. وقد اختلف هذا المكتب



٩٠ ـ الوثيـقة

○ مدينة جمبرون ويظهر في وسط الصورة مبنى الشركة القديم



الوثيقة - ٩١

وقد دمر هذا المبنى وانشىء مبنى ثان ـ لوحة رسمت عام ١٦٦٦م

عندما كسدت التجارة في جمبرون ..

تطلع الهولنديون الى لؤلؤ البحرين

عن المكاتب الاخرى في المنطقة لان الشركة ادعت سيادتها على جزيرة خرج بموجب تعهد كتابي لـ مير ناصر حاكم بندريق [٨] وكانت للهولنديين في خرج قلعة صغيرة وفيها حامية مكونة من الزنوج الافريقيين ولديهم اسطول صغير عبارة عن عدد من السفن المحلية معدلة لتحمل المدافع الافرنجية وكان البحارة من جزيرة بالى (في اندونيسيا) [٩].

وعندما اغتيل مير ناصر ورفض خلفه ان يفي بتعهد أبيه دارت في السنوات التالية عدة صراعات متقطعة بين مير مهنا والهولنديين حتى انتهى تواجد الهولنديين في منطقة الخليج نهائيا في عام ١٧٦٥م.

واحيانا طرح اقتراح عودة الشركة الهندية الشرقية الهولندية الى البصرة وكان الاقتراح مدار بحث للمرة الاخيرة عندما وجه والي البصرة دعوة للهولنديين في عام ١٧٩٣ ليعودوا اليها [١٠] ولكن لما كان حجم التجارة الهولندية بين الجزر الشرقية الهولندية ومسقط لم يزد فان الشركة لم تعد للخليج.

وعندما فتح الهولنديون مؤسستهم في جمبرون في عام ١٦٢٣م لم يوسعوا أنشطتهم فورا الى الأماكن الأخرى من الخليج وفي البداية لم يكن مثل هذا التوسع دون اخطار. وكان البرتغاليون في مسقط يسيطرون على مدخل الخليج من رأس الخيمة وخصب (في عمان) ولم تكن الأماكن الصغيرة في الخليج آمنة الا في سفن كبيرة ولم تكن السفن الكبيرة ملائمة لزيارة الأماكن الصغيرة إقتصاديا وفي البداية كانت الأسفار في الخليج ضرورة ملحة واصبحت جمبرون مركزا تجاريا هاما في الخليج بسرعة حيث وجدت بضائع تجارية متنوعة معروضة للبيع وبعد ان ازدهرت التجارة هناك لعشر سنوات بدأت الأرباح تقل وفكر الهولنديون في طريقة أخرى لكسب الأموال [١١] وكانت تجارة اللؤلؤ احد هذه البدائل.



اتصل نيكولاس اوفرسخى مدير المؤسسة الهولندية بـ «انطونيو دور» أحد تجار البندقية يسأله النصح حول اهمية اللؤلؤ ورواج تجارته (١٢) وهنا لابد ان نذكر ان البندقيين لعبوا دورا نشيطا في تجارة البحرين في القرن السابع عشر ويذكر مصدر هولندي آخر لأواخر القرن السابع عشر بأن البندقيين اليهود كانـوا في طليعة مجموعات التجار في البحرين وفي عام ١٦٢٤م اشترى أوفرسخي كميـة صغيرة من اللؤلؤ على سبيل الاختبار وأرسلها الى هولندا ولكن تبين في هولندا بان هذه اللآلىء غالية جدا وثمنها ليس متاحا للكثيرين (١٣)

ومن هنا اهتم الهولنديون بالبحرين ابتداء من عام ١٦٤٠ بصورة مباشرة وكان هذا الاهتمام مرتبطا بكساد

تجارتها مع ايران. لقد فكر كل من الهولنديين والانجليز في أساليب تنشيط التجارة وتطويرها في وقت ازدادت فيه منافسة البرتغاليين واتجه الانجليز والهولنديون للبحث عن مواقع تجارية اخرى في الخليج. قدم البعض اقتراحات لاختيار البصرة وبندر كنغ. ولكن يبدو ان الانجليز الذين بادروا بالبحث عن الأماكن المناسبة وجدوا ان كلا من البصرة وبندر كنغ غير مشجعة فبعث الهولنديون باحد البانيان الى البصرة لدراسة السوق هناك ولكنهم لم يتخذوا أية خطوات جدية ودار البحث عن القيام بزيارة البحرين لشراء اللؤلؤ لكن الهولنديين ترددوا في تنفيذ هذه الفكرة لان المشتريات السابقة من اللآلىء التى قام بها أوفرسخى قبل عدة سنوات كانت لا تزال متبقية في هولندا (١٤).

ورغم ذلك أرسلت حكومة باتافيا العليا في ديسمبر ١٦٤٢م رسالة للمدير الهولندي في ايران وافقت فيه على قراره بعدم شراء اللآلىء لكنها في نفس الوقت طلبت منه دراسة تجارة اللؤلؤ كى يعرف «اسرارها» وتم تنفيذ هذا الامر على الفور. ففي مايو ١٦٤٣م أرسل كارل كونستانت مدير المؤسسة الهولندية في جمبرون، كوبمان هندريك والخرت وهو من الأعضاء البارزين في هيئة الموظفين الى البحرين وبندر كنغ للبحث عن الامكانات التجارية هناك وأيضا لمعرفة اسرار تجارة اللؤلؤ. وتتضمن الأرشيفات الهولندية التعليمات التى اصدرها كونستانت الى والخرت بهذا الصدد. وكان على والخرت ان يسافر مع نائب له هو اوندر كوبمان هوبرتس كوسترس ومعهما البانيان شكبت إلى بندر كنغ لشراء اللؤلؤ. وكان الهولنديان على المام باللغة العربية نطقا وكان عليهما ان يتوجها الى البحرين من بندر كنغ ويستأجرا بيتا فيها ويحاولا بيع بعض المنتجات الهولندية ومعرفة اسرار تجارة اللؤلؤ. وكان (على والخرت) ان يستفيد من خبرة البانيان شكبت ولكن بحذر فقد تضمنت تعليماته الا يعتمد عليه كلية. وكان على هذه المجموعة ان تبقى في البحرين طوال موسم صيد اللؤلؤ الذي يمتد من يوليو الى اكتوبر. ويبدو ان كونستانت قد الم فعلا بتجارة اللؤلؤ لان التعليمات المفصلة التى أصدرها (الى والخرت) تتضمن بعض التفاصيل المشوقة عن هذه التجارة. (١٥)

ولكن هذه المهمة لم يقدر لها الكثير من النجاح فقد توفي (والخرت) في جمبرون بعد أن اصيب بالحمى قبل موعد مغادرته لها وواصل كوسترس سفره من بندر كنغ الى البحرين في سفينة محلية ولكنه صادف شخصا من حاصلون (ابو ظلوف في قطر)

جرده من مبلغ ٢٥٠٠٠ جلدر كان يحمله معه لشراء اللآلىء وكان هذا الحارس العربي رجلا طيبا لانه عندما عرف بان كوسترس هولندي وليس برتغاليا، أعاد له الأموال التى اخذها منه وكان يريد اعادة المبلغ كله ولكنه كان قد وزع بعضه على رجاله ومن «حاصلون» توجه كوسترس الى البحرين حيث مكث عدة شهور وخلال هذه الفترة تمكن من بيع كمية صغيرة من البضائع الهولندية التى كانت معه باسعار معقولة لكنه وجد أن البحرين سوق صغير للتجارة الهولندية لان النفقات غير المباشرة التى كان يكلفها نقل البضائع عن طريق البحر من هولندا كانت كبيرة وكانت التعليمات التى اصدرها كونستانت تتضمن شرحا مفصلا عن انواع مختلفة من اللآلىء والحد الاعلى لأسعارها والكميات التى يسمح بشرائها.

ولكن كوسترس لم يستطع ان ينفذ هذه التعليمات لأن اللآلىء التى طرحت للبيع في البحرين كانت من فئات مخلوطة منها الجيد ومنها الردىء بينما كانت هولندا ترغب في شراء نوع جيد فقط من اللآلىء. ولما طلب (الممثل الهولندي) النوع الجيد فقط من اللآلىء ارتفعت الأسعار الى درجة أصبحت غير مربحة تجاريا. ولم يرض كونستانت بالتقرير الذي قدمه كوسترس عقب عودته من البحرين وللأسف لم يعثر على هذا التقرير الذي تضمن أيضا «مذكرة» ووصفا عن الأوضاع السياسية والاقتصادية التى كانت سائدة في البحرين [١٦].

وعقب فشل مهمة كوسترس ظلت الأمور على منوالها لمدة طويلة قبل ان يهتم الهولنديون بممارسة ضغط على ايران من أجل تخفيض الرسوم على التجارة الهولندية وعدم التعامل مع البرتغاليين. وكان أحد المقترحات المطروحة للدراسة هو محاصرة الخليج كله لعرقلة البرتغاليين الذين كانوا لا يزالون يحصلون على نصف العائدات الجمركية من موانىء كل من البحرين وبندر كنغ والقطيف ومن الايرانيين وفرض مراقبة خاصة على البحرين [١٧] وكانت العلاقات بين هولندا وايران قد تدهورت في عام ١٦٤٤م الى درجة ان الحكومة العليا في باتافيا قررت اغلاق مكتب الشركة في جمبرون في نفس العام كما قررت احتلال جزيرة قشم كي تكون قاعدة آمنة لاعمالها التجارية في الخليج دون ان تعرض نفسها لابتزازات واعتداءات الايرانيين وفي نفس الوقت قررت إرسال حملة تجارية الى البصرة [١٨].

ولم تنجح العمليات العسكرية الهولندية الا في نطاق محدود ولكنها كانت قوية التأثير على الايرانيين لان سفيرا هولنديا إستطاع ان يبرم اتفاقا مرضيا معهم [١٩].

وشهدت اوائل الخمسينات من القرن السابع عشر محاولات جادة من شركة الهند الشرقية الهولندية لتوسيع مصالحها في آسيا وفي نفس الوقت كان الهولنديون يحاربون كلا من الانجليز والبرتغاليين وناقش الهولنديون عدة اقتراحات جديدة ومنها اقتراح إرسال ممثلي الشركة الى البحرين ورأس الخيمة لشراء اللآلىء لكنها لم تنفذ. [٢٠].

وكان من المتوقع ان الهولنديين، بعد انتزاعهم سيلان من البرتغاليين وفرض سيطرتهم على مغاصات اللؤلؤ في مياهها وفي مياه الجنوب الشرقي لشبه القارة الهندية سيفقدون إهتمامهم باللآلىء الخليجية لان المراسلات الادارية ذكرت عدة مرات بان اللآلىء الخليجية تنقصها جودة لآلىء سيلان ولكن كان الطلب على اللؤلؤ في غرب أوروبا ملحوظا مما دفع الهولنديين الى شراء لؤلؤ الخليج وسبق لهولندا طلب اللآلىء الخليجية في عام ١٦٣٣م [٢١] ودعى خبير هولندى في اللؤلؤ من سيلان الى ايران. ولكن كان الحصاد في موسم صيد اللؤلؤ لعام ١٦٦٣م بالبحرين غير مثمر وقيل ان خبيرا سيرسل الى بندر كنغ في نهاية الموسم لعام ١٦٦٤م. لشراء اللآلىء وان الاهتمام بـ كنغ لم يكن لمجرد اللؤلؤ بل لان كنغ كانت قد اصبحت مركزا تجاريا هاما بين الهند والخليج ورغب الهولنديون ان يكون لهم نصيب في السيطرة عليه [٢٢].

ولم يكن ميناء جمبرون قد ازدهر آنذاك ورغب الهولنديون في إعادة النظر في تنظيم مكاتبهم في الخليج من جديد وتمثيل هولندا في كل من بندر كنغ ومسقط[٢٣]. وفي ١٦٦٣م أرسل احد البانيان من موظفي شركة الهند الشرقية الهولندية الى البحرين ليدرس ظروف تجارة اللؤلؤ ويشتري بعض اللآلىء[٢٤]، لكن العملية لم تكلل بالنجاح وفي العام التالي ارسل وليام بوزيم وهو خبير هولندي في اللؤلؤ الى بندر كنغ لدراسة الاتجار في اللؤلؤ ولكن دون جدوى. وخطط الهولنديون لصرف ٥٠,٠٠٠ جلدر لشراء اللؤلؤ لكنهم لم يستطيعوا صرف اكثر من ٩٠١ جلدر لهذا الغرض وحسب قول هذا الخبير لم تكن لآلىء البحرين ذات جودة عالية وعلى الرغم من ان لمعانها يدوم اطول من لآلىء سيلان الا انها كانت أقل بياضا. وقد تبين انه يمكن شراء لآلىء أقل جودة وارسالها الى روسيا مما يعود بارباح كما نوقش امكان ارسال بعثة الى البحرين في العام التالي كي تقوم بتقييم تجارة اللؤلؤ فيها بالمقارنة مع بندر كنغ[٢٥]. ولكن في عام ١٦٦٦م قام بوزيم بزيارة بندر كنغ فقط وحده ولم يستطع كذلك شراء اللآلىء الا بكمية قليلة[٢٦]. وانصرف الهولنديون بعد ذلك عن

اهتمامهم باللؤلؤ ولفترة طويلة.

وفي أواخر الثمانينات من القرن السابع عشر وأوائل التسعينات تجدد اهتمام الهولنديين بتجارة اللؤلؤ وكان هذا الاهتمام مرتبطا بالازمة المالية التي واجهتها الامبراطورية الايرانية. وكانت الامبراطورية تواجه تدهورا اقتصاديا حادا منذ فترة طويلة مما أدى الى خفض قيمة العملة. ولم تكن عملية بيع المنتجات الهولندية لايران مقابل عملة خليجية ضعيفة عملية مربحة [٢٧]، فبحث الهولنديون عن البضائع الثمينة الاخرى وعثروا على اللؤلؤ كبديل طبيعي وسرعان ما تحولت كل من البصرة وبندر كنغ الى مركزين هامين لشراء اللؤلؤ. وسبق للهولنديين ان كان لهم في البصرة مكتب دائم او شبه دائم وقد فتح مكتب لهم في ١٦٩٠؟ في بندر كنغ[٢٨] وحقق الهولنديون لاول مرة ارباحا من تجارة اللؤلؤ واشتروا كميات كبيرة منه من الخليج[٢٩]. وبحث الهولنديون ثانية امكان شراء اللؤلؤ من مكان اقرب الى مصدره او تشغيل مغاصات خاصة بهم في الخليج واستغلالها على طراز مغاصات سيلان وجنوب الهند. فارسل الخبراء إلى الخليج من كل من سيلان وهولندا وكان من بينهم جاكوبس هوجكامير الذي ارسل للبحرين ليجرب صيد اللؤلؤ بنفسه ولكن آراء هوجكامير بهذا الخصوص لم تكن مشجعة فقد قضى هوجكامير بعض الوقت في المياه حول البحرين ووصل الى نتيجة مؤداها ان العملية غير مربحة. ويبدو أن اللآلىء التي كانت تباع آنذاك في كل من كنغ والبصرة كانت من الفئات الممتازة وهو ما كانت ترغب فيه هولندا بينما اتبعت البحرين التقليد السابق في بيع الفئات المخلوطة التي تضم اللآلىء الممتازة والرديئة وكانت عملية صيد اللؤلؤ نفسها مخاطرة مشوقة للمغامرين ولكنها لم تكن شيئا توصى الشركة بتبنيه وتضمن تقرير «هوجكامير» بعض التفاصيل الشائقة عن انواع واسعار اللؤلؤ ولكن من سوء الحظ ضاعت المذكرة التي احتفظ بها «هوجكامير»[٣٠]. اثناء رحلته.

ولم يدم نشاط الهولنديين في تجارة اللؤلؤ طويلا. اذ وقع حادث في بندر كنغ فقد انزلت السلطات الايرانية علم الشركة الهولندية من على سارية مكتبها بناء على تحريض البرتغاليين الذين ادعوا احتكارهم للتجاة في ذلك المكان[٣١]. واضطر الهولنديون إلى اغلاق مكتبهم في البصرة بعد قليل لان الصراعات بين العرب والاتراك تفاقت لدرجة استحالت معها ممارسة التجارة هناك وقد اوقف الهولنديون كل نشاطاتهم في شمال الخليج تماما ولسنوات عديدة.

تتوفر وثائق كثيرة عن البحرين

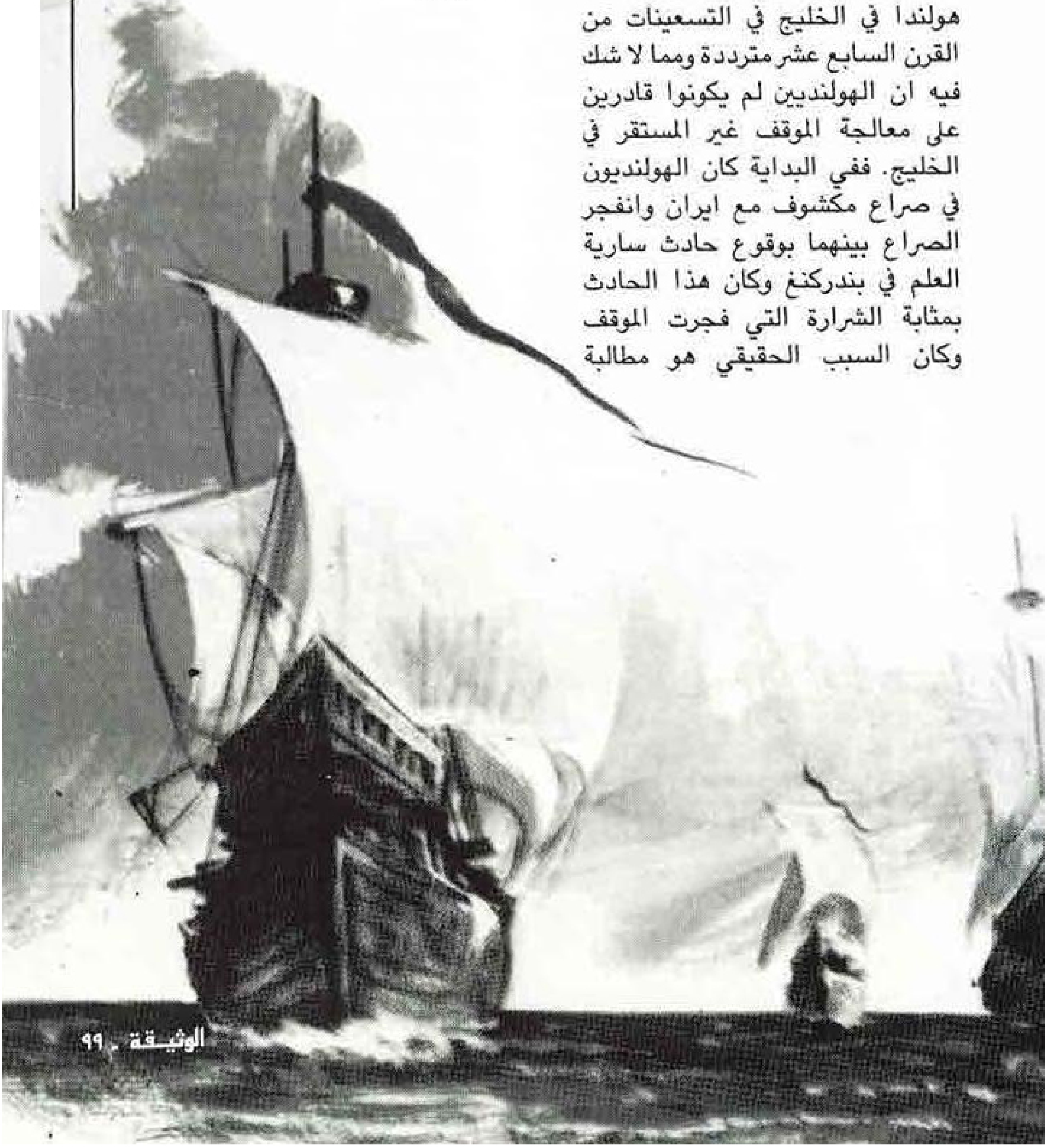
الهولنديّون في الخليج ينقلون مَكا

للسنوات من ١٧١٥م الى ١٧٢١م وتتعلق كافة هذه الوثائق بهجمات من مسقط على البحرين واحتلال قوات مسقط المؤقت للبحرين فيما بعد. لقد جاءت هذه الهجمات في اطار حرب طويلة دارت بين مسقط وايران في الخليج ومنذ تحرير مسقط من الاحتلال البرتغالي كانت السفن العربية من مسقط تهاجم السفن المعادية في الخليج. في البداية كانت هذه السفن برتغالية ثم من سورت وفي النهاية كانت المصالح الايرانية ايضا معرضة للهجمات لان التجارة البرتغالية في بندر كنغ كان لها سهم متزايد في التجارة الخارجية لايران. وفي الحقيقة فإن تطور الخصومات في الخليج وفي مداخله لم يكن الا محاولة من مسقط لاحتكار التجارة الخارجية في الخليج[٣٢] . وانطلاقا من هذا الهدف كان عليهم ان يهاجموا اولا السفن البرتغالية (معظمها كانت سفنا من غرب الهند) ثم سفن رعايا امبراطورية المغول في الخليج اذ كانت ذات اهمية بالغة. ويمكن اعتبار هجماتهم على بندركنغ والمكتب البرتغالي فيها من هذا النوع واخيرا بدا واضحا لماذا خسرت السفن البريطانية من عمليات مسقط اكثر من السفن الهولندية فقد اذنت السلطات البريطانية للسفن المحلية مقابل دفع الرسوم، ان ترفع العلم البريطاني عليها وان يحمل افراد طاقمها جوازات سفر بريطانية بينما لم يسمح الهولنديون برفع العلم الهولندي الا للرعايا الهولنديين فقط[٣٣] واقتصرت الحرب لمدة طويلة على هجمات فردية ضد السفن البرتغالية وسفن سورت والرعايا العرب من ايران ثم دخلت الحرب مرحلة «جديدة» عندما هاجمت مسقط بندركنغ مباشرة وهددت جمبرون[٣٤] وشعرت شركتا الهند الشرقية البريطانية والهولندية بخطورة هجمات العرب ضد مصالحهما



تبهم حيث توجـد الأربـاح

المباشرة وطرح للبحث اقتراح تشكيل حلف ثلاثي بين كل من الشركتين وايران ضد مسقط. وكانت سياسة هولندا في الخليج في التسعينات من القرن السابع عشر مترددة ومما لا شك فيه ان الهولنديين لم يكونوا قادرين على معالجة الموقف غير المستقر في الخليج. ففي البداية كان الهولنديون في صراع مكشوف مع ايران وانفجر الصراع بينهما بوقوع حادث سارية العلم في بندركنغ وكان هذا الحادث بمثابة الشرارة التي فجرت الموقف وكان السبب الحقيقي هو مطالبة ايران بالاموال والهدايا الثمينة مما خفض معدل الارباح الهولندية الى حد ملموس(٣٥).



وعقب تطبيع العلاقات بين الهولنديين والايرانيين لجأ الشاه الى كل من الانجليز والهولنديين للمساعدة في تنظيم حملة مشتركة لفتح مسقط لكن المشكلة آنذاك كانت في استحالة الوصول الى اتفاقيات صريحة مع الحكومة الصفوية بسبب تفككها وكان الهولنديون في ذلك الوقت يميلون لتقديم المساعدة لايران ذلك لاملهم في وعود ايران بمكاسب في الاراضي العمانية. وتم بعض الاستعداد فعلا لتقديم المساعدة المطلوبة للشاه ولكن هذا الاستعداد لم يؤد الى اية نتيجة بسبب تورط الايرانيين في اخماد التمرد في بعض الاماكن وعدم توفر قوات لديهم للهجوم على مسقط[٣٦].

لقد فات الاوان على الايرانيين الذين فقدوا فرصا «قيمة» واستعاد الاوروبيون توازنهم بسرعة بعد هجمات مسقط ضد بندركنغ ووجدوا بان المصالح الهولندية والبريطانية لم تتأثر بموقف العرب مادام هذان الشعبان محافظان على حيادهما. وخسرت التجارة الاوروبية كثيرا بسبب الحرب بصورة غير مباشرة فقد تعرضت السفن المحلية التي كانت تجوب المياه بين الموانىء الصغيرة في الخليج لكثير من الصعوبات او لوقف الحركة كليا مما كان له اثر سلبي للغاية على الوضع الاقتصادي ككل في المنطقة.

وفي الحقيقة لم تبق ادنى رغبة لدى الهولنديين لمد يد المساعدة للايرانيين ضد مسقط لكنه يبدو ان الانجليز بدأوا يميلون نحو مساعدة ايران في عام ١٧٠٥م بدورهم[٣٧] لكن هذه الرغبة لم تتحقق وفي عام ١٧٠٩م بدأت مفاوضات السلام بين ايران والعرب ودامت لمدة طويلة دون جدوى[٣٨] لان ايران لم تعامل المفاوضين العرب معاملة «حسنة» وفشلت المحادثات نهائيا في عام ١٧١١م. وبدأت مسقط سلسلة «جديدة» من الهجمات ضد الموانىء الايرانية والسفن التي يمتلكها الرعايا الايرانيون في الخليج. وفي هذه الاثناء طلبت ايران من هولندا ان تحالفهم ضد المساقطة وفي نفس الوقت ضد البرتغاليين ووعدتهم بنفس الامتيازات التي تمتع بها البرتغاليون في بندركنغ حتى ذلك الوقت[٣٩]. ولكن رفض الهولنديون هذا الطلب وبدأت هجمات المساقطة ضد الايرانيين تزداد شدة وفي عام ١٧١٥م قام المساقطة بتوسيع انشطتهم في الخليج ومقابل بندر عباس نفسها وفي عام ١٧١٥م حجزوا سفينة برتغالية في مرساها في بندر عباس ودمروا بندر كنغ[٤٠] وفي عام ١٧١٥م ايضا شنوا هجومين ضد البحرين وتبعتهما هجمات متتالية أولاها بـ ١٥ او ١٦ سفينة والثانية بـ ١٠ او ١٢ سفينة كبيرة وعدد من

المراكب الصغيرة وبالمرة وصلت الانباء بان المساقطة استطاعوا احتلال الجزيرة لبعض الوقت في أواخر الخريف في عام ١٧١٥ لكنهم طردوا في النهاية منها بعد ان تكبدوا خسائر فادحة في الارواح اذ بلغ عدد القتلى حوالي ١٠٠٠ نسمة (٤١)

وعقب تلك الهجمات عين صفي قلى خان قائدا للقوات الايرانية ضد مسقط وخاف الهولنديون من ان تطلب ايران منهم المساعدة ولكن ذلك لم يحدث(٤٢). وعن عام ١٧١٦م لا توجد معلومات عن البحرين في المصادر الهولندية. وفي عام ١٧١٧م بدا واضحا بان عرب مسقط كانوا جادين في محاصرتهم لقلعة البحرين التي احتلوها في نهاية ذلك العام (٤٣). وكان هناك رجال بارزون من صفوف الايرانيين رغبوا في طلب مساعدة الهولنديين لانهم رأوا ان ذلك لابد منه اذا ارادوا الاستيلاء على البحرين(٤٤) وحاولت ايران كل جهدها الحصول على مساعدة الهولنديين لكن الهولنديين رفضوا ذلك صراحة. ولم تكن لدى الهولنديين اية رغبة لتقديم اية مساعدة لايران لاستعادة الحكم على البحرين وهذا هو ما صرح به سفير هولندى اسمه جون جوسوا كتيلار **JOAN JESUA KETELAAR** أرسلته حكومة باتافيا العليا مديرا الى اصفهان ليناقش اتفاقا تجاريا جديدا مع الايرانيين. وكانت قد وصلت للتو ثلاث سفن هولندية تجارية من باتافيا الى بندر عباس وحذر نائب بندر عباس الهولنديين بان نبأ وصول السفن بلغ إمام مسقط وانه اقتنع بان هذه السفن جاءت لمساعدة الايرانيين ضد العرب.. وانه أمر باعداد السفن لمهاجمة السفن الهولندية فاتخذ الهولنديون بعض الاجراءات في جمبرون لحماية سفنهم لكنهم لم ينساقوا وراء الايرانيين لدرجة اتخاذ اجراءات ضد مسقط بل منعوا كتيلار من ذلك صراحة (٤٥).

استولى عرب مسقط ليس فقط على البحرين بل على جزر قشم ولاراك في مضيق هرمز(٤٦) ويئس الايرانيون لان ذلك اوقف تجارتهم الخارجية مع الشرق فحاولوا استعادة البحرين في ١٧١٨م. وفي نفس الوقت مارس اعتماد الدولة الضغط على كتيلار ليسمح للايرانيين باستخدام سفنهم لحمل التعزيزات الى قلعة البحرين (٤٧) ولكن كتيلار كان يعلم بتطورات الموقف وكان قد تلقى تقريرا يفيد ان الهجوم ضد البحرين باء بالفشل وان القوات الايرانية منيت بخسائر فادحة في الارواح اذ بلغ عدد القتلى ٨٠٠٠(٤٨) وشعر ايضا بالخطر المحدق بالسفن الهولندية الكبيرة التي كانت قد جهزت للتجارة وليس للحرب

في المياه الضحلة حول البحرين. وفي نفس الوقت كان حريصا على الا تفشل مهمته في ابرام اتفاقية تجارية جديدة مع ايران فيما لو رفض طلباتهم الملحة للمساعدة. وتعطى لنا تقاريره رؤية واضحة عن موقفه الصعب ازاء المحادثات المعقدة التي كان عليه ان يجريها فقد ادعى كتيلار بانه غير مخول لاعطاء الايرانيين حق استخدام السفن الهولندية بحجة ان مثل هذه القرارات تتخذ من قبل حكومة باتافيا العليا فقط فلجأ الايرانيون الى حيلة اخرى واخبروا كتيلار بانهم كانوا يبحثون عن امكان ابرام تعاقد مع البرتغاليين على اساس منحهم جميع الامتيازات التي كان الهولنديون يطلبونها مقابل مساعدة السفن البرتغالية لهم ضد العرب ووعدوا الهولنديين باعطائهم امتيازات كثيرة اخرى اذا وافقوا على مساعدتهم بدلا من البرتغاليين لكن كتيلار ظل مصرا على رفضه لهذا الطلب ولكنه استجاب لطلب ايراني واحد فقط وهو نقل سفيرهم الى جوا على متن سفينة هولندية(٤٩).

وتوفى كتيلار عقب عودته الى بندر عباس. وأصبح قبره المخروطي الشكل من المعالم البارزة لضواحي مدينة بندر عباس لعدة سنوات. ولم ينس الايرانيون رفض الهولنديين مساعدتهم ضد العرب فوضعوا العوائق امام مغادرة سفينة هولندية وذلك بحجز المركب الشراعي المرافق لها واحتج الهولنديون احتجاجا شديدا وأوضحوا للسلطات الايرانية بانهم لا يستطيعون ارسال رسائل كل من الشاه واعتماد الدولة الى الحاكم العام الا اذا كانت سفينتهم حرة للمغادرة فأطلقها الايرانيون وغني عن البيان ان الحاكم العام رفض الطلب الايراني بحجة انه في حاجة الى السفن والجنود لمهام قتالية في مالابار وجافا(٥٠).

وكان البرتغاليون اكثر رغبة في تقديم المساعدة وكانوا يتطلعون للحصول على نصيبهم من العوائد الجمركية من بندر كنغ ويبدو انهم تظاهروا بالصداقة نحو الايرانيين الى حد ما حرصا على استعادة أموالهم وفضلا عن ذلك كان البرتغاليون في حرب مع مسقط من زمن طويل مما جعلهم أقل ترددا في هذا الامر من الهولنديين. وفي الحقيقة وصلت أربع سفن برتغالية الى بندر كنغ ولكن قبل اتخاذ قرار حاسم في هذا الشأن رغب البرتغاليون في ابرام اتفاقية حول مطالبهم القديمة عن الضرائب الجمركية والامتيازات الجديدة الموعودة. وبعد ان وصلت السفن فعلا تجاهل الايرانيون معظم وعودهم مما جعل الهولنديين يحسون بالشماتة في البرتغاليين ولم يتخذ البرتغاليون اية

خطوات حاسمة حتى استفزهم تحرش السفن العربية بهم فلم يرض البرتغاليون بهذا التصرف وغادر اسطولهم بندر كنغ واشتبك مع اسطول العرب على سواحل رأس الخيمة في معركتين. ويختلف وصف هاتين المعركتين في المصادر الهولندية الى حد ما عن تفاصيلهما في التقارير الانجليزية حسبما يرويها لوريمر فيرى لوريمر ان البرتغاليين كانوا اقوى لكن التقارير الهولندية تقول بان القوات البرتغالية لم تستطع طرد الاسطول العربي وانسحبت الى بندر كنغ وكانت نتيجة هذا الانسحاب حسب التقارير الهولندية ان القوات البرتغالية لم تكن قوية لتغطي الهجوم الايراني ضد البحرين كما لم تتوفر لدى الايرانيين القوة العسكرية لاستعادة البحرين(٥١). وانسحب البرتغاليون بعدقليل من الخليج وكانت المعركة الاخيرة هي اخر معركة لهم فيه. اما بالنسبة لايران فلم يبق امامهم سوى طريق التفاوض من اجل السلام. وضعفت كل من ايران وعمان بسبب الاضطراب الداخلي وهذا فتح المجال لنجاح المفاوضات وقد افادت المفاوضات ايران بأكثر مما تحقق لهم في ساحة القتال.

فعمان كانت مستعدة لاعادة جزيرتي قشم ولاراك بشرط الحصول على مرسى في القشم لترسو فيه مراكبهم والحصول على نصيب من الضرائب الجمركية لهرمز وبندر كنغ ونفس الامتيازات التجارية التى تمتع بها الاوربيون واعادة البحرين الى ايران مقابل دفع مبلغ ضخم من الاموال.(٥٢)

ان تتبع تاريخ البحرين في الفترة بين ١٧٢١ و ١٧٥١ ليس سهلا إذ تغير الحكام مرات عديدة ولا نعرف كيف تم ذلك او متى تم وهناك عدة مصادر تنقل احداث هذه الفترة لكنها غير دقيقة.

والمصادر الرئيسية هي: تقارير مندوبي هولندا في بندر عباس وملحقاتها وتقارير المقيمين الهولنديين في خرج في الفترة بين ١٧٥٤م و ١٧٥٦م عندما اقترحوا خطة لفتح البحرين والتقارير الاخرى للوكلاء الانجليز في الخليج والمذكرة التى احتفظ بها المقيم البريطاني في بندر عباس ولكن كل هذه المصادر تأتي بقصة غامضة ومن الصعب علينا ان نحصل على الصورة الحقيقية.

وفي وقت ما عقب عام ١٧٢١ استولى الشيخ جبر وهو شيخ قبيلة النصور وهي من فرع الهولة، استوطنت (ظاهري) على الساحل الجنوبي لايران. استولى على البحرين ولا نعرف كيف. ويذكر لوكهارت بصورة عابرة بان الشيخ جبر احتل البحرين من الايرانيين بعد ان اعادتها مسقط الى ايران (٥٣) ولكن الهوامش

في كتاب لوكهارت لا تؤكد ما اذا كان لدى الكاتب اي دليل لتأييد هذا القول. (٥٤).

ونحن نشك فيه لأن يوميات المكتب البريطاني لـ بندر عباس الهامة (المعروفة باسم يوميات جمبرون) عن السنوات الهامة التى تلت اعادة البحرين الى ايران في ١٧٢١م مفقودة في سلسلة يوميات جمبرون المهم لقد أصبح الشيخ جبر، بصورة ما، مسيطرا على البحرين.

هذا ما تؤكده المصادر الهولندية لكن اقدم اشارة الى الشيخ جبر ترد في المواد الهولندية في ١٧٣٠م غير انها لا تأتي بمعلومات صريحة عن كيفية استيلائه عليها. (٥٥)

وحتى يتم اجراء دراسة جادة لمذكرات جمبرون البريطانية تأتي بمعلومات مؤكدة يجب ان تكون أذهاننا مفتوحة بخصوص احتمال آخر تشير اليه وثيقة هولندية لعام ١٧٣٠م بصورة غير واضحة وهو عبارة عن مصادقة السلطات الايرانية آنذاك على منصب الشيخ جبر كوال ايراني على البحرين فقد تكون المعلومات التى أوردها لوكهارت غير دقيقة او قد يكون الشيخ جبر قد شغل منصب والي البحرين من قبل الصفويين فور اعادة الجزيرة من قبل مسقط او انه حصل على الجزيرة من احد حكام ايران المدعين بحقهم في الحكم على ايران عقب انقراض السلالة الصفوية وفي الفترة المضطربة التى تلت ذلك على أي حال فإن الدراسة العميقة ليوميات جمبرون يمكن ان تلقى مزيدا من الضوء على هذا الموضوع وهو امر ضروري أيضا لسبب آخر اذ يتكرر اسم أحد الشيوخ في الوثائق الهولندية وهو الشيخ جبارنا او جبنا Jabarna or Jabanna ونظرا لان الوثائق الهولندية منسوخة من الاصول فقد يكون قد وقع خطأ في نقل الكلمة أو قد تكون الكلمة «جبرا» لان الحرف «ر» يشبه الحرف «ن» في الكتابة (باللغة الهولندية) وتخبرنا احدى هذه الاشارات الى جبارنا بأنه حجز على عدة سفن إنجليزية وذلك يجعل من السهل علينا ان نحقق فيما اذا كان هذا الجبرنا، هو جبر المشار اليه وان صح هذا فسوف يتوافر لدينا معلومات اكثر عنه (٥٦).

ويجدر بنا ان نذكر هنا وضع شيوخ القبائل العربية في الساحل الجنوبي لـ ايران آنذاك ونلاحظ أن وثائق القرن السابع عشر لا تذكر أي منها اسماء الشيوخ العرب في المنطقة وقد تغير هذا الوضع بعد عام ١٧٢١م ويبدو أن الشيوخ العرب الذين كانوا شيوخ القبائل فقط منحوا بعد ذلك العام مكانة رسمية من قبل السلطات الايرانية.

ويرجع السبب في هذا التطور الى

منصب «شاه بندر» الذي كان يستأجر حق جمع الضرائب الجمركية من ميناء ما وتمتع في اطار هذه المهمة ببعض السلطات الادارية والتجارية. ويبدو أن الايرانيين شغلوا هذا المنصب اولا لكن بعد عام ١٧٢١م نصادف أحد العرب في منصب «شاه بندر» أو نائبه وحتى في مناصب اعلى منه [٥٧].

وتوجد عدة مراجع عن «جبر» بعد عام ١٧٣٠م ويبدو أن هذا الشيخ تعاون مع شيخ عربي آخر تعاونا وثيقا وهو زعيم (باسيدو)، واسمه راشد بن مطر. واستأجر الاثنان لمدة محددة، حق جمع الضرائب الجمركية في موانىء السواحل الايرانية الجنوبية [٥٨] وقد أمرهما تهماس قلى خان المعروف باسم نادر شاه لاحقا وكان يحتل منصب القائد العام للجيش الايراني بمعاقبة شيخ آخر اسمه احمد مدني كان قد احتل جنوب شرق ايران. [٥٩] ثم فرضت إدارة نادر شاه عليهما غرامة ضخمة عندما رفضا تنفيذ هذا الأمر [٦٠] وعندما بدأ كل من نادر شاه وحاكم فارس تقي خان اعادة فرض السيطرة الايرانية على المنطقة هاجما الاثنين فبدآ براشد [٦١] مما أدى الى اول حركة تمرد للقبائل العربية في الخليج الأدنى. ولا يبدو ان الشيخ جبر شارك في حركة التمرد إذ كانت البحرين هي الهدف الثاني في حملة اعادة السلطة الايرانية على الخليج.

لقد أعدت البحرية الايرانية في سرية لتقوم بعمليات في الخليج ولكن قائد الاسطول لطيف على خان افشى السر للهولنديين وأخبرهم بان الخطة الايرانية تستهدف غزو البحرين وطلب منهم اعادة سفنهم للمشاركة في العمليات ورفض الهولنديون الطلب ولكن تم تنفيذ الخطة واحتلت ايران البحــرين ثم غضبت ايــران من الهولنديين بعد ذلك بسبب رفضهم المساعدة في الغزو واتهمتهم بافشاء اسرار الخطة للعرب. [٦٢]

ولا يتضح لنا دور الشيخ جبر في هذه الاحداث. وحسب أقوال المؤرخين العرب فقد غزا الايرانيون البحرين عندما كان الشيخ جبر يقوم بأداء فريضة الحج في مكة المكرمة [٦٣] ومشكلتنا هي أن هذا السرد للأحداث مبنى على التقاليد فحسب ولا توجد مصادر لاثباته. ومن ناحية اخرى فإن هذا التفسير يبدو غير محتمل لان وثيقة هولندية تذكر بان الشيخ جبر كان حاكما على اغلب الموانىء في الساحل الجنوبي لايران حتى بعد عام من احتلال ايران للبحرين وشوهد بمعية بغلربك الايراني [٦٤] وهذ لا يتطابق مع قصة الحج في مكة. وكذلك نجد في وثيقة بريطانية متأخرة أن ابن الشيخ جبر كان حاكما ايرانيا على البحرين منذ مدة [٦٥] فيبقى الاحتمال

بان العمليات الايرانية كانت موجهة ضد الثائرين العرب على الجزيرة وليس ضد الشيخ جبر شخصيا.

وعلى كل حال تغيرت الظروف فيما بعد. وفي نفس العام اي ١٧٣٧م هاجم الايرانيون مسقط. ولم يكن الهجوم الأول ناجحا بل منى بفشل كبير (٦٦) ولما اتضح موقف الايرانيين الخطير أخذت ثورة العرب في السواحل الجنوبية الايرانية تشتد ثانية وفي ١٧٣٨م انضم الشيخ جبر الى صفوف المتمردين وتوجه الى البحرين ونهب منطقة القطيف وحاصر قلعة البحرين (٦٧) وكان الايرانيون في موقف صعب بسبب حربهم ضد عمان وعدم قدرتهم على جلب النجدة للبحرين. ولم يستطع حاكمهم الجديد محمد قلي خان ان يصل الى الجزيرة عقب تعيينه بسبب سيطرة السفن العربية على البحر حولها. (٦٨) ورغم ذلك، وحسب معرفتنا، يبدو ان البحرين ظلت تحت السلطة الايرانية حتى عندما تمردت قبيلتا بنى معين وعلى اللتين شكلتا اغلب بحارة الاسطول الايراني وقامتا بالاستيلاء على الاسطول الايراني باكمله تقريبا، ويظهر ان البحرين بقيت تحت سيطرة ايران. (٦٩).

ولكن بسبب ما أدت اليه وفاة نادر شاه من فوضى في ايران استحال عليها ان تحافظ على سيطرتها على البحرين وأصبح الشيوخ العرب في الموانىء الجنوبية الايرانية حكاما مستقلين في الواقع على مناطقهم وفي مرحلة ما لا يمكن تحديدها بالضبط كانت البحرين تحت سيطرة قبيلة الحرم وهي قبيلة تمارس صيد اللؤلؤ استوطنت منطقة عسيلوه في الساحل الجنوبي لايران. وتوجد إشارة غامضة في احدى الوثائق الهولندية الى انه من المرجح ان قبيلة الحرم استولت على البحرين لمدة قصيرة فقط اثناء الاضطرابات التى تلت وفاة نادر شاه (٧٠) ويمكن أيضا ان الحرم احتلوا البحرين قبل ذلك الوقت بموافقة الايرانيين لكن ذلك لا يمكن إثباته.

ويبدو ان عدد الحرم لم يكن كبيرا (٧١) وكان هذا سببا في زوالهم لان جزيرة البحرين الغنية كانت تجذب انظار المغامرين ففي البداية ساهم شيخان من المنطقة في تجريد قبيلة الحرم (من السيطرة على الجزيرة) وهما مير ناصر من بندريق والشيخ نصر بن مذكور من بوشهر (٧٢) ولا نعرف شيئا عن خلفية مير ناصر ولكن ورد ذكر الشيخ نصر في المصادر الاوروبية لان الاوروبيين استوطنوا بوشهر من حين لآخر وقد دعى الهولنديون لانشاء مكتب لهم في بوشهر عام ١٧٣٧م. ولكن هذه المهمة لم تفلح. اذ كان الهولنديون قد تلقوا الدعوة الى بوشهر من السلطات الايرانية العليا ودون موافقة شاه بندر

المدينة اي الشيخ مذكور والد نصر الذي ربما شعر بتهديد لدخله من الرسوم الجمركية في بوشهر اذا جاء الهولنديون الذين يتمتعون بحقوق وامتيازات خاصة (٧٣).

ولم يكن نصر حاكم بوشهر مقبولا لدى القبائل العربية الاخرى لأنه كان قد اعتنق مذهب الشيعة لارضاء الايرانيين واقناعهم بولائه لهم. وفي وقت ما قيل بان المكان الوحيد الآمن من خطر تمرد العرب ضد الايرانيين هو بوشهر لان حاكمها انعزل تماما عن صفوف العرب الآخرين. (٧٤) وفي الحقيقة في عام ١٧؟؟ وأبوه ما يزال على قيد الحياة، كان نصر يخدم في الاسطول البحري الايراني عندما نشب التمرد العظيم. وقد قتل احد ابناء عمه ولقى هو نفسه معاملة سيئة على يد العرب الآخرين. (٧٥).

واستمر الاحتكاك مع الهولنديين حتى بعد ان تولى نصر الحكم خلفا لأبيه. وبعد وفاة نادر شاه عين شاه بندر السابق لـ بوشهر «وصيا» من قبل الهولنديين اي حاكما من ابناء البلد (٧٦) وفي غياب المراقبة الايرانية على تصرفاته تزايدت الصراعات بينه وبين الهولنديين واعتبر الهولنديون حاكم بوشهر عدوا من اعدائهم الرئيسيين في المنطقة.

وبعد هذا السرد السريع لتاريخ حكام بوشهر المبكر نرجع الآن الى تصرفاتهم في البحرين فقد تكللت عمليات الشيخ نصر ومير ناصر من بندريق ضد البحرين بالنجاح فاستوليا عليها بسهولة ثم احتال مير ناصر وهو الأقوى بين الاثنين على الشيخ نصر واقنعه بالعودة اولا. وعقب مغادرته أبقى حاكم بندريق قواته على الجزيرة ورفض ان يسلم أي جزء من عوائد البحرين إلى الشيخ نصر ومنذ ذلك الحين أصبح الحليفان عدوين ولكن كان هناك حاكم آخر هو حاكم جنورا Jinora بالقرب من بندريق اسمه قائد حيدر رأى بأن بندريق مجردة عن أية قوة عسكرية فقرر غزوها. فأضطر مير ناصر لمغادرة البحرين على عجل مما أتاح الفرصة لقبيلة الحرم ان ترجع الى الجزيرة، وبناء على وثيقة هولندية يمكن لنا ان نحدد تاريخ عودة الحرم بحوالى عام ١٧٥١م. ولما كانت البحرين تلفت انظار الطامعين بسبب ثروتها الزراعية واراضيها الخصبة ومغاصاتها. رغب الشيخ نصر في احتلالها رغبة شديدة غير انه لم تكن لديه قوة كافية فحاول اقامة تحالف جديد وفي هذه المرة استعان بالعتوب. وكان العتوب اكثر عدداً من بين القبائل العربية التى كانت تجوب البحار ولكنهم كانوا بعيدين عن لعبة الصراع في الخليج.

فقد كانوا صيادي لؤلؤ محبين للسلام ويملكون قوارب صغيرة غير

مسلحة الا بأسلحة خفيفة لذلك كان العرض المقدم لهم بصيد اللؤلؤ بالمجان في مغاصات البحرين الغنية مغريا جدا لكن الغزو الاول اسفر عن هزيمة كبيرة لقوات الشيخ نصر التى واجهت ليس فقط مقاومة الحرم بل مقاومة قبائل الهولة الاخرى ايضا التى ساعدت الحرم.[٧٧]

ونظرا لنقص قواته بحث الشيخ نصر عن حلفاء جدد ونجح في الحصول على مساعدة فرع قوي من قبيلة الهولة هم النصور، في الطاهرى وهو الفرع الذي ينتمى اليه الشيخ جبر الراحل ووعدهم بدفع نصيب كبير من عائدات البحرين سنويا. وقد راحت المقاومة الشديدة التى أبداها الحرم سدى وفي حوالي ١٧٥٣م انسحب الحرم الى منطقة عسيلوه. وترك الشيخ نصر أخاه حاكما على البحرين ومعه مفرزة صغيرة وسفينة حربية صغيرة. ويبدو ان نصر اختفى فيما بعد بضع سنوات من فتح البحرين. وفي عام ١٧٦١م ذكر اسم سعدون كحاكم على البحرين وبوشهر.[٧٨]

كان موقف المطاريش في بوشهر ضعيفا فمن حيث العدد كانت القبيلة ضعيفة جدا ولم يكن لديهم الا عدد قليل من السفن. وترسم الوثائق الهولندية صورة قاتمة لوضع البحرين، فقد استمر الشيخ نصر في تمسكه بالجزيرة لكن عائداتها تدهورت بصورة حادة. فحليفهم في الغزو اي العتوب كانوا يشكلون جماعة رئيسية للغواصين ولم يكن عليهم ان يدفعوا أية رسوم وكذلك لم تدفع قبيلة الهولة أية ضرائب لانها اعتبرت البحرين ملكا لها كما كان الوضع في عهد الشيخ جبر. ولم يكن نصر قادرا على مجابهة الهولة بقواته الضعيفة. وكان نظام الأمن ناقصا لدرجة ان الملاحين عند مرورهم بالجزيرة وكذلك الغواصين كانوا يسرقون حوائجهم من الجزيرة خاصة الخشب وهو عتاد غال وقطعوا النخيل وسببوا دمارا مستمرا لاقتصاد البلاد. فغادر السكان لاماكن اخرى وواجه نصر نقصا في الدخل وكان عليه ان يدفع خراجاً ضخما لشيخ (الطاهري) من دخله المتواضع، سنويا إذ لم يكن في وضع يسمح له باغضاب هذا الشيخ الجبار[٧٩]

وفي الحقيقة يبدو ان البحرين كانت لقمة سائغة لمن اراد ان يبتلعها. وكانت لدى الانجليز خطة فعلا لاحتلال الجزيرة في ١٧٥٢م[٨٠] وواجه الهولة شقاقا داخليا وكان على القواسم ان يركزوا قوتهم لحماية استقلالهم في وجه عمان وبالنسبة للعتوب كانت صفوفهم تضم عددا كبيرا من الافراد بدون ان يكون لهم قوة عسكرية وكانوا يعرفون الجزيرة جيدا. وكان الهولنديون قوة أخرى في الخليج

وابدوا بعض الاهتمام..

بعد وفاة نادرشاه أخذ الاهتمام الهولندى بشئون ايران يتلاشى وأدت حالة الفوضى المستمرة فى منطقة جمبرون الى ركود التجارة لعدة سنوات . وعانى الهولنديون من سوء الطقس صحيا ولقى كثير من رؤساء مؤسسة جمبرون حتفهم فور توليهم مناصبهم . وأصبح جليا أن جمبرون لن تستعيد مكانتها ثانية ومنذ ذلك الوقت ركز الهولنديون اهتمامهم على البصرة (٨١) . التى شهدت زيادة «مؤقتة» فى حجم التجارة . فالمنتجات الأوروبية التى كانت تصدرها شركة الهند الشرقية عن طريق حلب أرسلت عن طريق البصرة أيضا . (٨٢)

وفى ١٧٤٧ م أصبحت المؤسسة الهولندية فى البصرة مستقلة بذاتها بدلا من أن تكون فرعا لجمبرون (٨٣) كما كان الوضع حتى ذلك الحين . وتركز التقارير التى صدرت من مكتب البصرة على الأوضاع التجارية والسياسية فى العراق .. وكانت لهم علاقات مع القبائل العربية بالخليج جنوب البصرة لكن الوثائق الهولندية لا تتضمن أية تفاصيل عنها . وفى البصرة حاول الهولنديون اختبار تجارة اللؤلؤ مرة أخرى . والوثيقة الهولندية الوحيدة من البصرة التى تشير الى البحرين تذكر شيئا جديدا عنها(٨٤) فهي تشير الى تجار البحرين والقطيف الذين يجيئون الى البصرة باللؤلؤ . وهذا أمر مشوق لأن الوثائق القديمة تشير الى البانيان أو اليهود أو البرتغاليين أو التجار الاجانب فقط الذين زاروا البحرين لشراء اللؤلؤ ولكن يبدو أن العرب من البحرين أنفسهم وسعوا نشاطهم وأخذوا ينقلون منتجاتهم الى الاسواق التجارية الرئيسية بأنفسهم.

ونجد أيضا فى وثيقة هولندية للبصرة اشارة الى الكويت (القرين) وهذا نادر . ففى ١٧٤٩ م فر المقيم الهولندى فى البصرة من مقره الى حلب (٨٥) عن طريق الكويت (يبدو بأنه أخذ معه أموال الشركة) . هذا يثبت بأن القوافل كانت تمر بين الكويت والغرب أنذاك والا لما كان له ان يذهب الى الكويت . وتتكرر نفس الاشارة فى مرجع شهير آخر للسائح البريطانى الدكتور آنفس الذى ذكر فى كتابه خطة للسفر الى سوريا عن طريق الكويت . ثم عين رجل بارز هو تيدو فريدريك فان نيفهاوسن مقيما هولنديا فى البصرة واجتذبت شخصيته اهتمام مؤرخى الخليج لأنه قام بعدة خطوات فى فترة هامة من تاريخ الخليج . وجاء شرح لنشاطات نيفهاوسن فى الخليج فى مؤلفات نيبور وآنفس ونقلها المؤرخون الآخرون فيما بعد . واعتمد بعض الكتاب (مثل أمين الريحانى) على الوثائق البريطانية أيضا (٨٦) وتوجد

وثائق هولندية كثيرة عن شخصية نيفهاوسن المشوقة لكنها لم تستخدم [٨٧] .

ولا يمكن لنا أن نذكر تفاصيل حياة نيفهاوسن لأن هذا البحث ليس تاريخا عاما للخليج وانما نكتفي هنا بتقديم نبذة قصيرة عن الأحداث التى حدثت بعد سنة ١٧٥٤ م .

فى سنة ١٧٥٤ م تشاجر نيفهاوسن مع المحافظ العثمانى للبصرة وأدت حدة الصراع بينهما بالأخير الى اعتقال نيفهاوسن ولم يفرج عنه الا بعد دفع مبلغ ضخم . وعقب ذلك غادر نيفهاوسن البصرة ورجع الى باتافيا بعد أن قام بمحادثات مع حاكم بندريق مير ناصر . وقدم مير ناصر وثيقة الى نيفهاوسن دعا فيها الشركة الى تأسيس مؤسسة لها فى جزيرة خرج [٨٨] وبعد زيارة قصيرة لباتافيا رجع نيفهاوسن الى الخليج بسفينتين قويتين وحاصر بهما شط العرب مما أدى الى ركود تجارة البصرة وانخفاض دخل المحافظ وفى نفس الوقت مارس السفير الهولندى فى القسطنطينية البرت دى هوشبيد ضغطا دبلوماسيا على محافظ البصرة واستعاد أموال نيفهاوسن ولكن لم يسمح للهولنديين بفتح مكتبهم فى البصرة رغم أنه كانت على متن السفن الهولندية مواد البناء التى نقلت الى خرج حيث بدأ الهولنديون بناء قلعة صغيرة باسم موزلستاين على اسم الحاكم العام جيكوب موزل وكان حرس القلعة مكونا من العساكر الأوربيين والعساكر السود من رأس الرجاء الصالح . بينما كانت اطقم السفن من البحارة من جزيرة بالى وكان قد تم تعديل هذه السفن تلبية لمتطلبات نيفهاوسن وزودت بمدافع افرنجية .

كان موقف الهولنديين قويا فى الخليج وكانت لديهم مراكب قادرة على الدخول فى المياه الضحلة على السواحل العربية ومزودة بالمدافع الأوربية . وأصبحت خرج ميناء حرا وكان عدد السفن المارة ملحوظا للغاية كما يبدو من قائمة اسمائها والملحقة مع تقارير مقيمى هولندا فى الجزيرة [٨٩] . وبعد تثبيت تواجده فى خرج اتبع نيفهاوسن سياسة « هولندية » جديدة فى الخليج وعارض بعض اعضاء حكومة باتافيا العليا هذه السياسة لانهم لم يوافقوا على توسع مستعمراتهم خارج نطاق المصالح الهولندية فى جنوب شرقى أسيا لأن المستعمرات الجديدة تطلب توزيع الحرس فى تلك الأماكن وكانت هذه العملية مكلفة جدا . فأوصوا بالحد من نشاطات الشركة فى الاماكن الهامشية حيث يسمح للتجار من القطاع الخاص [٩٠] ان يتصرفوا كما شاءوا ولكن هذه المرة نجح نيفهاوسن

اذ حصل على تأييد الحاكم العام موزل ولكن معارضة سياسته برزت بوضوح عندما قدم هو ونائبه جان فان ديرهلست مشروعا طموحا لغزو البحرين . وقد قدم هذا المشروع فور استقرار الهولنديين فى جزيرة خرج .

وقدم المقيمون الهولنديون فى هذا المشروع سردا ناقصا لتاريخ البحرين ويتضمن هذا البيان التاريخى اخطاء كثيرة لكنه يعتبر رغم ذلك وثيقة هامة لأنها تتضمن تفاصيل الاحداث التى حدثت حوالى ١٧٥٠ ثم تناقش الفوائد الاستراتيجية والاقتصادية التى تنجم عن احتلال البحرين والاساليب التى يجب استخدامها لهذا الغرض . فيقول المقيمون ان غزو البحرين أمر سهل بسبب ضعف الشيخ نصر . وأن خطة العملية المقترحة بسيطة للغاية [٩١] .

أما المبررات الرئيسية التى قدمها المقيمون فى خرج لغزو البحرين فهى ثروتها النسبية وموقعها كمركز تجارى وقلعتها ذات الأهمية الاستراتيجية خاصة اذا تم تجهيزها بالمعدات اللازمة ويذكر المقيمون الحاكم العام بأن ايران مدينة للشركة بمبالغ ضخمة ونظرا للفوضى التى تسودها فمن غير المحتمل أن تدفع هذه الديون لذا فيمكن لهولندا استخدام البحرين كرهن مقابل مستحقاتها الضخمة من الضرائب (٢٤٠,٠٠٠ روبية) فاذا خرجت ايران من مأزقها يمكن للهولنديين ان يتفاوضوا معهم من موقع القوة اذا امتلكوا البحرين . وكانت قلعة البحرين تحتاج الى اصلاحات بسيطة فقط .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو هل كان هذا الاقتراح عمليا ولماذا اقترحه المقيمون .

وللاجابة عنه نقول يبدو أنه لم يكن صعبا لقوة صغيرة ان تحتل الجزيرة ولكن لم يكن مؤكدا أن بامكان ١٠٠ جندى أوربى و ٥٠ ملاحا أوربيا أن يدافعوا عنها وان كان هذا يبدو محتملا لأن الهولنديين دافعوا عن قلعة خرج لعشر سنوات بـ ٧٠ جنديا أوربيا فقط فى حين كانت قلعتها اضعف (من قلعة البحرين) . ومما لا شك فيه أن المقيمين اعتبروا مسألة فتح البحرين أمرا سهلا ويبدو هذا جليا من الهجمات التى قام بها كل من مير ناصر والشيخ نصر والخطة التى وضعها الانجليز لغزوها [٩٢] ولكن من المشكوك فيه ما اذا كان الهدف من غزو البحرين هو مجرد تحصيل الضرائب تعويضا للديون المتبقية القديمة . والمرجح أنه كانت هناك أهداف أخرى لقد امتنع ممثلو شركة الهند الشرقية رسميا عن ممارسة التجارة على المستوى الرسمى ورغم ذلك فان معظمهم مارسوا التجارة

الخاصة وكان حجمها يفوق حجم تجارة الشركة . ومن الممكن بأن مقيمي خرج شعروا بأن البحرين تفتح أمامهم امكانيات واسعة للثراء الشخصي .

واذا كان انشاء مؤسسة هولندية في خرج لم يكن متمشيا مع سياسة هولندا في غرب آسيا التي تجنبت التورط في أي نشاط سياسي أو عسكري واقتصرت على ممارسة التجارة فقط الا أن الهولنديين حصلوا على خرج من مالكها بصورة سلمية . ولكن مسألة غزو البحرين كانت ذات صبغة أخرى . وكانت المعارضة تؤيد الانسحاب الهولندي الكلي من الخليج وافساح المجال للتجارة الخاصة فقط وكان هذا الموقف موقف المعارضة قائما حتى عندما نوقشت مسألة انشاء مؤسسة خرج . ولكن المعارضة حصلت الآن على تأييد لموقفها من جميع اعضاء مجلس الجزر الشرقية الهولندية في باتافيا . وحصل المشروع على التأييد الكامل من الحاكم العام وتأييدا مشروطا من بعض الاعضاء [٩٣] كان زعيم المعارضة هو المدير العام والرجل الثاني بين أولياء الأمور في باتافيا وكان مسئولا للحاكم العام عن أمور التجارة والمالية وقدم اعضاء المجلس أدلة كثيرة ضد المشروع واضطر الحاكم العام الى الاعتراف بأن أكثرية الاصوات كانت ضد المشروع ولكن في نفس الوقت . لم يقبل رأى المجلس على الفور ورفض تحمل المسئولية في رفض المشروع الذي اعتبره مشروعا هاما في تقديره . ويبدو أنه كتب رسالة « سرية » الى المقيم نيفهاوسن ليبعث بالمشروع رأسا الى المدراء في هولندا كما طلب من زعيم المعارضين للمشروع «فان دير بارا » . أن يشرح كتابيا اسباب معارضته له [٩٤]

لم يكن فان ديربارا الذي اصبح الحاكم العام فيما بعد يتمتع بسمعة طيبة في شركة الهند الشرقية وكان معروفا كبيروقراطي فاسد تنقصه الرؤية الى المستقبل [٩٥] والقدرة على المبادرة ورغم ذلك فان الدلائل التي أوردها ضد المشروع تضمنت عدة نقاط شيقة . أولا يقول ان البحرين مكان غير صحي وحتى السكان المحليين ينتقلون الى القطيف في موسم الصيف وقدرة الأوربيين على تحمل قوة الطقس أقل من المحليين مما سوف يسبب ضحايا في الأرواح والتكاليف المالية المتزايدة . ثانيا يقول بأن الجزيرة مأهولة بالسكان واحتلها العرب لأكثر من قرن بعد طرد البرتغاليين منها وهم لن يسمحوا باحتلال الهولنديين لها بسهولة .

وتساءل لماذا لم تحتلها الدول الأوروبية التوسعية الأخرى قبل الهولنديين . ويلاحظ فان دير بارا بأن

الهولنديين يتمتعون بشعبية عند العرب على اساس انهم ساعدوا العرب في طرد البرتغاليين واذا سلك الهولنديون مسلك البرتغاليين فمن المحتمل ان يطردهم العرب كما فعلوا مع البرتغاليين. كما يلاحظ فان ديربارا أيضا بأن التخمينات حول المدخول من جزيرة البحرين فيها مبالغة ويرى ان الجزيرة أصبحت فقيرة نتيجة الفوضى التي سادت عقب حكم نادر شاه . ولما كان الحكم الهولندي في حالة احتلالها لن يكون قاسيا مثل حكم نادر شاه الظالم لذلك لن يمكن لهم ان يكسبوا الضرائب التي كان يحصل عليها نادر شاه . والملاحظة الأخرى هي أن استغلال مصائد اللؤلؤ غير متاح كل سنة (٩٦)

بعد عرض هذه الأدلة المعقولة يستمر فان ديربارا في تقديم حجج لا مبرر لها وطبقا لما يقوله فان القلعة القديمة قد انهدمت بعد هذه السنوات الطويلة . وانه لا يأخذ بعين الاعتبار امكان صيانة واصلاح القلعة على أيدي حكام الجزيرة المتتابعين ويلاحظ أيضا بأن القوات البحرية التي اقترحها المقيمون غير كافية نظرا لكبر حجم السفن الهولندية ويفترض فان ديربارا أيضا بان العرب والايرانيين لن يقبلوا بصمت احتلال الهولنديين لأغنى ثمرة في الخليج ويغالي فان دير بارا في تقديره للقوة العسكرية الايرانية في ذلك الوقت . وقال ان موقف العرب أقل وضوحا لكنه ليس مؤكدا بأن العرب سوف يردون على الفور على الغزو الهولندي لانهم كرهوا الشيخ نصر . أما الشكوك التي اعرب عنها فان ديربارا حول أهمية البحرين فلم تكن في محلها تماما . اذ يسأل لماذا لم يحتل الآخرون البحرين ان كانت هامة فنحن نعرف الآن بأن الانجليز كان عندهم مشروع لاحتلال البحرين وكان العرب يصارعون بعضهم البعض حول موضوع امتلاك الجزيرة . أما الدليل النهائي والذي يقدمه فان ديربارا فيبدو مغلوطا عندما يقول بأن البحرين بعيدة جدا عن هولندا مما يجعل من الصعب ارسال المساعدة والتعزيزات لأن الرياح الموسمية تسمح للسفن ان تبحر الى الخليج مرتين فقط في السنة . اذ يمكن لنا ان نطبق نفس الحجة على بندر عباس أو خرج .

وكان هناك سبب سري آخر لمعارضة فان ديربارا للخطة اذ تزعم فان ديربارا فريقا رغب في انسحاب الشركة من الخليج كلية اذ كان الخليج سوقا رابحة للسكر الاندونيسي وكان هذا الفريق يتطلع الى كسب الأرباح لنفسه عن طريق التجارة الحرة في السكر .

وكتب المقيمون الهولنديون في خرج الى الضباط الاداريين الكبار للشركة

فى هولندا وهم ايزاك سويرس محامى غرفة أمستردام وأحد المدراء الكبار من بين ١٧ مديرا ولكن دون جدوى . وأيد المدراء وجهة نظر الاغلبية فى المجلس فى باتافيا (٩٧)

فى هذه الاثناء دون المقيمون فى خرج وثيقة هامة أخرى ربما كانت ردا على ملاحظات بارا فى الحكومة العليا التى تقول بأن المشروع لم يتضمن تفاصيل كافية فعلى سبيل المثال ليس من الواضح من هو نصر وما هى الأوضاع السياسية والعسكرية فى الخليج خاصة بالنسبة للقبائل العربية وجاء تقرير المقيمين الى الحاكم العام ردا على ذلك متضمنا التفاصيل الشيقة عن الأوضاع السكانية والاقتصادية والعسكرية فى الخليج والبيانات المشوقة عن القبائل العربية التى استقرت على السواحل وعددها وعدد سفنها واسماء شيوخها . ويشمل التقرير بيانات هامة حول تاريخ البحرين ونبذة عن قبيلة العتوب والكويت . وفى الحقيقة هى الوثيقة الغربية الأولى التى تذكر اسماء الاسر الحاكمة للكويت ، من آل صباح وآل خليفة (٩٨)

تعرض الموقع الهولندى فى خرج لبعض المخاطر بصورة مفاجئة عندما قتل مير ناصر (شيخ بندريق) على يد ابنه مير مهنا وسبق لمير ناصر أن اهدى الى الهولنديين جزيرة خرج . (٩٩)

ولكن مير مهنا رفض بعد توليه الحكم ان يعترف باهداء أبيه جزيرة خرج للهولنديين وأدرك الهولنديون أن تملكهم خرج لم يكن دون تحد . رغم ذلك استمر الهولنديون فى خرج لعدة سنوات أخرى عقب رفض مشروع احتلال البحرين وفكر الهولنديون فى كسب الأرباح من مصالحهم الأخرى فى الخليج . ولكن فكرة جعل الجزيرة منطقة تجارية حرة لم تكن دون فائدة لأنها جذبت كثيرا من التجار اليها مما ساعد فى توسعة تجارة الشركة . ويرجح أن نيفهاوسن قد مارس تجارة خاصة بجانب مهامه الرسمية قبل عودته الى أوروبا نهائيا وقد أصبح بذلك رجلا غنيا . (١٠٠) وأخذ زمام المبادرة فى بعض الأمور مما يشد انتباه المؤرخين العرب مثل قيامه بتجربة صيد اللؤلؤ فى شواطىء خرج وتجارة مادة الكبريت بالكويت (١٠١) .

ولم تكن المؤسسة الهولندية فى خرج رابحة ولذلك لم يعلق أولياء الأمور فى شركة الهند الشرقية الهولندية أية أهمية عليها وكانت الحكومة العليا قد اتخذت قرارا حاسما فى ١٧٥٥ م . فعلى الرغم من انها صادقت على اجراءات المقيمين بصفة عامة فى تشكيل تحالف عربى ضد مير مهنا الا أنها لم ترغب فى توريط الشركة فيما بعد فى الشئون العربية ومنعت المقيمين صراحة من

تـدخلهم فى السيـاسـات القبليـة فى الخليـج فى المستقبـل . [١٠٢] وكـان العرب أنذاك متورطين فى الاقتتال فيما بينهم وكـان الخليج متـوترا جـدا . وكـانت البحـرين أيضـا متـورطة فى التوتر عندما قام شيخ قبيلة كعب من العراق بغزوها . ولم تنفذ خطة الغزو بكفاءة فلم يؤد الغزو الى نتائج ايجابية لكنه اثبت الى حد ما ادعاء المقيمـين بأن البحرين جائزة ثمينـة يجدر أن يناضل من أجلها فى ١٧٥٤ م [١٠٣] .

ازدهرت خرج كمركز تجارى خلال الحكم الهولندى لكن الشركة نفسها لم تكسب اربـاحـا ملحـوظة ورغبت الحكومة العليا فى باتافيا فى ١٧٦٢ فى اغلاق مؤسستها نهائيا . لكنها قررت احالة الأمر أولا الى المدراء فى هولندا . وترك المدراء اتخاذ القرار فى الأمر الى الحكومة العليا فأصـدرت الحكومـة العليـا بعد تـردد الأوامر الى مـديـر المـؤسسة الهـولندية فى سـورت فى اغسطس ١٧٦٥ ليرسـل سفينة الى خـرج لاخـلاء رجـال المـؤسسـة الهـولنـديـين وأمـتعـتهـم [١٠٤] . والتفاصيل الأخـرى للفترة المتبقيـة لهـذا الجزء من التـاريخ معـروفة . فعندما وصلت السفينة من سورت الى خـرج كانت الجـزيرة قـد سقطت فى أيدى ميرمهنا [١٠٥] ونظرا لعدم رغبة الحكومة العليـا فى التورط فى شئـون الخليج فلم تتخذ أية اجراءات أخرى هناك[١٠٦] .

هكذا انتهى الوجود الهـولندى فى الخليج وبدأ دور الاستعمار التوسعى الاقليمى حيث أصبـح للمبـادرات العسكرية والسياسية أسبقية مقابل المشـاريـع التجـاريـة الرابـحـة اقتصـاديا . وتلقت الشـركـة دعـوة لتعود الى الخليج مـرات عديـدة لكن دون جـدوى . مـع ذلك استمـرت التجـارة بين الخليـج والمستعمـرات الهـولنديـة فى أسيا وشـاركت فيهـا السفن الهـولنديـة الخاصـة وبحارة مسقط . ولم يعد الممثلون الهولنديون الرسميـون الى الخليج حتى القـرن التالى [١٠٧] .

«الهوامش»

(١) Drie aanmerkelijke en seer 'J.J. Struys ramspoedige reysen ...
(امستردام ١٦٧٦م).
قام سترايس بزيارة الخليج في عام ١٦٧١ وترجم كتابه من الفرنسية الى الانجليزية والالمانية).

(٢) Reizen Over Moskovie Perzie en India.. C. de Bruin (امستردام ١٧١١م).
قام دي براون باسفار في الخليج في عامي ١٧٠٣ و١٧٠٧ وترجم كتابه الى اللغتين الفرنسية والانجليزية) وتوجد الصورة الاصلية مرسومة بالالوان المائية في الارشيفات العامة في لاهاي.
ويجب ملاحظة ان بعض الكتاب الانجليز يخطئون في ادعائهم بأن الهولنديين لم يحصلوا على موافقة الايرانيين لتشييد قلعة في جمبرون وفي الحقيقة بنيت هذه القلعة في عام ١٧٠٦.

(٣) لوريمر، دليل الخليج، الجزء الثاني (الف)، ص ٨، ٩ حول «كلاه فرنجي» اي مقر المؤسسة الهولندية السابق في بندر عباس، وكان مكونا من مبنى ظل في حالة جيدة حتى بداية هذا القرن.

(٤) ايه ـ أر ـ ايه، في اوسي ٢٨٤٣: الجزء عن ايران، ص ٤٦ ـ ٥٣.

(٥) ان قائمة اسماء اعضاء الهيئة الهولندية في منطقة الخليج توجد في قائمة الرواتب في ايه أر ايه. في اوسي.

(٦) توجد اسماء الموظفين في تلك الاماكن في قائمة الرواتب المذكورة.

(٧) ريس، ايتش أر، ٦ ابريل ١٧٤٧.

(٨) انظر المصدر المذكور اعلاه، الهامش (٤).

(٩) Voyage 'Ives ص ٢٠٦ ـ ٢٢٦، نيبور «بشرى بنج» Beschreibung

(١٠) ايه أر ايه، ارشيفات السفارة الهولندية في تركيا للفترة قبل ١٨١١م، رقم ٧٨٤ (الدعوة الى العودة الى البصرة وجهت في عام ١٧٨٠)، ريس، ايتش أر، ٨ نوفمبر ١٧٩٣، الدعوة من والى البصرة في عام ١٧٩٣.

(١١) جي. ام

(١٢) دنلوب، Bronnen ، ص ٤٠٦

(١٣) دنلوب Bronnen⅞ ، ص ٥٠٢، ٥٥٤، ٥٥٦، ٥٥٨ ـ ٥٥٩، ٦٠٧

(١٤) اس ٣ واس ٤ انظر المصدر الانجليزي

(١٥) الوثيقة اس ٥

(١٦) الوثيقة اس ٦ الى اس ١١

(١٧) الوثائق اس ١٢ ـ اس ١٣، جي ام

(١٨) ريس ايتش آر، اول اغسطس ١٦٤٤، انظر HOTZ بخصوص السفر الى البصرة و«ريس» وايه آر ايه، والارشيف الخاص بـ Geleynssen de jovgh.

(١٩) ريس. ايتش آر ١٣ اغسطس ١٦٤٦، «اسفار السفير» انظر سبيلمان، ريس Speelman, Reis.

(٢٠) الوثائق اس ١٦ الى اس ١٨.

(٢١) انظر ايه آر ايه، في اوسي (محضر جلسة السادة ١٧).

(٢٢) جي ـ ام

(٢٣) جي ـ ام انظر وثيقة اس ٢٩ من تقرير حول الوضع الاقتصادي في مسقط وتجارتها مع البحرين.

(٢٤) وثيقة اس ١٩

(٢٥) وثيقة اس ٢٣

(٢٦) وثيقة اس ٢٤ ـ اس ٢٨

(٢٧) جي ـ ام

(٢٨) جي ـ ام

(٢٩) جي ـ ام

(٣٠) وثيقة اس. ٣ وانظر اس ٣١

(٣١) جي ـ ام.

(٣٢) جي ـ ام

(٣٣) جي ـ ام

(٣٤) جي ـ ام

(٣٥) جي ـ ام

(٣٦)جي ـ ام، ريس ايتش آر، ١٤ يوليو ١٦٩٧ و٨ يوليو ١٦٩٨.

(٣٧) لوريمر، دليل الخليج، مجلد ١ (أ)، ٤٠٥.

(٣٨) ايه آر أيه، في اوسي
(٣٩) ريس ايتش آر، ٢١ (٧) ١٧٠٤
(٤٠) أيه آر أيه، في اوسي، جي ام.
(٤١) الوثائق اس ٣٤، اس ٣٥، اس ٣٨
(٤٢) الوثائق اس ٣٦، اس ٣٧
(٤٣) الوثائق اس ٤٢، اس ٤٣
(٤٤) الوثائق اس ٣٩، اس ٤٠
(٤٥) الوثائق اس ٥٢، اس ٥٣، اس ٥٤
(٤٦) لوكهارت، Fall of Safavi - dynasty، ص ١١٥
(٤٧) الوثيقة اس ٤٠
(٤٨) الوثيقة اس ٤٤
(٤٩) الوثيقة اس ٤٠
(٥٠) لوكهارت Fall of the Safavi - dynasty والوثائق اس ٤٨، واس ٥٦ حول الضغوط الايرانية. انظر الوثيقة اس ٤٧ عن رفض الحاكم العام طلبات ايران الجديدة ـ انظر الوثائق اس ٥٠ واس ٥١
(٥١) الوثيقة اس ٥٧ ـ بخصوص نتائج العمليات التي قام بها البرتغاليون ضد العرب في رأس الخيمة فإن موقف الكتاب الانجليز اكثر ايجابية من الآخرين على الرغم من انه لا مبرر له: لوريمر ـ دليل الخليج ـ مجلد ١ (أ) ص ٤٠٤ ـ يقول لوريمر بأن «البرتغاليين انتصروا تماما» وليس هذا الا تفاؤلا يفوق حدود المعقولية.
مايلز ـ «البلدان والقبائل» ص ١٩٩
لوكهارت «سقوط السلالة الصفوية».
(٥٢) الوثائق اس ٦٠، اس ٦٣، اس ٦٤
(٥٣) لوكهارت، نادرشاه، ص ٦؛ لوكهارت «سقوط السلالة الصفوية» ص ١١٦، هامش ٤
(٥٤) لا تشير الصفحات المذكورة في مؤلفات لوكهارت الى ان جبر فتح البحرين.
(٥٥) الوثيقة بي ١٠
(٥٦) أيه آر أيه، في اوسي..
(٥٧) أيه ـ آر ـ أيه في اوسي.. يظهر اسم الشيخ مذكور بصفته شاه بندر في مراسلات المؤسسة الهولندية في بوشهر ومثال ذلك ايه آر أيه، في أوسي ٢٤٤٨، ص ١٠٣٤ ـ ٣٥.

(٥٨) أيه ـ آر ـ أيه، في أوسي..
(٥٩) أيه ـ آر ـ أيه: لوكهارت، نادرشاه ص ٧٨ ـ ٧٩
(٦٠) أيه ـ آر ـ أيه، في اوسي؛ لوكهارت، نادر شاه ص ٧٩ ـ ان سرد الاحداث، كما يبدو، ليس بصحيح.
(٦١) أيه ـ أر ـ أيه في اوسي
(٦٢) الوثائق بي ٣٩، بي ٤٦، بي ٣٦، بي ٤٠، بي ٤١، بي ٣٨
(٦٣) لوكهارت، نادرشاه، ص ١٠٨، نقلا عن كتاب عربي
(٦٤) أيه آر أيه في اوسي ٢٤٤٨، ص ٨٨٤ ـ ٨٨٥
(٦٥) سجلات المكتب في ايران، المجلد ١٦، رسالة من فرانسيس وود في ٢٧ اكتوبر ١٧٥٣ تقول: «الشيخ محمد بن جبر الذي كان حاكم البحرين سابقا».
(٦٦) لوكهارت، نادرشاه؛ أيه آر أيه، في اوسي ٢٤٧٦، ص ٨٧ ـ ٩٠
(٦٧) الوثائق بي ٥٠، بي ٩٤، بي ٩٠، بي ٤٩، بي ١١
(٦٨) الوثائق بي ٩٥، بي ٥١
(٦٩) تورد بي ٩١ خطة الاسطول الايراني ليتقدم الى البحرين في نوفمبر ١٧٤١ لتجنب العدو اي العرب. وهذا يبدو غير منطقي إذ كانت البحرين آنذاك في ايدي العرب.
(٧٠) الوثيقة بي ١٢٩ (ص ٤ للمخطوط). ورد هنا الجزء من الوثيقة الذي يتعلق بتاريخ البحرين مع ترجمته الى الانجليزية. وقد نشر دبليو ـ ام فلور ترجمة انجليزية كاملة للوثيقة تحت عنوان «وصف للخليج الفارسي وسكانه في ١٧٥٦» برسيكا ٨، (١٩٧٩)، ١٦٣ ـ ١٨٥
(٧١) بي ١٢٩ (ص ٤ للمخطوطة)
(٧٢) بي ١٢٩ (ص ٦ للمخطوطة)
(٧٣) أيه ار أيه، في اوسي
(٧٤) أيه أر ايه، في اوسي ٢٤٧٦، ص ٦٧٦، في اوسي ٢٥١١م ص ١٣٣٧ ـ ١٣٤٢
(٧٥) ايه . أر . ايه في أوسي ٢٤٧٦ من ٦٧٦ في أوسي ٢٥٤٦ ص ١٢٧٢ ـ ١٢٧٣
(٧٦) تشير كلمة «الوصي» في سياق شركة الهند الشرقية الى الشيوخ المحليين وفي حالة نادرة الى الحاكم او المحافظ ويخطىء فلور في ترجمة الكلمة بـ «الحاكم» في ترجمته للتقرير الهولندي حول القبائل العربية لعام ١٧٥٦. انظر فلور: الوصف في سائر الكتيب.
(٧٧) الوثيقة بي ١٢٩ (المخطوطة)

(٧٨) بي ـ ٤٤، لقد ورد ذكر سعدون في المصادر البريطانية ايضا وانه كان شيخ بوشهر، واتفق معه الانجليز في ١٧٦٣ على فتح مكتب لهم في بوشهر. انظر لوريمر، دليل الخليج ـ القسم التاريخي ١٧٧٩ ـ ١٧٨٠ حيث ترد سلالة المطاريش لبوشهر كالآتي:

جامير (انظر ايه آر أيه في اوسي ٢٤٧٦ ص ٦٧٦)

مذكــور

ناصـر (فتح البحرين حوالي ١٧٥٣)

سعدون
(حاكم بوشهر والبحرين
حوالي ١٧٦٠؛ بعد ١٧٦٣)

نصر
حاكم البحرين ١٧٨٣

يبدو ان هناك تشوشا في معظم تواريخ الخليج بخصوص اسماء نصر وناصر، انظر على سبيل المثال، ابو حاكمة ـ تاريخ شرق الجزيرة العربية.

(٧٩) الوثائق بي ١٢٠ بي ١٢٩، بي ١٣٠

(٨٠) أمين، السياسة البريطانية ص. ٣٠ ـ ٣١ لوريمر، دليل الخليج الجزء الاول ١ (ب) ص ٨٣٨

(٨١) أيه ـ آر ـ أيه، في اوسي..

(٨٢) ايه آر ايه، في اوسي..

(٨٣) ريس ايتش آر، ٦ ابريل ١٧٤٧

(٨٤) بي ٥٢

(٨٥) بي ٩

(٨٦) نيبور، بشرى بنج، نيبور، رايسي أنفس، فوياج، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٦، ام ايه بي مايلنك رولوفس، أين نيدر لاندس فستنجح ان دي برزيش جولف، سبيكال هستوريال (٢) ١٩٦٧ ص ٤٨٠ ـ ٤٨٨؛ جيه أر بيري، ميرمهنا والهولنديون: اشكال القرصنة في الخليج الفارسي، ستوديا ايرانيكا (٢) ١٩٧٣ ص ٧٩ ـ ٩٥، امين، المصالح البريطانية، ص ١٤٢ ـ ١٥٠، ابو حاكمة تاريخ الجزيرة العربية الشرقية، لوريمر، دليل الخليج الجزء الاول (أ) ص ١٢٩ ـ ١٣٢.

(٨٧) توجد هذه الوثائق بصفة عامة في ايه أر ايه، في اوسي..

(٨٨) ايه آر أيه، في اوسي..

(٨٩) ايه آر ايه، في اوسي..

(٩٠)انظر بعض الملاحظات حول هذه السياسة في ايه آر ايه في اوسي..

(٩١) بي ١٢٠ وبي ٣٢

(٩٢) لوريمر، دليل الخليج، الجزء الاول ب، ص ٨٣٨، امين السياسة البريطانية ص ٣٠ ـ ٣١

(٩٣) بي ٥٤

(٩٤) بي ١٣٠، انظر الكلمات الاخيرة في بي ٥٤، تتضمن بي ٥٥ ملاحظات الحاكم العام.

(٩٥) ان ان بي دبليو.

(٩٦) بي ٦٧

(٩٧) بي ١٣٠

(٩٨) بي ١٢٩، انظر ايضا الفصل الرابع المرجع ٢٤

(٩٩) اية أر أيه، في اوسى

(١٠٠) مائلنك رولوفس، اين نيدرلاندس فستجنج.

(١٠١) فلور، مصائد اللؤلؤ في الخليج الفارسي، انظر ايضا بي ٤٣، تشير بي ٥٣ الى مادة الكبريت في الكويت.

(١٠٢) بي، ٥٥، انظر ريس ايتش، أر ٧ جولدى ١٧٥٥

(١٠٣) بي ٤٤

(١٠٤) ريس ايتش أر ١٥ اغسطس ١٧٦٥.

(١٠٥) تفاصيل الاحداث فى المطبوعات المذكورة في رقم (٦) انظر ايضا أيه آر أيه، في اوسي...

(١٠٦) ريس أر، ٢٤ يوليو ١٧٦٧

(١٠٧) أيه آر في اوسي، أيه آر أيه، ان ايتش ام.

من تاريخ
الخدمات الجويّة
في البحرين



○ تزويد الطائرة بالوقود ..

ترجمة وإعداد : ب.ك. ناراين
مراجعة وتحقيق : د. علي أبا حسين

لا شك ان للبحرين اهمية كبيرة بحكم موقعها الجغرافي المتوسط بين الشرق والغرب فهي همزة وصل بين اوربا والهند وشرق آسيا. وقد ازدادت تلك الاهمية في العقد الثاني من القرن العشرين سواء في المواصلات البحرية او الجوية خاصة إبان الحرب العالمية الأولى لكونها اتخذت منطقة تحشد للقوات التي قامت بالتعرض للجبهة العثمانية في اطراف الخليج العربي. هذا بالاضافة الى الاهمية الاقتصادية والتي ادركتها الامبراطورية البريطانية فأقامت مواصلات جوية تربط بين مستعمراتها المختلفة منذ بداية القرن العشرين وكانت البداية في عام ١٩١٦م حين قامت طائرات القوات الجوية الملكية برحلات الى كل من الكويت والبحرين ومسقط وبوشهر واستمرت طوال العشرينات من القرن الحالي وفي عام ١٩١٧م شكلت بريطانيا لجنة باسم لجنة المواصلات الجوية المدنية وأوصت هذه اللجنة باقامة شبكة واسعة للمواصلات الجوية المدنية لتصبح نواة للتوسع السريع في المستقبل اذا اقتضى الامر واندمجت عدة خطوط جوية مكونة ما يدعى (بالخطوط الجوية الامبريالية) وكان ذلك في عام ١٩٢٣م وقد حدث ذلك بدعم مالي من الحكومة البريطانية على شرط أن توضع طائراتها تحت تصرف الحكومة في حالة نشوب أي حرب(١).

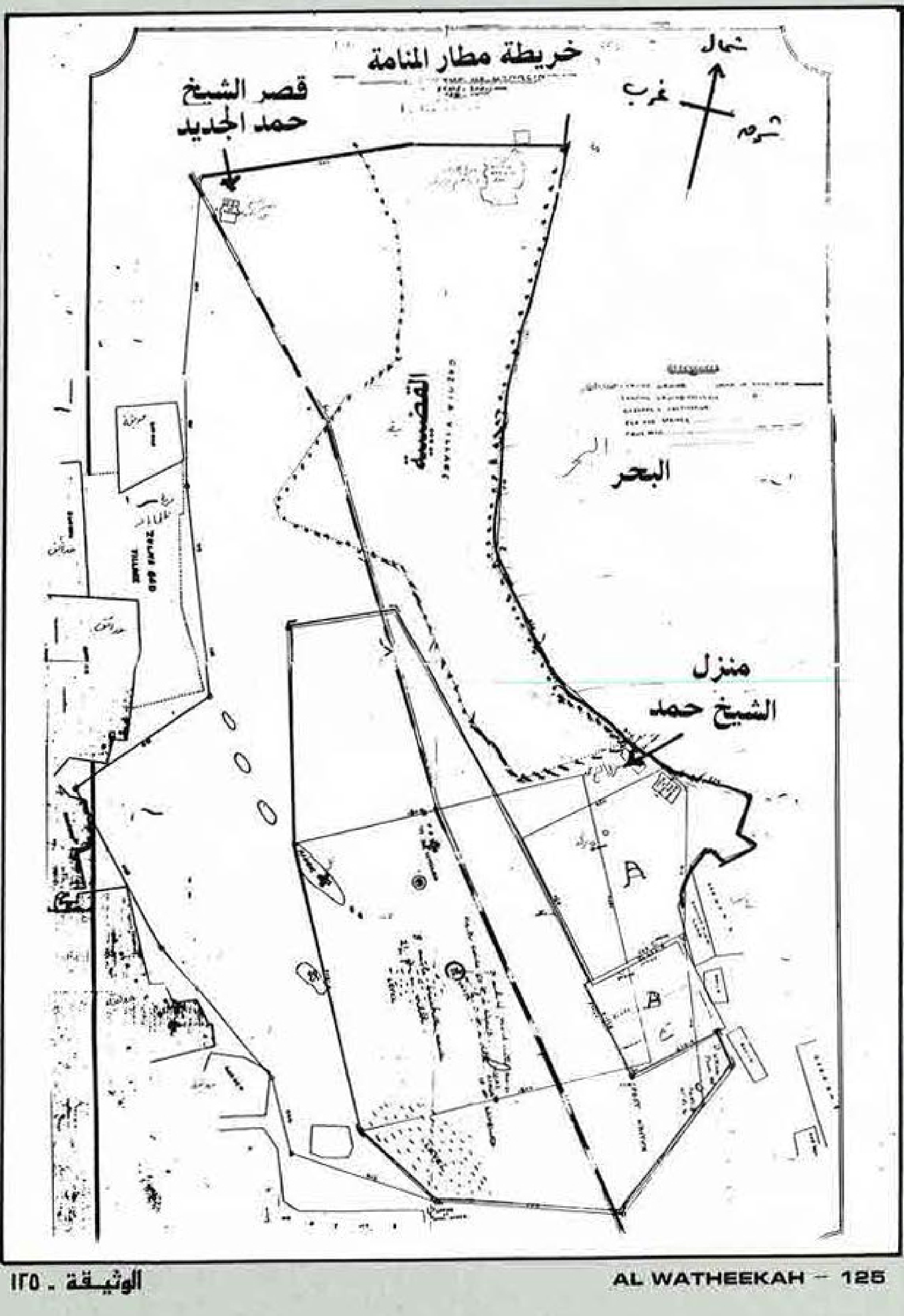
وواصلت القوات الجوية الملكية رحلاتها الجوية بين العراق والهند في ديسمبر ١٩١٨م عبر الساحل الايراني من الخليج العربي ونظرا لان الساحل العربي يتمتع بميزتين لا تتوفران في الساحل الايراني وهما اولا: لأن الساحل العربي افضل من حيث الطبوغرافية اذ تتوفر الفشوت والمداخل الواسعة مما يهيء ملاجيء آمنة للطائرات المائية.

ثانيا: كان الساحل العربي يتمتع وقتئذ بظروف سياسية مستقرة اكثر مما يتمتع به الساحل الايراني الذي يسود فيه عدم الاستقرار السياسي(٢) وكان لتطور المواصلات الجوية وما يترتب عليها من قواعد جوية ومنافستها للقواعد البحرية اثر في الاعتبارات العسكرية الدفاعية وقد صرح (اللورد واويل) الحاكم العام في الهند بأن هناك عاملين رئيسيين وراء التغييرات الاستراتيجية لآسيا أولهما: القوة الجوية، وثانيهما النفط(٣).

ونظرا لهذه الاعتبارات العسكرية وظهور النفط فقد اهتمت بريطانيا بانشاء خط جوي عبر الخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية. على مسافات ٢٠٠ ميل من اجل التزود بالوقود وانشاء مهابط الطوارىء على بعد كل ٣٠ ـ ٥٠ ميلا.

ثم شعرت بريطانيا فور انتهاء الحرب العالمية الاولى بضرورة تنظيم خطوط جوية لاغراض مدنية وعسكرية تربط بين مصر والخليج العربي والهند ومن هذا المنطلق اتخذت كل من السواحل العربية في الخليج ومنها البحرين والساحل المتصالح ومسقط اهمية خاصة في تنظيم الخطوط الجوية البريطانية. وقد عقدت مناقشات مكثفة في كل من دلهى ولندن حول امكانية توسعة الحكم البريطاني في الخليج وذلك بمد الخطوط المقترحة والمحافظة على أمنها ولكن في النهاية اقتصرت بريطانيا على ابرام اتفاقيات عديدة تضمن لها امن المطارات والطائرات(٤). وورد من اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة الدفاع الامبريالية في تقرير لها في ١٩٢٨م بأنه من الضروري من الناحية الاستراتيجية ان تهتم بريطانيا بتطوير الطرق الجوية بمحاذاة الساحل الشرقي والغربي للخليج العربي وأكدت على اهمية الساحل العربي نظرا لعدم استقرار الوضع السياسي في ايران(٥).

واصبحت البحرين مركزا رئيسيا في انشاء الخطوط المقترحة وفي العشرينات من هذا القرن فاوضت بريطانيا سمو الشيخ عيسى بن على آل خليفة بخصوص انشاء مهبط للطائرات على ارض البحرين وكان لدى الشيخ عيسى ادراك طبيعي عن الاحداث المستقبلية فأخذ سرب رقم ٨٤ من طراز (هافيلاند ٩ أ) يعاود



خريطة مطار المنامة
قصر الشيخ
حمد الجديد
شمال
غرب
شرق
القضيبية
البحر
منزل
الشيخ حمد
A
B



خريطة توضح المطارات في أعقاب الحرب العالمية الثانية بالخليج العربي

الخليـج من مـطار الشعيبـة مـارا بالبحرين والشارقة. أمـا دبي فكانت مـركزا للطائـرات المـائيـة التي دام استخدامها حتى الى ما بعد الحرب. ووافق سمو الشيخ حمد بن عيسى بن عـلي آل خليفـة عـلى منـح كـافـة التسهيـلات الجويـة وذلك لما له من مـردود مالي يـدر عـلى البـلاد. وقـد اشترت القوات الجوية الملكيـة مبنى قـديما استخـدمتـه كمحجـر صحي للقادمين، وكذلك صالة للاستراحة كما استـأجرت مهبطا للطائرات في وقت لاحق. وكانت الخطوة الثانية انشـاء محطة لاسلكية في مسقط. وقد تحققت هذه الخطوات بيسر وسهـولة وبدأت طائرات القوات الجوية الملكيـة تقوم برحلات منتظمة في عـام ١٩٣٠م الى كل من البحرين ومسقط.

وحاول المقيم السياسي (باريت) ان يقيم مخـزنا للوقـود في رأس الخيمة تحت اشراف شركة النفط ولكن حاكم رأس الخيمة الشيخ سلطان بن سالم لم يوافق على ذلك. فاختار (الشارقة) كمحطة للوقود بصورة مؤقتـة. وعاد ثانية ليقدم طلبا الى حاكم رأس الخيمة في ١٥ مايو ١٩٢٩م فوافق على اقامة مخزن للوقود الا انه لم يتعهد بضمان امنه.

وما ان حل (هيوغ بسكو) محـل (باريت) مقيما في الخليـج حتى اتبع سياسة الضغـط والاكراه في فـرض خطط الانجليز عـلى الشيوخ العـرب هنـاك حينما رأى انهم يخشـون اذا وافقـوا على انشـاء محطات جـويـة ومخازن وقود على اراضيهم ان يؤدي ذلك الى توطيد النفـوذ البريـطاني في الخليج[٦].

وفي عام ١٩٢٧م تم افتتاح خدمة الخطوط الجوية الملكية ما بين القاهرة والبصرة وتوسعت الخدمة في ابـريل ١٩٢٩م الى كـراجي مارة بـالبحرين وحملت اغلفة البريد الجوي الشعـار الازرق وقد كتب عليه (By Air Mail) (بالبريد الجوي) المدون داخل دائرة مزدوجة عـلى اغلفة البـريد الجـوي المـرسلة من البحرين مـا بين عـامي ١٩٢٨ ـ ١٩٣٦م[٧].

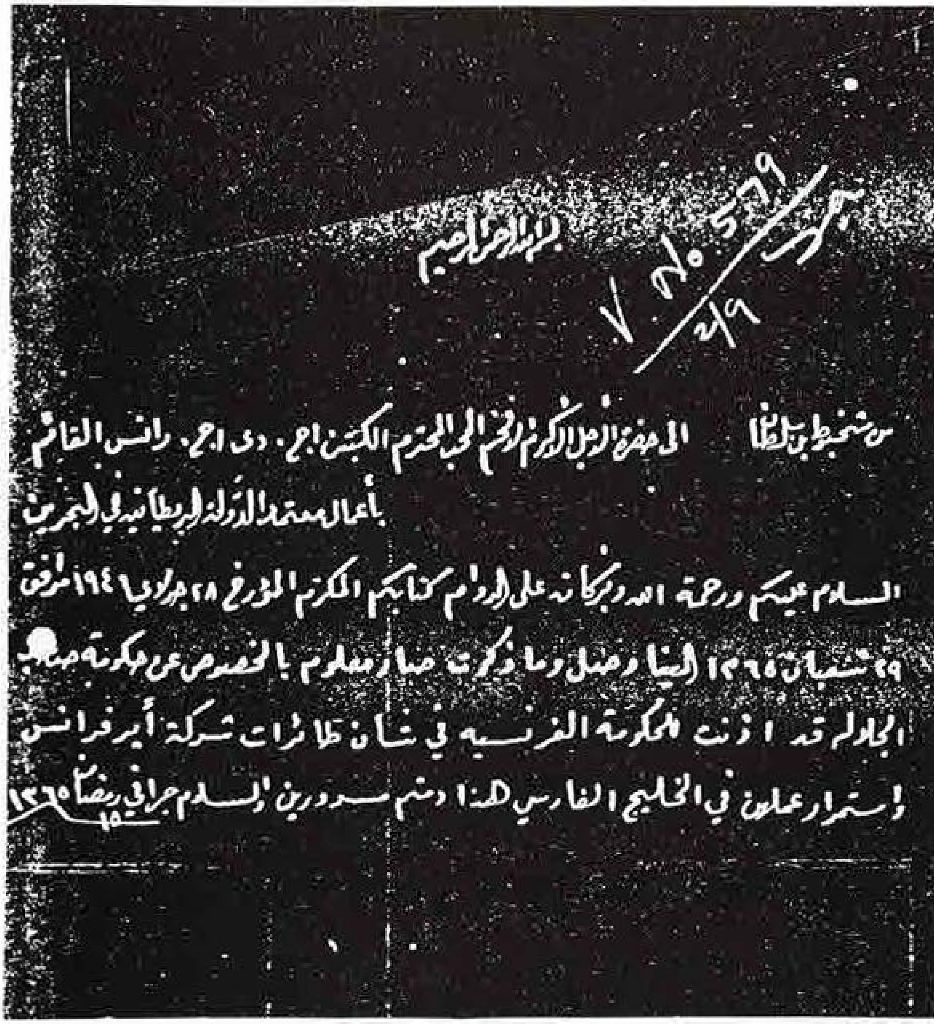
وكان لانشاء الخطوط الجوية اثر كبير في تغيير السياسة البريطانيـة في الخليج اذ ان سياسة بريطانيا سابقا كانت تقتصر على المقاومة أو الدفاع في الحـروب البحـريـة ثم تحـولت الى الاعتراف بالحكام المحليين واستقرت أخيرا الى تسيير سيـاسات خـارجية نيابة عن الحكام. وفي نفس الوقت فقد توسع التورط البريـطاني في الشئون الداخلية للخليج العربي عقب انشاء المطارات ودور الاستراحـة والمخازن ومراكز المواصلات بصورة مباشـرة ولكن لم يؤثر هذا التغيير في سيـاسة بريطانيا سواء في الكويت او البحرين الى حد ملموس لان بريطانيـا تمتعت بتسهيـلات فيهمـا بخصـوص دور الاستراحة ومهابط الطائـرات وكانت

كل من الكويت والبحرين مركزا تجاريا هاما ذا صلات خارجية واسعة النطاق وقد سبق للمعتمدين السياسيين ان اقاما فيهما منذ عقود ودامت بينهما وبين الحكام ارتباطات في مجالات مختلفة. وفي مسقط مارس الانجليز نفوذهم منذ عام ١٨٩٠م ومثل ذلك في سواحل الباطنة من مسقط الى رأس الحد. ولم يكن الانجليز يهتمون كثيرا بسير الاحداث في المناطق الداخلية بل قصروا اهتمامهم على السواحل فقط كما ان المناطق الداخلية لم تعد قادرة على تحدي السلطة المركزية وكانت المطارات تقع في المدن الساحلية فقط.

ولعل السبب الرئيسي في التورط البريطاني المتزايد في الخليج يعود الى اكتشاف النفط والذي أدى الى تأسيس منصب المعتمد السياسي في كل من الدوحة وابوظبي ودبي وجلب عدد كبير من الفنيين للعمل هناك(٨).

وباشر الانجليز في انشاء خط جوي على الساحل الايراني فواجهوا صعوبات كثيرة نتيجة عدم الاستقرار السياسي كما اسلفنا وقد استغرقت اول رحلة من كرويدون في جنوب لندن الى كراجي على الخطوط الجوية الامبريالية في مارس ١٩٢٩م اسبوعا كاملا وتلت تلك الرحلة رحلات قامت بها شركة الطيران الفرنسية الشرقية في عام ١٩٢٩م كما قامت شركة الطيران الهولندية برحلات في عام ١٩٣١م وكانت تحمل البريد والركاب بين اوروبا ومستعمراتها في الشرق الاقصى عبر الخليج العربي. ولكن المبادرة الانجليزية في هذا المجال قد واجهت صعوبات وعقبات كثيرة خاصة عندما اجبرتهم السلطات الايرانية على اخلاء كل من بوشهر وجاسك على الساحل البلوتشي في خليج عمان نتيجة سخطهم على الانجليز في سنوات الحرب العالمية الاولى. ومن هنا بدأ الانجليز البحث عن بديل فكان ذلك هو الجانب الغربي في الخليج العربي وكان الخيار قد وقع على كل من الكويت والبحرين والشارقة وابرم المعتمد السياسي اتفاقيات مع هذه البلدان في عام ١٩٣٢م رغم معارضة شيخ الشارقة في بادىء الامر. وقد ساعدت هذه الاتفاقية البحرين كثيرا من الناحية الاقتصادية(٩).

ونزلت اول طائرة تابعة للخطوط الجوية الامبريالية في البحرين وتدعى (هنيبال) قادمة من لندن في طريقها الى الهند وكان يقودها الكابتن (هورسي) في ٦ اكتوبر ١٩٣٢م وكان نزولها في منطقة سباق الخيل التي كانت عبارة عن ارض رملية وتقع على مقربة من الماحوز وراء قصر القضيبية وفي تقرير صادر في ذلك العام انها هبطت في مهبط القوات الجوية الملكية بالقرب من راديو البحرين حاليا وحين اقلاعها نزلت عجلاتها في ارض طينية وحاولوا جرها بالحبال بواسطة مئات من



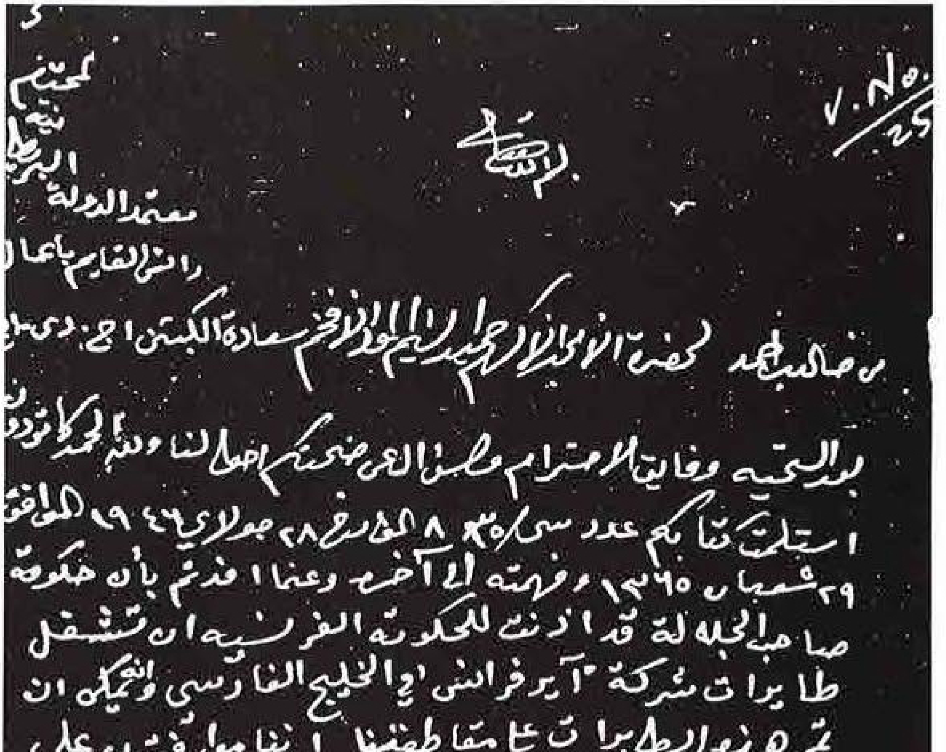
بسم الله الرحمن الرحيم

No. 579

من شخبوط بن سلطان   الى حضرة الاجل الاكرم الافخم المحب المحترم الكبتن اج. دي اج. رانس القائم
بأعمال المعتمد الدولة البريطانية في البحرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام كتابكم المكرم المؤرخ ٢٨ جولاي ١٩٤٦ الموافق
٢٩ شعبان ١٣٦٥ الينا وصل وما ذكرت صار معلوم بالخصوص عن حكومة صاحب
الجلالة قد اذنت للحكومة الفرنسيه في شان طائرات شركة أير فرانس
واستمرار عملهن في الخليج الفارسي هذا دمتم مسرورين والسلام جرا في رمضان ١٣٦٥

صورة رسالة من حاكم ابوظبي الى المعتمد السياسي في البحرين (١٢/٧/١٩٤٦)



٧٠٨٥/ ٢٥

بسم الله تعالى

لحضرة
فخامة
البريطاني
معتمد الدولة
دائني القايم باعمال

من خالد بن احمد لحضرة الأمجد الأكرم الحميد الشيم الودود الأفخم سعادة الكبتن اج. دي ...

بعد التحية وغاية الاحترام مع السؤال عن صحتكم احوالنا ولله الحمد كما تودون

استلمت كتابكم عدد سري ٣٣٣ ٨ المؤرخ ٢٨ جولاي ٤٦ ٢٩ الموافق

٢٩ شعبان ١٣٦٥ وفهمته الى آخره وعنما افدتم بأن حكومة

صاحب الجلالة له قد اذنت للحكومة الفرنسية ان تشتغل

طايرات شركة آير فرانس في الخليج الفارسي وتمكين ان

تمر هذه الطايرات في مقاطعتنا انا موافقون على

ما فيه خلية حكومة صاحب الجلالة له ونتشرف

بما يبدو لكم من لوازم في اطرافنا وتفضلوا بقبول

غاية احترامي وحرر ٦ رمضان ١٣٦٥ ... خالد بن احمد

صورة رسالة نائب حاكم كلبا بالشارقة الى المعتمد السياسي (١٩٤٦/٨/٩)

العمال ولم تستطع الاقلاع الا في اليوم التالي وذلك بصعوبة بالغة ومن بعد ذلك التاريخ استخدمت الخطوط الجوية الامبريالية موضع مطار المحرق وكان عبارة عن مدرج صغير ومكاتب مشيدة كأكواخ مسقفة بجريد النخيل وامامها جرس يقرع للاعلان عن بدء مغادرة المسافرين.

ووافقت شركة الخطوط الجوية على دفع الرسوم والايجارات المقررة اثر ابرام اتفاقية خاصة بينها وبين الحكومة على ان تدفع الرسوم اعتبارا من اول يوم تستخدم فيه الشركة المطار وقام عدد كبير من موظفي الخطوط الجوية الامبريالية وكذلك من الضباط العاملين في القوات الجوية الملكية بزيارة البحرين لمناقشة الاتفاقية المقترحة ولتقييم المواقع المختلفة لبناء المطار وقد طرحت عدة مشاريع للمناقشة غير انه لم يتم الوصول الى قرار نهائي بشأن موقع المطار الدائم.

وعلى الرغم من ان حكومة البحرين قد ادركت فوائد الخدمات الجوية الا انها لم تسمح للشركة بالتسهيلات المجانية لاستخدام المطار دون دفع مبلغ معقول لحكومة البحرين اما سنويا واما تدفع رسوم مقابل نزول كل طائرة حسب الترتيب المتبع في الدول الاخرى. ولقد وفرت الحكومة خلال الثمانية الاشهر الاخيرة من عام ١٩٣٢ حرسا من الشرطة في المطار وذلك في كل مرة تهبط فيها الطائرة في مطار البحرين. الا ان الشركة ماطلت في الوصول الى الاتفاقية مما جعل الحكومة تحتج عليها. وفي ١٩٣٣م انشىء مطار بحري في القضيبية واستمر هذا المطار يستقبل الطائرات المائية حتى بعد منتصف الاربعينات بقليل (١٠).

وشهدت الاعوام الاولى من الثلاثينات كثرة المسافرين الى الخليج حتى اصبح من الصعوبة الحصول على مقعد في الطائرة خاصة وان السفر من الكويت الى البحرين عن طريق البر كان فيه مشقة كبيرة اذ كان على المسافر ان يستقل السيارة من الكويت الى الاحساء والقطيف ثم من هناك يركب الداو حيث ينقله الى البحرين. وكتب شاهد عيان انه كان من حسن حظه ان حصل على حجز في الطائرة بواسطة احد اصدقائه لانه وجد امام شباك التذاكر في المطار ومكاتب الاستقبال في الفنادق حشدا كبيرا صباح مساء والجميع قلقون على حجزهم: «وسافرت عصرا وكانت الرحلة كثيرة المطبات والرؤية رديئة فور اقلاع الطائرة والسحب تحتنا تحجب عنا رؤية البحر وفي بداية الثلاثينات كانت طائرات الخطوط الجوية الامبريالية تغادر في الصباح الباكر تجنبا للعواصف الرملية السائدة على هذا الطريق الصحراوي. وكان بجانبي امريكي وزوجته وبينما

آر ١٦٧٦/٢/١٥

تكاليف تمهيد المطار

إقامة علامات حدود المطار	٣٥	روبية
بوية	٥	روبية
التخطيط	٣	روبية
كيس من الكلس	٤	روبية
تمهيد موقع المهبط	٧٥	روبية
المجموع	١٢٢	روبية

(توقيع) بلغريف

١٩٣٧/٩/٢٠

مستشار دولة البحرين

أر ٢٦١/٢/٥ مرجع ٣/١١٠٣٠

من مقر القوات الجوية الملكية
هنيدي
٩ مايو ١٩٣٥

الى سمو الشيخ حمد بن عيسى الخليفة حاكم البحرين

الموضوع : مهبط القوات الجوية الملكية بالمنامة

سـيدي

أود أن اشير الى الفقرة التاسعة للاتفاقية التي ابرمت بين سموكم والقوات الجوية الملكية في ٥ مايو ١٩٣٠.

ونظرا لمرونة الارض لمهبط المنامة وبسبب زيادة اوزان الطائرات، يزيد خطر الحاق ضرر بالطائرات مستقبلا باستخدام ذلك المهبط فللأسف نضطر الى اصدار اخطار ١٢ شهرا لانهاء الاتفاقية اعتبارا من اول يونيو ١٩٣٥.

وبدلا من مهبط المنامة نود أن نستخدم الارض التي اشترتها وزارة الجو، المحرق كمهبط للقوات الجوية الملكية.

المطيع

دبليو جي اس ميتشيل

قائد القوات البريطانية في العراق

آر ٢٦١/٢/١٥ مرجع اس ٣/١١٠٣٠

مقر القوات الجوية الملكية

هنيدي

١٩٣٥/٢/٢٢

الى الوكيل السياسي ـ البحرين

مذكـــرة

البحرين ـ مهابط الطائرات

ان موضوع ترك المهبط الحالي بالمنامة يلقى الآن اهتمامنا وتدفع القوات الجوية الملكية لشيخ البحرين ايجارا لاستخدامه قدره ١٢٠ جنيه سنويا.

يقترح ان نحافظ على المطار الواقع في جزيرة المحرق فحسب.

يستلزم هذا التغيير في السياسة اعطاء اخطار مسبق لـ ١٢ شهرا لشيخ البحرين لانهاء الاتفاق الذي ابرم في ٥ مايو ١٩٣٠. ولكن قبل ذلك أود أن أعرف رأيكم عن تأثيره على البحرين محليا كما أود ان أعرف منكم بدقة شروط استئجار مطار المحرق من شيخ البحرين.

اللواء الجوى

كنت اقرأ كتابا لاتظاهر بعدم اكتراثي لحركات الطائرة واصوات محركاتها ظنت الزوجة الامريكية انني اقرأ كتابا دينيا وقد بدا على محياها الخوف والاضطراب حتى لاحت لنا انوار جزيرة البحرين ثم الاشارة الضوئية المعلنة للهبوط فانفرجت أساريرها وبمقارنة البحرين مع السواحل المجاورة فان البحرين افضل بكثير من المدن الساحلية الاخرى وذلك لوجود الاشجار والنخيل والمياه الزرقاء والخضراء الزمردية.» (١١).

وفي الفترة ما بين الحربين العالميتين ازدادت اهمية الخليج العربي خاصة بالنسبة لبريطانيا اثر ظهور البترول وحينما بدأت ناقلات النفط تحمله الى اوربا وامريكا ولذا اصبحت موانىء الخليج العربي قواعد عسكرية للاسطول البريطاني لحراسة الابار واماكن التكرير والناقلات وحين اعلنت الحرب العالمية الثانية زادت اهمية تلك القواعد في الخليج العربي لوجود منابع النفط الذي هو مصدر مهم في تموين آلة الحرب ثم ان البحرين قاعدة مهمة جدا لحماية طرق المواصلات بين الهند وشمال الخليج العربي بالاضافة الى انها تقع على عقدة المواصلات الجوية بين اوربا والشرق الاقصى ومنها منطلق الطائرات الضخمة والمقاتلة لارتال العدو والتي تقصد مواطن النفط في الخليج علاوة على ان البحرين كنقطة متقدمة للدفاع عن الهند (درة التاج البريطاني)(١٢).

وقد اشار فول المقيم السياسي في الخليج بأن الطريق الجوي عبر الساحل العربي اكثر اهمية من الطريق الايراني بسبب وجود النفط هناك ووجود القاعدة البحرية واذا انقطع هذا الخط فانه من المتعذر على اية طائرة مدنية بريطانية ان تصل الى الهند او سنغافورة او استراليا عن طريق عدن ومسقط كما يصعب على طائرات القوات الجوية الملكية ذلك ايضا(١٣).

وعلى اثر المناقشات التي دارت حول هذا الموضوع فقد اتفق على ان مسئولية الدفاع عن المناطق الساحلية العربية في الخليج العربي تقع على عاتق القوات الجوية الملكية مع ان الخطر كان من القبائل المجاورة وان الهجوم عن طريق البحر او الجو ضئيل جدا فما كان اي داع لعمل دفاعات ثابتة ونوقش موضوع تشكيل قوات دفاعية محلية في كل من البحرين وقطر ومشروع لتوسعة قوات مسقط المسلحة(١٤).

وهذا جدول بالتسهيلات الجوية الموجودة في الخليج العربي قبل نشوب الحرب العالمية الثانية:

الموقع	التسهيلات
الكويت	مطار ومهبط للطائرات المائية لاستخدام الخطوط الجوية الامبرالية والقوات الجوية الملكية.

البحرين	مطاران ومهبط للطائرات المائية، ومخزن للوقود.
جزيرة الياس	مهبط طوارىء ومرسى لطائرات مائية ومخزن للوقود والزيت.
ابوظبي	مهبط ومخزن للوقود والزيت.
دبي	مهبط لطائرات الخطوط الجوية الامبريالية ومخزن للوقود.
الشارقة	مهبط لطائرات الخطوط الجوية الامبريالية وفنار ومحطة لاسلكية.
رأس الخيمة	مهبط للطائرات المائية ومخزن للوقود.
كلبا (جنوب الشارقة)	مهبط طوارىء للخطوط الجوية الامبريالية وفنار ومرسى للطائرات المائية وقاعة للركاب.
شناص	مهبط طوارىء ومخزن للوقود.
صحار	مهبط طوارىء.
مسقط	مقر القوات الجوية الملكية ومحطة لاسلكية ومطار في الفلج.
راس الحد	مهبط.
خورجرامة	مهبط للطائرات المائية.
جوادر	مطار للخطوط الجوية الامبريالية والفرنسية وكي ال ام. كانت جوادر من ممتلكات سلطان مسقط حتى ١٩٥٨م
مصيرة	مرسى للطائرات المائية ومخزن للوقود.
خورغريم وشويمية ومرباط والصلالة وقشن والريان وجزيرة بريم وكامران	مهبط ومخزن للوقود.
عدن	مطارات في كل من خور مقصر

والشيخ عثمان[١٥].

وحدث ان قامت سفينة يابانية للتموين بزيارة البحرين في فبراير ١٩٣٨م فاعتبر الانجليز هذه الزيارة ذات بعد سياسي وانها زيارة استطلاعية لمعرفة مواضع آبار النفط ومصنع التكرير[١٦].

وطلب مستشار حكومة البحرين (بلجريف) من المعتمد السياسي في البحرين عمل مسح جوي لأرخبيل البحرين فما كان من المعتمد السياسي الا ان طلب من قائد الجناح الجوي في الحبانية بأن يقوم بمسح جوي دقيق لمنطقة ارخبيل البحرين وذلك ضمن المناورات التدريبية الروتينية. وقد اجابه قائد الجناح بأنه يتوقع ان يتم تصوير المنطقة في ظرف اسابيع وطلب من المعتمد خريطة توضح المنطقة المطلوب تصويرها فأرسل له المعتمد خريطة. والذي يبدو ان قيام الحرب العالمية الثانية أخر تصوير المنطقة[١٧].

وقد تعرضت البحرين خلال الحرب العالمية الثانية لغارة جوية ايطالية فقصف ميناء البحرين في ليلة ١٩/٢٠ من شهر اكتوبر ١٩٤٠ وكانت الطائرات قد قطعت مسافة ٢٨٠٠ ميل وهاجمت مصنع التكرير في عوالي والقت الطائرة ٨٤ قنبلة صغيرة. والواقع انه لم تكن الغارة من طائرة واحدة كما ذكر الاستاذ (بدول) بل انها ثلاث طائرات ايطالية اقلعت

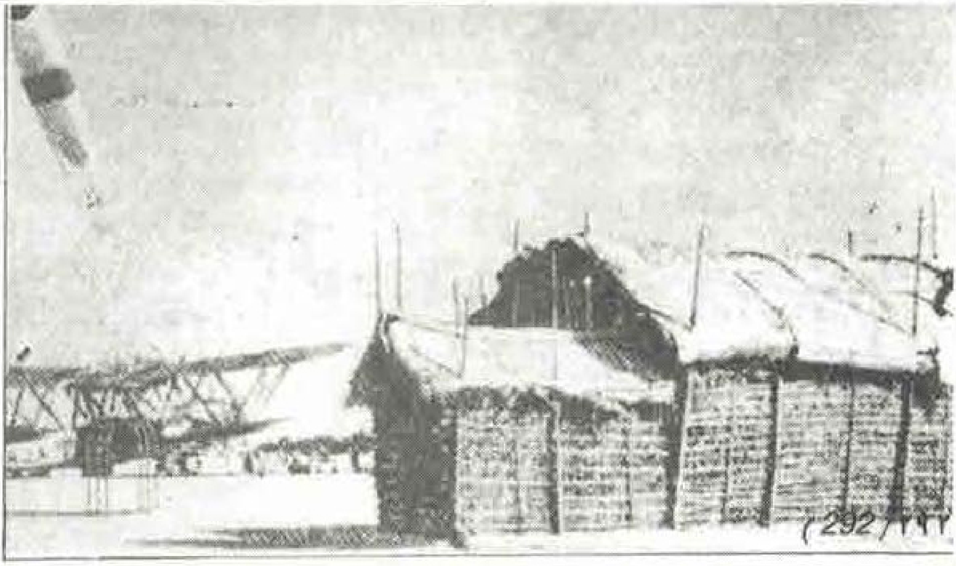
من جزيرة رودس في البحر المتوسط وألقت قنابلها على البحرين دون ان تحدث اضرارا تذكر ثم توجهت طائرة واحدة الى الظهران والقت قنابل على انابيب النفط محدثة اضرارا تافهة. كما شهد مطار البحرين في هذه الفترة الكثير من المقاتلات البريطانية. ومن الجدير بالذكر ان الطائرات الانجليزية وقتئذ كانت لا تستطيع مواصلة الطيران لاكثر من ٢٠٠ ميل بينما استطاعت الطائرات الايطالية قطع مسافة ٢٨٠٠ ميل بشكل متواصل.

وفي ابريل من عام ١٩٤١ فرضت البحرين سياسة اطفاء الانوار وحدث ان اطلق المدفعيون الهنود خطأ من المدافع المضادة للطائرات على الطائرات الملكية البريطانية وذلك على اثر حدوث الاوضاع المتوترة في شمال منطقة الخليج العربي خلال فترة الحرب العالمية الثانية ونشر بلجريف بيانا عن التدابير الوقائية ضد الغارات الجوية في جريدة (البحرين).

وفي عام ١٩٤٢م عندما حدث الغزو الالماني للاتحاد السوفيتي ادرك الحلفاء اهمية الطريق الخليجي لتموين الاتحاد السوفيتي خشية الاندفاع الالماني والياباني نحو الخليج العربي او قطع الطريق المؤدي الى الهند ثم تولت القوات الجوية الملكية مسئولية مراقبة القوات الجوية في كل من الخليج العربي والجزيرة العربية(١٨).

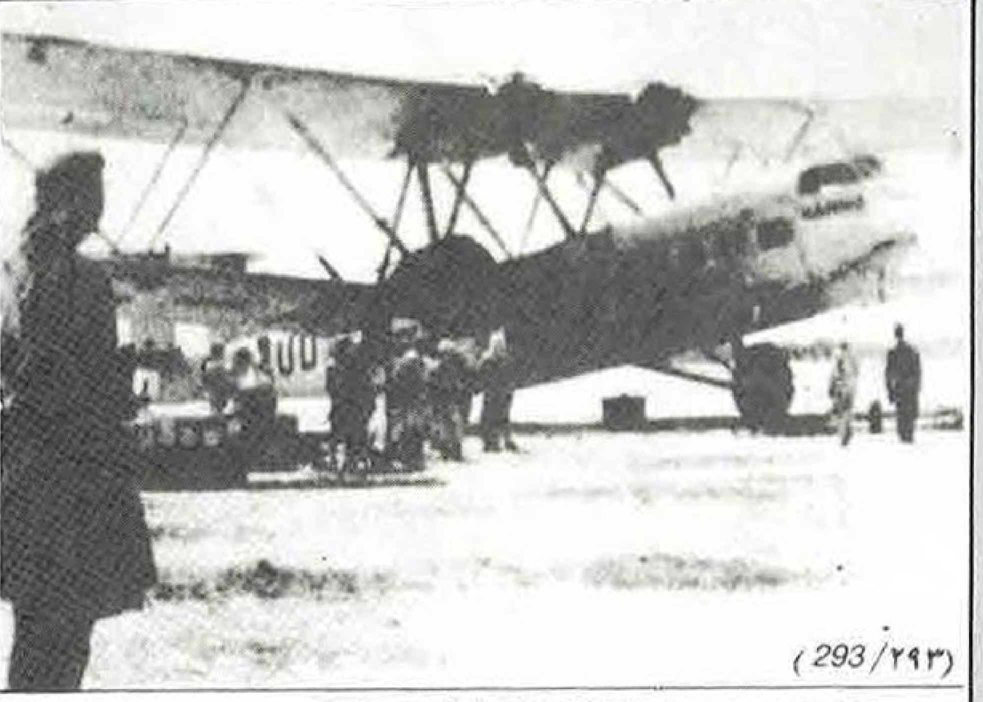
وفي اواخر عام ١٩٤٣م تغير الوضع في اوربا لصالح الحلفاء وبالتالي فكر الحلفاء في نقل الجنود والمعدات من ساحة اوربا الى الشرق والى الباسفيك فاستخدموا لهذا الغرض عددا من المطارات ومنها مطار القاهرة واللد والحبانية والبحرين والشارقة واقتضى ذلك اعادة بناء او توسيع المطارات وعمل مدارج اضافية وتسهيلات فنية وبناء دوائر للموظفين والمسافرين. وقد استخدمت وقتئذ طائرات من طراز داكوتا ذات المحركين وحلت محل الطائرات ذات الاربع محركات، وقد بلغ عدد الجنود الذين تم نقلهم شهريا اثنى عشر الف جندي وذلك في الفترة ما بين ٢ مايو الى ١٦ اكتوبر ١٩٤٥م. وفي يناير من عام ١٩٤٤م نقل مقر الحرس الخليجى الى (مصيرة) في عُمان وتم تسريحه في العام التالي وعند نهاية الحرب لم تبق الا بعض الوحدات الفنية الصغيرة للقوات الجوية الملكية كوحدة مراقبة الملاريا والانقاذ الجوي البحري ومراكز سلامة الطائرات فقط(١٩).

وكانت عائدات المطار في البحرين تدفع الى الدولة وليس الى المكتب الخاص بصاحب السمو حسب ما ورد في رسالة مستشار حكومة البحرين الى المعتمد السياسي في البحرين وكانت تلك العائدات تتكون من خمسمائة جنيه استرليني سنويا وهو ايجار ارض المطار ومائة وخمسون جنيها





لن يصدق أحد ان الصورة العليا هى صورة مطار البحرين اما الجرس الموجود فى الصورة السفلى فكان الوسيلة التى يعلن بها عن قيام الطائرة حيث يرى الى جواره بعض المسافرين



طائرة هانيبال وهي من اوائل الطائرات التي استخدمت مطار البحرين .



بعض المسافرين في انتظار قيام الطائرة .

استرلينيا لكل خدمة اضافية تطلب بعد توقيع اتفاقية الطيران المدني.

واما طائرات القوة الجوية الملكية فلا تدفع اية رسوم وانما تدفع اجورا للاراضي التي استخدمتها حول مطار المحرق وهي كالآتي:

١ ـ قطعة ارض بالقرب من مقبرة المحرق تدفع عنها اربعمائة واربعين روبية سنويا.

٢ ـ قطعة الارض الواقعة غرب حديقة قلالي وتدفع عنها ١٧٤ وربية سنويا.

٣ ـ قطعة الارض الواقعة جنوب حديقة قلالي وتدفع عنها مائة روبية سنويا.

٤ ـ قطعة الارض الواقعة بالقرب من مدرسة المحرق للبنين وتدفع عنها ٣٥ روبية سنويا.

ولذلك فان مجموع ما تستوفيه البحرين من اجور الاراضي هو: ٧٤٩ روبية.

وقد كتب المعتمد السياسي في البحرين جوابا الى المستشار يسأله عن الدخل الذي تستلمه حكومة البحرين من تأجير مطار المحرق والرسوم على الطائرات فأجاب المستشار بقوله:

يتم احتساب رسوم نزول الطائرات في البحرين حسب الوزن الكلي للطائرة حسب ما يرد في شهادة الفحص للطيران وعلى سبيل المثال فان رسوم النزول على:

طائرة (داكوتا): خمسة جنيهات استرلينية و١٢ شلنا و٦ بنسات.

طائرة (فايكنج): ستة جنيهات استرلينية و٥ شلنات.

طائرة (كونستليشن): ثلاثة عشر جنيها استرلينيا وشلنان.

اما رسوم المطار فيتم احتسابها على اساس المساحة اي حسب عرض وطول الطائرة وتتراوح الرسوم بين ٢½ شلن لكل ٣٠٠ متر مربع الى ٣½ جنيه لكل اثنى عشر الف قدم مربع وأمثله ذلك:

داكوتا: جنيهان و٥ شلنات.

فايكنج: جنيهان.

كونستليشن: لا يوجد لها موقف لضيق المطار لان موقف (آر. اي. اف) يلائم الطائرات الصغيرة فقط وهناك رسوم الحرس: وتحتسب حسب المساحة التي تحتلها الطائرة لوقوفها لاكثر من ست ساعات وامثلة ذلك:

داكوتا: جنيه واحد وشلنان و٦ بنسات.

فايكنج: جنيه واحد.

كونستليشن: جنيه واحد و١٥ شلنا.

ولا تستوفى رسوم ترانسيت ولا رسوم على العفش او البريد[٢٠].

وقد كتب شيخ ابوظبي الى المعتمد السياسي في البحرين بخصوص موافقته بالسماح للطائرات الفرنسية التي تعمل في الخليج ان تمر من سماء بلاده وكذلك اجاب الشيخ خالد بن



كـانت الطائـرات تهبـط في البحرين فوق الماء في المنطقة البحرية بالجفير .

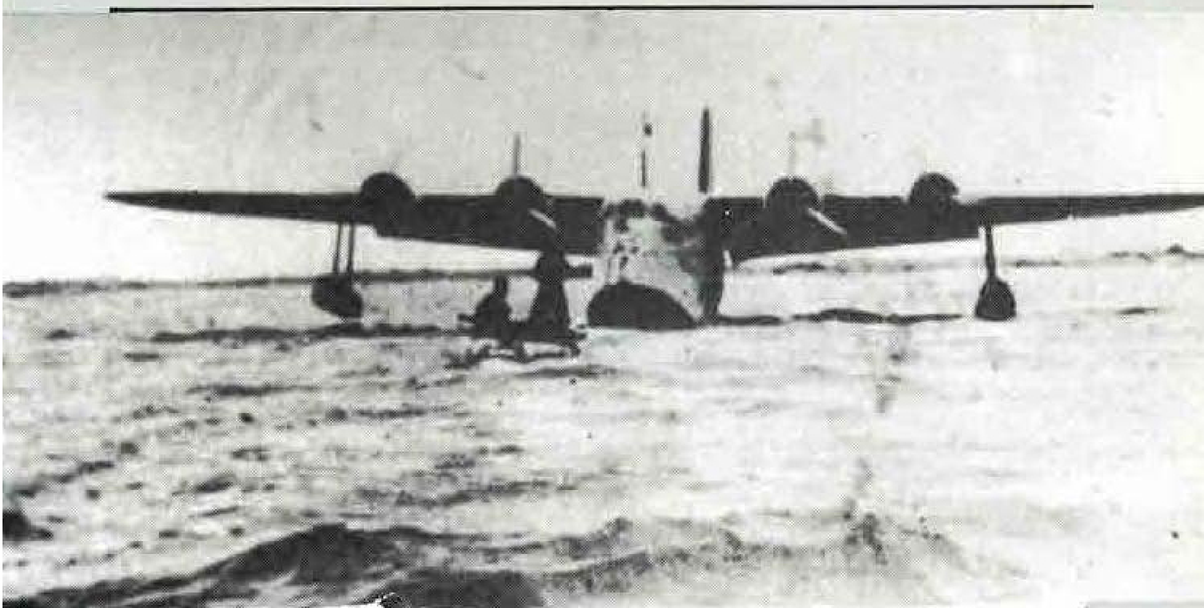


احدى الطائـرات بعد ان اتمت هبوطها .

احمد نائب حاكم الشارقة بموافقتـه على مرور طائرات الخطوط الفرنسية ببلاده(٢١).

وقامت ثلاث طائرات مدنية لشركة سكاي ويز بالهبوط في البحـرين لنقل المعدات الى شركة بابكو وذلك في الفترة ما بين ١ ـ ١٠ اكتوبر ١٩٤٧م.

وقد استوفيت رسوم نزول على هذه



احدى الطائرات بعد ان هبطت على سطح الماء يسرع اليها بعض المساعدين بأحد الزوارق لتثبيتها .

الطائرات[٢٢].

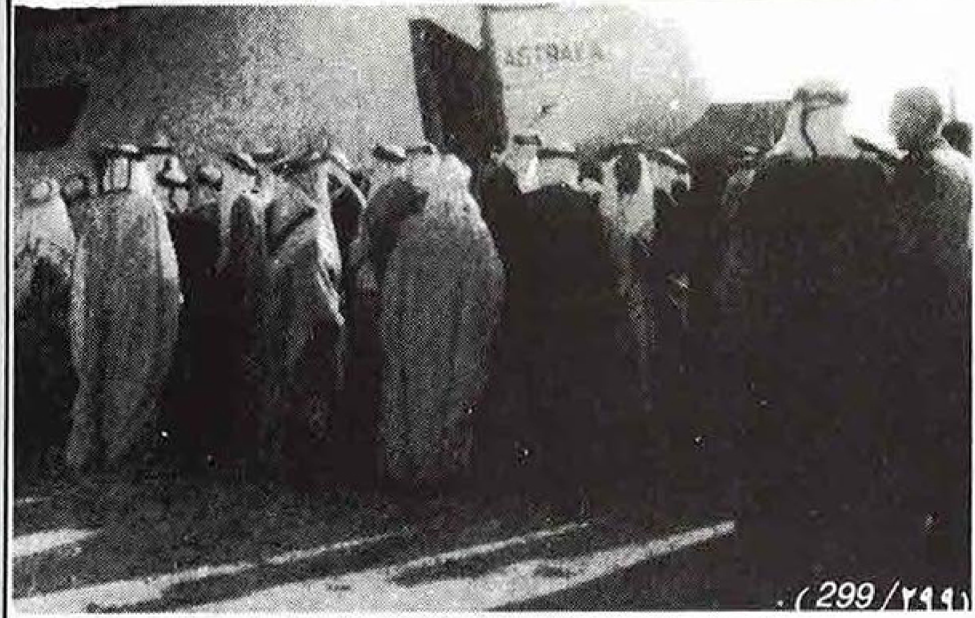
ومع كل ذلك فان الدول الخليجية لا تكسب دخلا يتناسب مع التسهيلات الممنوحة لنزول الطائرات في بلادها اللهم الا الخدمات البريدية وخدمات نقل البضائع[٢٣].

وفي ١١ نوفمبر ١٩٤٧ م تم انشاء خط بين استراليا والمملكة المتحدة مارا بالبحرين دون ان يمر بالشارقة[٢٤].

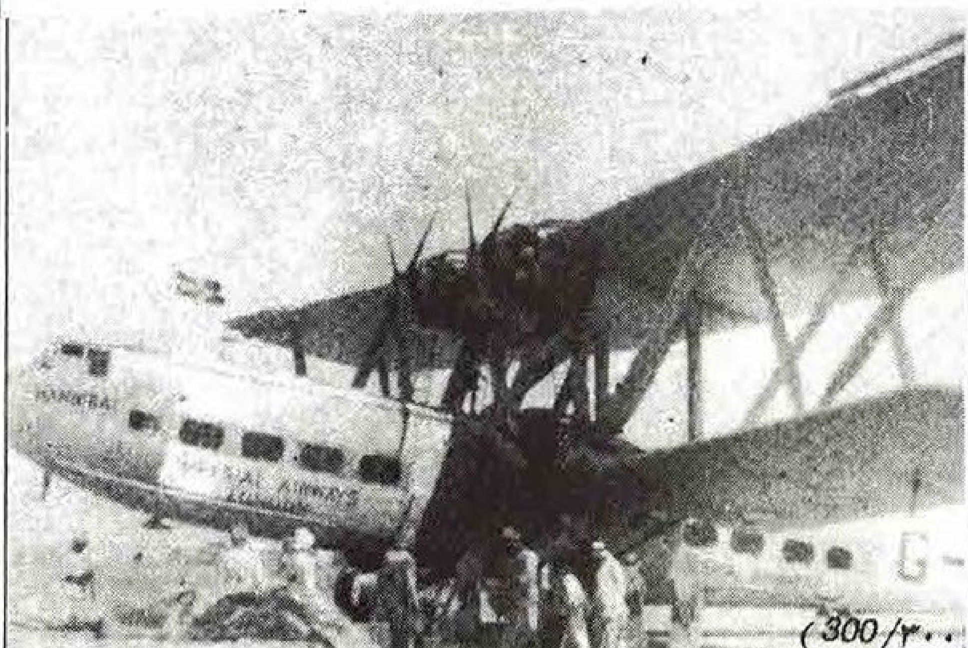
وفي نوفمبر ١٩٤٩م بدأت شركة طيران الشرق الاوسط برحلتين كل اسبوع من بيروت والكويت والظهران والبحرين ورحلة في ديسمبر للخطوط المصرية بين القاهرة ودمشق والكويت والبحرين.

وفي تقرير شهري كتبه المعتمد السياسي (بيلي) في ٣ مارس ١٩٤٩م اورد فيه ان اكثر من اربعمائة طائرة تستخدم مطار المحرق شهريا ما بين هبوط واقلاع وزاد هذا العدد الى ٥٠٠ طائرة شهريا. بينما تعبر اجواء البحرين ما يزيد على الف طائرة شهريا دون الهبوط فيه.

اما في الكويت فقد جرت مفاوضات بين المعتمد السياسي هناك وشيخ الكويت لابرام اتفاقية جديدة عن الطيران المدني فوافق الشيخ على كافة المواد المطروحة شريطة ان ترفع الحكومة البريطانية مبلغ الرسوم السنوية وطلب المقيم في الخليج من المعتمد السياسي في البحرين الموافقة على هذه الاتفاقية الجديدة.



: مجموعة من الركاب تتزاحم على ركوب الطائرة.. لقطة من الثلاثينات .



ويستطرد الكولونيل بيلي فيقول: واثناء زيارتي للساحل المهادن تمت مناقشة بنود اتفاقية الطيران المدني للشارقة بين الشيخ وبين جاكسون وقد قبل الشيخ بنود الاتفاقية بشرط ان ترفع رواتب الحراس وكذلك رفع ايجار الاستراحة كما طلب الشيخ بنادق وذخيرة وان يكون له حق ارسال البرقيات مجانا وقد راجعنا الحكومة البريطانية حول هذه النقاط. ووافقت على ذلك الا ان غياب شيخ الشارقة في الهند بسبب مرضه ادى الى تأخير ابرام الاتفاقية. اما في مسقط فان السلطان سعيد بن تيمور يتعرض للازعاج في نومه بسبب صوت الطائرات التي تحلق فوق مسقط ليلا اضافة الى ان الطائرات كانت تستخدم المطار دون تصريح مما جعل السلطان يقرر مبلغا وقدره خمسة جنيهات استرلينية لكل تصريح سنوي كما وضع رسوما جمركية على كميات النفط التي تزود بها الطائرات في كل من مصيرة وصلالة. ويقول المعتمد السياسي بأن السلطان يشعر بأن بريطانيا لا تراعي التزاماتها المعقودة حسب اتفاقية الطيران المدني[٢٥].

وفي السابع والثالث عشر من شهر مايو ١٩٤٩م كانت طائرة تابعة لخطوط الاسكا قد هبطت في البحرين وعلى متنها عدد من اليهود القادمين من هونج كونج وتعلن انها متوجهة الى نيقوسيا في قبرص ولكن اكتشف فيما بعد انها سوف تنزل في اللد فأوقفت الطائرة فى البحرين ووجه لقائدها انذار بعدم الهبوط فى مطار البحرين مرة أخرى وهذا حدا بالمسئولين إلى اصدار اعلان بعدم استخدام المطار من قبل الطائرات الاجنبية ما لم تحصل على اذن مسبق من قبل السلطات في البحرين[٢٦].

العائدات من الطيران من خلال التقارير الادارية منذ ١٩٣٤م:

لقد بلغ الايجار السنوي للمطار ثمانية آلاف روبية بما فيه ايجار مطار المنامة ومطار المحرق ويدفع مقدما في اكتوبر من كل عام منذ ١٩٣٤م.

وقامت القوات الجوية الملكية بمسح جوي لارخبيل البحرين ما عدا المحرق لأن المحرق قد تم تصويرها مسبقا من الجو بناء على طلب حكومة البحرين وشركة بابكو وذلك لمعرفة الاراضي الزراعية قبل القيام بالتنقيب عن النفط وتحملت حكومة البحرين وشركة النفط مصاريف المسح الجوي وكانت الحكومة ترمي من عملية المسح للاراضي الزراعية لتحديد حدود تلك الاراضي وحقوق توزيع مياه الري خاصة بعد ان توفرت لديها الظروف المالية[٢٧].

وفي عام ١٩٣٥م بدأت الخطوط الجوية الامبريالية بتشغيل خطوطها مرتين كل اسبوع عبر طريق البحرين

الى الشـرق ومرتـين كل اسبـوع الى الغرب ولم يكن في وسع اهل البحرين ارسال بريدهم في يوم وارسال الرد في اليوم التالي بسبب عدم ملائمة توقيت الطيـران. وفي هـذا العـام تنـازلت الخطوط الجوية الامبريالية عن صالة الاستراحة في المنامة واقامت خياما في المطار لاستخدامها للمسافـرين ولكن تلك الخيم كانت حارة جدا في الصيف وباردة في الشتاء.

وفي عام ١٩٣٦م بلغ ايجار المطار ٧٣٠٠ روبيـة ثم انخفض الى سبعة آلاف روبية في العام التالي لكنه ارتفع الى ثـلاثـة عشر الف روبيـة في عـام ١٩٣٩م ثم الى ثمانية عشر الف روبية في سنـة ١٩٤٣م وفي نهايـة الحـرب العالمية الثانية سنـة ١٩٤٥م اصبح ايجـار المـطار والاراضي الحكـوميـة اربعـة وعشـرين الف روبيـة لكنـه انخفض الى عشـرين الف روبيـة في العام التالي ثم ارتفع الى ثلاثين الف روبية في عام ١٩٤٨م وفي العام التالي الى خمسة وثلاثين الف روبية الا انه انخفض الى ستة وعشرين الف روبية في عام ١٩٥٠م ثم خمسة وعشـرين الف روبيـة في ١٩٥١م ثم استمر في الارتفاع حتى وصل الى ستـين الف روبية في سنة ١٩٥٥م[٢٨]. وقد ورد في مذكرات بلجريف عن كارثـة الطائرة الفرنسية قوله:

حدث في ١٢ يونيو ١٩٥٠ بينما كنا نتعشى مع اصدقائنا بالمنامة وبعد ان لعبنا الورق حتى ساعة متأخـرة من الليـل وكانت الريـاح شديـدة ونحن جـالسون في داخـل البيت بـدلا من جلوسنا المعتاد في الشرفة. وقد كتبت في مذكرتي بـأن تلك الليلة كانت قـد اشتـدت فيها الريـاح المغبـرة وقبـل مغادرتنا بقليل سمعنا صـوت طائرة تحلق فوقنا وكـان سماع الطائـرات امـرا مألوفـا لدينا في البحـرين. وفي الصباح لما عزمت للتوجـه الى القلعة تلقيت مكالمة هاتفية من مطار البحرين في المحرق يخبرني بأن طائرة فرنسية من طراز (سكاي ماستر) قد نزلت في البحر بالقرب من (سترة) وكان رجل يعوم في البحر فـانتشله طاقم سفينة كانت قد رست هناك وانقذوه ثم نقلوه الى المستشفى في سـتـرة وهــو الذي اخبرهم بخبر سقوط الطائرة. فركبت سيارتي وتوجهت الى القلعة وجمعت افراد الشرطة بسـرعة وأفـدتهم بما حدث وارسلتهم مع وسـائل الانقـاذ الضرورية بـاللنشات وبعضهم عـلى الجمـال والسيـارات والخيــول الى الشاطىء ليقومـوا بالدوريـات بينما ذهبت وبرفقتي ضابط للشرطة اسمه (جيم هايد) وضـابط عـربي آخر الى سترة وهي تقع على بعد نحو ١٤ ميلا من المنامة وكانت اللنشات ومـراكب شركة بابكو تفتش عن الركاب في مياه البحر على الرغم من ان الميـاه كانت هائجة والظلام كان سائـدا ثم ركبنا قاربا واخذنا نجوب مياه البحر ولكن

دون ان نعثر على احد وفي وقت لاحق تم انقاذ خمسة اشخاص من ركاب الطائرة كانوا في البحر وهكذا نجا هؤلاء الاشخاص الستة فقط من بين ٥١ راكبا مع طاقم الطائرة. وقد امضيت طول النهار في سترة لأتأكد من ان الشرطة تقوم بدوريات منتظمة ومتيقظة. وقد استعدنا بعض الجثث في وقت لاحق ولم نستطع مساعدتهم لانهم مكثوا طويلا في البحر ولم يعد الاسعاف نافعا. اما الستة الاحياء فقد نقلوا الى مستشفى بابكو في عوالي واتجهت لهم لاستفسر عن كيفية الحادث ولكن كانوا في وضع لا يستطيعون معه توضيح ما حدث.

وقد غلب الرعب على كل فرد في البحرين بسبب الكارثة التي حدثت لركاب الطائرة التي كانت قادمة من الهند الصينية حيث كان الفرنسيون يقاتلون هناك واشاع البعض بأن الحادث كان نتيجة عمل تخريبي. وقد جاء عدد من المسئولين الفرنسيين من باريس في اليوم التالي وهم من شركة (ايرفرانس) لاجراء التحقيق في الحادث وكان ذلك اليوم متعبا اذ طلب مني المساعدة في دفن الجثث في المقبرة النصرانية الصغيرة التي كانت تشرف عليها الارسالية الامريكية.

وفي اليوم التالي وذلك في حوالي الساعة الثالثة ليلا ازعجني رجل وانا اغط في نوم عميق وسمعته يتكلم عن حادثة طائرة فرنسية فافتكرت بأنني احلم واستيقظت فوجدت ضابطا انجليزيا واقفا بقرب فراشي وهو يحدثني بقوله: ان طائرة فرنسية سقطت في البحر فقلت له: انا اعرف عنها تماما. فلماذا تخبرني عنها في هذه الساعة المتأخرة. ولكني رأيت



: طائرة من الثلاثينات في مطار البحرين .. كانت الطائرة تسع ما يزيد على الخمسين راكبا .



سمو الشيـخ حمـد بن عيسى ال خليفة في زيـارة لاحـدى الطائرات

الضـابط متـوتر الاعصـاب مشوش البال مضطربـا للغايـة فقال لي (هي طائرة فرنسية اخرى سقطت بنفس المحل في البحر) وهنـا صرخت وانـا اقـول: هذا مستحيـل. كيف يحـدث نفس الحـادث مـرة ثـانيـة ؟ فقـال الضابط: هذا صحيح يا سيدي حدثت حادثة اخرى في نفس الوقت وفي نفس المحل مثلما حدث بالامس. فـأدركت بأنه يقول الحق فخرجت من فـراشي مسـرعـا ونـزلت الى الطابق الارضي لأخبر زوجتي (مارجوري) بما حدث. ثم اسـرعت الى القلعـة واصـدرت تعليمـاتي للشرطة وكـانوا في غـايـة التعب لانهم سهـروا الليلة الماضيـة واجتهدوا طوال النهار في البحث عن الجثث ودفنهـا وأمـرتهم بـالقيـام بـدوريات بينمـا ذهبت برفقـة (جيم هايد) الى سترة وانا اشـك في صحة الخبر. وهناك وجدت عددا كبيرا من الناس في الميناء وكـان البحر هـائجا والظلام سائدا والقـوارب تفتش عن الركاب وقد رأينا رجلا يعوم بعد قليل فتوجهنا اليه وانتشلناه بصعوبة لانه كان مرهقا وتوجهنا بعد ذلك صـوب محل سقوط الطائرة فرأينا شابا يعوم فانتشلناه بسهولة وياللعجب فان أول الكلمات التي قالها الشاب (ساعتي.. سـاعتي خربت بسبب تبللهـا في ماء البحر).



وكـان الشـخص الاول في حـالة صحيـة ونفسية سيئـة فقـررنـا ان نوصلهما الى الشاطىء ورأينا جثثا كثيـرة في طريقنـا. ولمـا وصلنـا الى الرصيف كانت قد وصلت عدة مراكب الى محـل سقـوط الطائـرة. كمـا ان الطائرات كانت تفتش عن المصـابين ووجـدنا عـلى الرصيف الاشخـاص الاخـرين الذين تم انقـاذهم وهم في انتـظار نقلهم الى المستشفى وكـان احدهم وهو اما الطيار أو أحد افراد طاقم الطائرة يقول مرات عديـدة انه قبل لحظة لمس الطائـرة لسطح المـاء كان مقياس الارتفاع يسجل ارتفاعا عاليا.

وفـور وصولنـا الى الميناء جـاءوا ببنت قصيرة القامـة تم انقاذهـا من البحر وعندما دخلت الى الغرفة طلبت سيجارة فقدم لهـا احد الاشخـاص سيجارة كما قدم لها بنطلونا صغيرا قديما وبعد بضع دقائق اخذت تحمل فناجين الشاي لتقدمها الى المصابين وتشجعهم وتواسيهم لقد كـانت هي المضيفة الجوية وقد نقلناها فيما بعد الى المستشفى الحكومي لكنها رفضت اية عناية بها قبل الاخرين على الرغم من انهـا كانت مصـابة بـالصدمـة والتعب. وبلغ عدد الاشخاص الذين نجوا ثلاثة عشر شخصا من بين ثمانية وثلاثين راكبـا. وقد تلقى المصـابون علاجا جيدا من المستشفى الحكومي بالبحرين. وحضر كثير من الصحفيين الذين نشـروا قصصـا غـريبـة عن الحادث والاسباب الكامنة وراءه. ولم تنشر نتائج التحريات التي جرت عن الحادث قط. وحسب اعتقـاد البعض ان الحادث الاول لسقوط الطائرة كان بسبب رداءة الطقس امـا الحـادث الثـاني لسقوط الطائـرة الفـرنسيـة الثانية فهو بسبب هبوط الطائـرة الى انخفاض خطير لان الطيار كان يريد ان يرى محل وقوع الحادث الاول من قريب.

وفي ربيـع عـام ١٩٥٠م شكلت (شركة طيـران الخليج) في البحـرين وكانت فكرة مشـروع تأسيس هـذه الشركة قد قدمها ضابط من القوات الجوية الملكية وهو فردريك بوسورث الذي قدم بطائـرته الى البحـرين من العراق وعرض مشـروعه عـلى سمو حـاكم البحرين فـوافق سموه وأيـد المشروع. وقد واجهت الشركة مشاكل كثيـرة في البـدايـة ولكن تحسنـت الاوضاع بعد تـذليل العقبـات التي اعترضت طريقها خاصة عام ١٩٧٤م حينما اشترت كـل من دولة البحرين ودولة الامارات العربية المتحدة ودولة قطر وسلطنة عمان جميع أسهم شركة طيـران الخليـج المحـدودة، ووسعت نطاق رحلاتها واشترت اسطولا جويا ضخما في عام ١٩٧٦م

وكتب معتمد بريطانيا في البحرين





الى سمو حاكم البحرين في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٠م يطلب ضرورة اقامة عشرة اعمدة وعلى كل عمود مصباحان على بعد ٣٠٠ قدم على طول الامتداد تجاه البحر للخط المركزي لمر الطائرات الرئيسي وسيوضع تحت الارض سلك كهربائي بطول نحو الف ياردة وذلك لسلامة هبوط الطائرات في البحرين وقد وافق سموه على ذلك الطلب[٢٩].

وفي ٢١ ديسمبر ١٩٦١ م تفضل صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة بافتتاح مبنى المطار الجديد[٣٠] وذلك على اثر كثرة الطائرات التي تستخدم المطار وزيادة اهمية مطار البحرين كما احتفل بتدشين المدرج الجديد للمطار في ١٩ ابريل ١٩٧١م والذي تكلفت نفقاته قرابة تسعة ملايين دينار بحريني وقد صمم ليواكب حركة الطائرات العملاقة من نوع الجامبو وكان هو اول مطار في المنطقة العربية الذي تهبط فيه طائرات الكونكورد لما فيه من تجهيزات زود بها المطار. وفيه مبنى للمسافرين يتكون من طابقين وقاعات للاستقبال ومكاتب متعددة ومزود بمؤشرات اليكترونية يقرأ فيها الركاب مواعيد وصول الطائرات ومغادرتها وفيه متاجر ومطعم وعدة جسور هوائية لركوب المسافرين ونزولهم ولقد افتتح سمو امير البلاد المفدى هذا المبنى في السادس عشر من ديسمبر ١٩٧١م[٣١].

واخذت عشرات الشركات العالمية للطيران تستخدم مطار البحرين الدولي اذ تهبط فيه يوميا نحو ستين طائرة بينما احصى عدد الطائرات التي استخدمت مطار البحرين الدولي عام ١٩٧٩م فكان واحدا وعشرين الفا وستمائة طائرة عدا الطائرات المارة في المجال الجوي.

وفي ١٩٧٢/١٢/٣١م افتتح صاحب السمو امير البلاد المفدى المبنى الجديد لمطار البحرين بما فيه من صالات وورش فنية لصيانة الطائرات ومراكز التدريب.

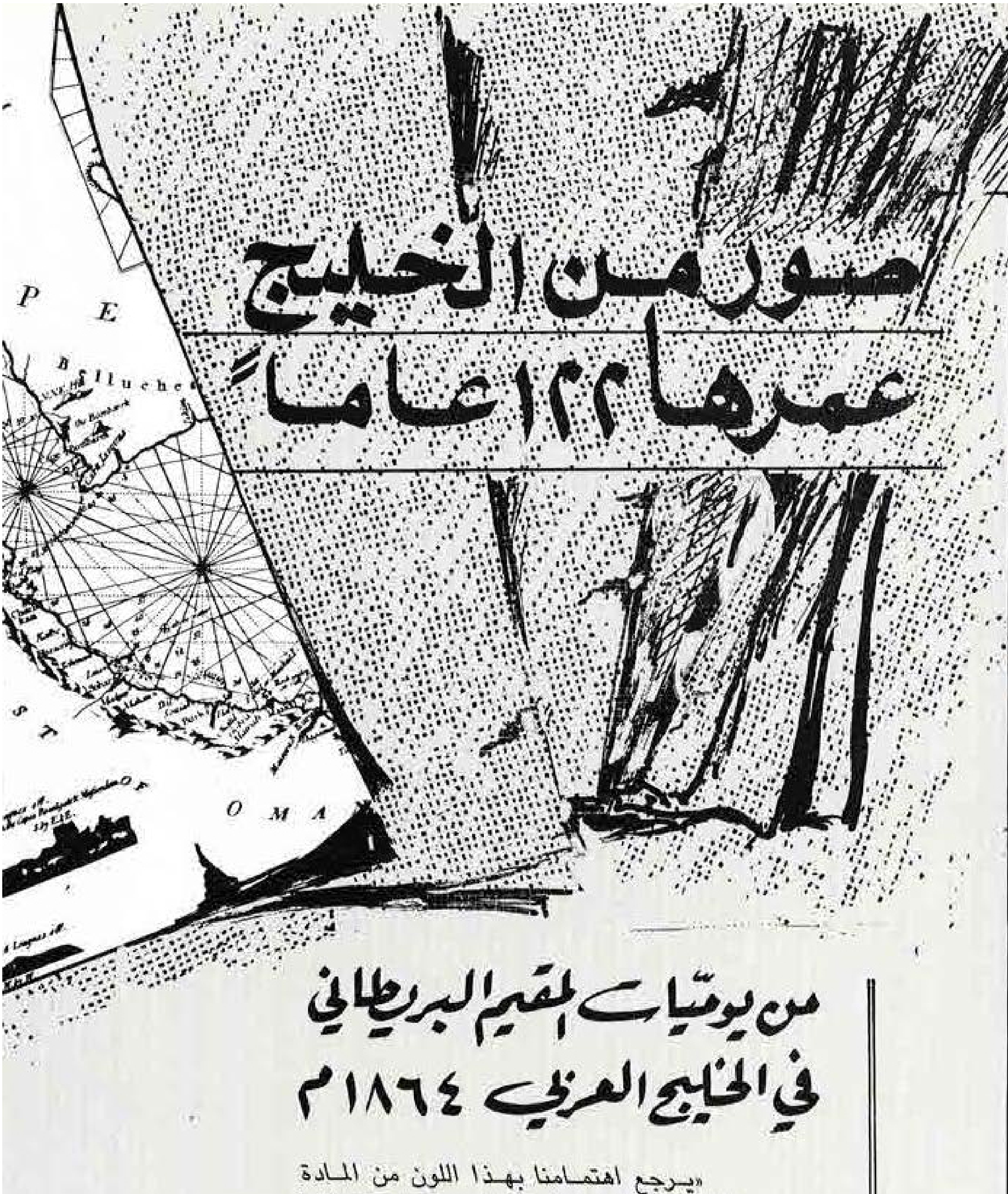
وهكذا بادرت البحرين بارتباطها مع الاسفار الجوية منذ البداية وكانت هذه الخطوة متمشية مع التطور في العصر الحديث مما جعل البحرين تواكب مسيرة ذلك التطور. وان الاربعة الاسرة التي كانت في دار الاستراحة في البحرين هي بداية لما نراه اليوم من فنادق ضخمة وبالتالي الى الوصول لثروة طائلة عن طريق بناء وامتلاك العقارات وبعد ان غادر الانجليز سكنهم في آر/اي/اف تركوه في عام ١٩٧١م كسكن لنحو ستمائة مضيف ومضيفة وهيأت لهن ظروف العمل في المكاتب الحديثة كسكرتيرات مناخا ملائما في مجتمع متفتح واصبحت البحرين ولا زالت البلد المفضل للسياح وارباب العمل الذين يفدون اليها من كل مكان.

هوامش

(١) بيترسون. الدفاع عن الجزيرة العربية. ص ٢٠ و٢٣ لندن ١٩٨٦م
(٢) بنتلي، جي. دبليو. تطوير الخطوط الجوية في الخليج. مجلة الجمعية الملكية لآسيا الوسطى العدد ٢٠/ابريل ١٩٣٣م.
(٣)كارو ، اولاف . ابار القوة/ حقول النفط في جنوب غرب آسيا من خطاب اللورد (واويل) امام الجمعية الملكية لاسيا الصغرى في يونيو ١٩٤٩م.
(٤) زحلان، روزماري سعيد. منشأ الامارات العربية المتحدة. ص٩٢. لندن ١٩٧٨م.
(٥) اية/اي/ ار/ ٨/ ٩٩ سي اي/ دى من تقرير لجنة الخليج الفرعية رقم ١٦٩ د/ في اكتوبر ١٩٢٨م.
(٦) زحلان ص ٩٤ ومقتطفات من كتاب (الخليج) لمولى ازارد ص ١١٤ و١١٥. لندن ١٩٧٩م.
(٧) الوثيقة ٦/ ١٩٣ عام ١٩٨٥م.
(٨) الدفاع. ص ٢٧ ـ ٢٨
(٩) الخليج ص ١٧٨ و١٩٢
(١٠) الخليج ١٧٨
(١١) الخليج ص ٩٣ ـ ٩٥
(١٢) سنان محمود بهجت. البحرين درة الخليج العربي. ص ٣٦١ ـ ٣٦٣ طبعة بغداد ١٩٦٣م
(١٣) ال/ بي/ اس/ ١٢/ ٣٧٢٧ من تي. سي. فول المقيم السياسي في الخليج الى جيه/سي والتون في دائرة الهند بتاريخ ١٨ يناير ١٩٣٨م.
(١٤) سي/ ايه/ بي/ ٧١/١٠٤ من ويتمان الى قائد القوات الجوية الملكية في ٤ اغسطس ١٩٣٨م.
(١٥) الدفاع ـ بيترسون ـ لندن ١٩٨٦ ـ ص ٤٩
(١٦) ال/ بي/ اس/ ١٢/ ٣٧٢٧ في ١١ ابريل ١٩٣٨م.
(١٧) انظر الوثائق المرقمة ٢/١١٠٧ ب/ ١٣٥٦ في ٢٨/٢/١٩٣٨م وسي/ ١٠٩/ ٢٩ في ٣/٧/١٩٣٨م والبرقية المرقمة ٩٦ في ١٥/٧/١٩٣٩م. وجوابها في ٢٠/٧/١٩٣٩م.

(١٨) سنان ، ص ٣٦٣ والوثيقة ٨/٩٤
(١٩) ايه/ اي/ آر/٢٣/١٠٥١ في ٢ مايو الى ١٦ اكتوبر ١٩٤٥م وانظر الدفاع، ص٥٤ و٥٥ والوثيقة ٨/٩٦
(٢٠) آر/١٥/٢/٥٣٠ وسي ٧٠١ في اول مايو ١٩٤٤.
(٢١) رقم ٥٧٩ في ١٢/٧/١٩٤٦ الموافق ١٥ رمضان ١٣٦٥ هـ و٥٥٨ في ٩/٨/١٩٤٦م
(٢٢) آر/١٥/٢/٥٠٨ سي/ ٩٦٥ في ١٧ سبتمبر ١٩٤٧م
(٢٣) آر/١٥/٢/٥٠٨/ ٤٧/٢٣٦٥ في اول نوفمبر ١٩٤٧م
(٢٤) آر/١٥/٢/٥٠٨/١٩٤٢/ اس في ١١ نوفمبر ١٩٤٧
(٢٥) اف/او/ ٣٧١/٧٤٩٣٦/ سي ٤٩/٣/٩٥ بتاريخ ٣ مارس ١٩٤٩م و٣١٧/٧٤٩٣٧/٩٥/٨/٤٩ في ٥ يوليو ١٩٤٩م
(٢٦) اف/او/٣٧١
(٢٧) التقرير السنوي لعام ٣٤ ـ ١٩٣٥/ ص٤٢٨ وص٥٠٨ و٥١٢ و٥٣٩.
(٢٨) التقارير السنوية للاعوام المذكورة في المجلد الاول ص٥٥٨ و٥٩٣ و٦٠٨ والمجلد الثاني ص٥٢ و٦٦ والمجلد الثالث ص٧ و٥٤ و٦٣ و١١٠ والمجلد الرابع ص٧٥ و٧٦ و٧٨ و٨٣ و٨٥ و١٠٤ و١١١
(٢٩) بلجريف . شارلز. العمود الشخصي ص ١٧١ ـ ١٧٤ طبعة بيروت ١٩٦٠م وانظر البحرين على طريق التقدم ص٨٥ و٨٦.
سي/ال/ ٣٥٢ و١٨٠/ في ٣ ديسمبر ١٩٥٠م
(٣٠) التقرير السنوي لعام ١٩٦١ ص١
(٣١) المغرب الكبير، العدد الاول ص٥٢ سنة ١٩٧٣م.

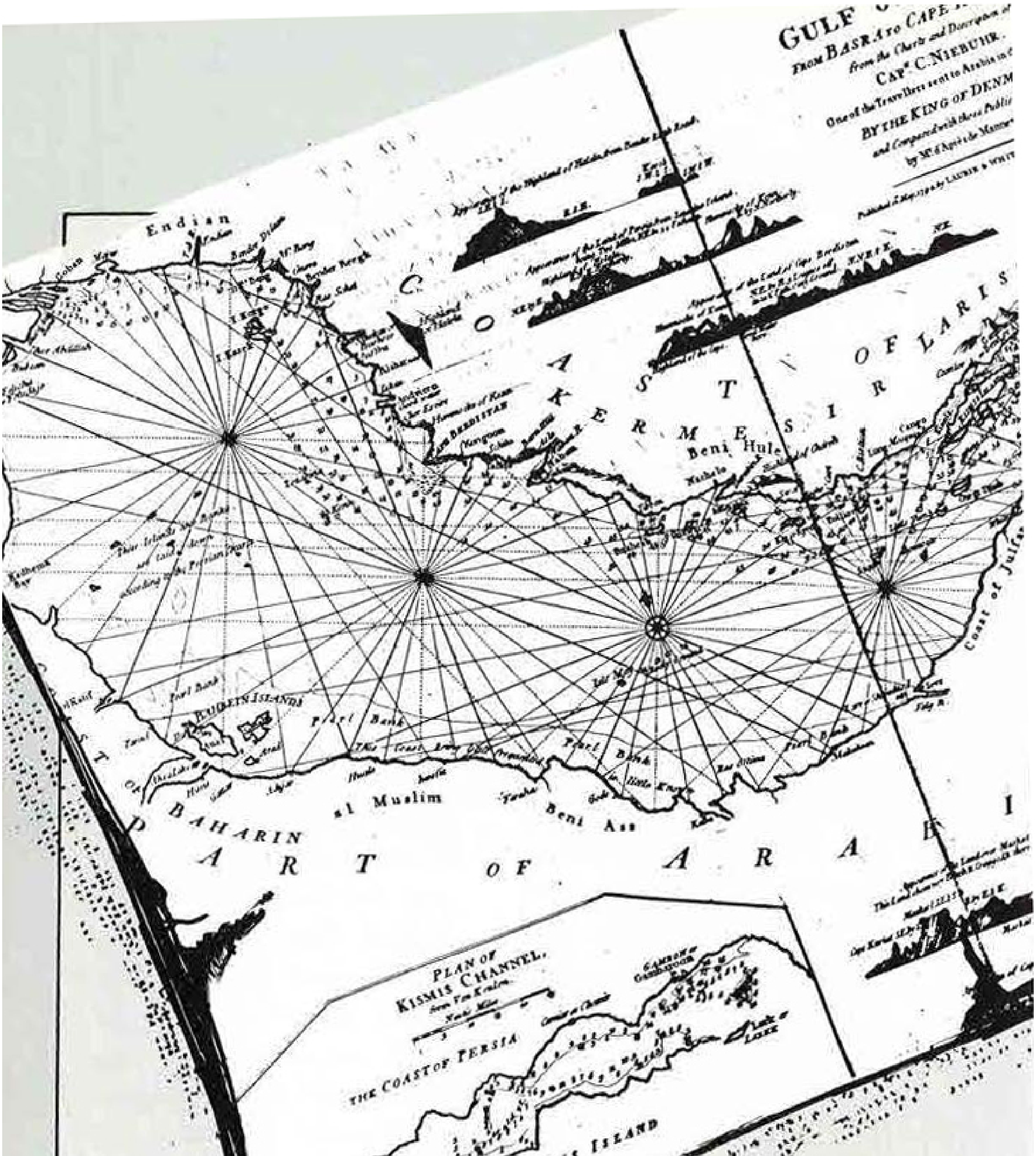
صور من الخليج عمرها ١٢٢ عاماً



من يوميات المقيم البريطاني في الخليج العربي ١٨٦٤م

«يرجع اهتمامنا بهذا اللون من المادة التاريخية الى حقيقة ان اليوميات تمتاز دائما بالدقة فهي بقلم شاهد عيان وهو ما نتلمسه ونحرص على تقديمه كلما أمكن . وهذه الصفحات تقدم صورة دقيقة لمنطقة في الخليج في اواخر القرن الماضي» .

الوثيقة



بقلم:

لويس بيلي

غادرت بوشهر في ديسمبر سنة ١٨٦٣م ونزلت في لنجة ومن ثم قدمت الى باسيدو ، وزرت كهوف الملح وينابيع النفط الموجودة في جزيرة قشم ، وبذلك اجتزت مضايق كلارنس وطوفت بحوقير لأرى تركيب الكبريت والمغارة الحمراء ، ومن ثم سرت الى بندر عباس ، ومكثت فيها انتظر قدوم باخرة البريد المتوجهة الى بوشهر ، وزرت في اثناء انتظاري جزيرة هرمز .

تضم لنجة قلعة بها مدينة حجرية غير مسورة وتمتد بيوتها على جانبي الشاطىء وتتدلى من فوقها اشجار النخيل . اما المرفأ فمكشوف وهو وان كان مستورا من الناحية الشمالية الغربية الا ان الرسو فيه خطر خلال الفترة التي تهب فيها الرياح الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية ، وقد بنى حاجز يكفي للرسو على نطاق ضيق . وتبعد لنجة ٢٥ ميلا عن باسيدو في الجهة الشمالية الغربية منها ، وهي المدينة الرئيسية في منطقة تقع ما بين البحر وبين الجبال الجرداء السامقة التي تتصل بمدينة لار ومن ثم تتصل بطريق شيراز . وتتصل هذه المقاطعة بمشيخة موغو في الطرف الشمالي الغربي وتمتد صوب الجنوب الشرقي حتى تكاد تصل بندر مولوم والمقاطعة التي ضمها سلطان مسقط الى بندر عباس . وعلى بعد اربعة اميال تقريبا من لنجة توجد اطلال القلعة البرتغالية كونغ . ولاتزال هناك اطلال بجانب الماء تدل على وجود مصنع ومتاريس مدفعية هلالية الشكل ، وهناك ايضا بقايا حاجز مائي ولعل فكرة الحاجز الموجود في لنجة قد اخذت عنه . اما منتجات المنطقة فهي التمر وشيء من القمح والشعير يكفي للاستهلاك المحلي . وشيخ لنجة عربي ويقال انه ينحدر من اسرة هاجرت الى الخليج حين كان العرب في اوج قوتهم في بغداد . وليست هناك جمارك تجبى عن الصادر والوارد الى لنجة ، ولعل ذلك ، مضافا اليه الموقع الجغرافي الذي حمى الميناء من التدخل الحكومي هو السبب في ازدهارها . ويبلغ سكان المدينة الآن وما يجاورها من الضواحي بين ٨ آلاف الى ١٠ آلاف نسمة ، ويبدو ان معظمهم من الافريقيين . وتتألف الطبقة الموسرة من العرب ، وقد جاء اليها بعض الايرانيين من اعالي البلاد للعمل فيها او لنقل البضائع الى الداخل ، وبها ما يقرب من عشرين هنديا يعملون كوكلاء لشركات في بومبى وكراتشي . ويبدو من العبارة السابقة ومن حديثي

مـع التجـار انفسهم ان الاهمـيـة التجارية القليلة لهذا المكان راجعة الى موقعه المنـاسب فهو محـطة وكـالة للبضـائع القـادمة من الهنـد والتي تسـوق على طول السـاحـل العـربي للخليج وفي الاراضي الايرانية المجاورة للنجة وفي نواحي لار . وتنزل البضائع من السفن ، وتبـاع فورا اذا كـانت الاسعار مجزية وتنقل الى الداخل على مسئولية مشتريها . ويعتبر تجار لنجة الطريق المارة بمضارب اليانت طريقا غير امينة لا تسمح لهم بالمتاجرة مع الداخـل . ولو لم تكن هنـاك ظروف طارئة لما استطاعت لنجة ان تنافس في تجـارتها مـع الداخـل بنـدر عبـاس وبوشهر بالرغم من موقعها الجغرافي ورداءة مرفأها ، وتشير احصائياتهـا الى ان معظم تجارتهـا مع المـوانىء العـربيـة ، يتم شحنهـا في مـراكب صغيرة تبعا للطلب والفرصة . وتدفع الموانىء العربية مقابل هذه البضائع اللآلىء وبعض الاسماك المقددة . وفي لنجة ثمانية قوارب او عشرين تشتغل في الغوص على اللؤلؤ وهناك ما يقرب من ١٥٠ مركبا من مختلف الاحجام يمتلكها أهل لجنـة ، وبالرغم من ان بنـاء المـراكب حـسن ورخـيص في الساحل الغربي للهند ، الا ان بنائي لنجة يفضلون استيراد الاخشاب من الهنـد ويبنون مـراكبهم (وهي احـد الانشاءات الرئيسية) على شواطئهم .

وعبرت من باسيـدو الى جزيـرة قشم لأزور كهـوف الملح وينـابيـع النفـط . وبعد ان تتـرك الطريق تلك الاكمة الصخريـة التي بنيت فوقهـا باسيدور تهبـط عدة اقـدام في سهل تتناثر فيه اشجار النخيل وتمر باطلال قلعة برتغالية قديمة قائمة على صخرة منفـردة وتـشـرف عـلى مضـايـق كلارنس . وتصل بعد ان تسير سبعة أميال الى قرية الجورة ثم تـدور بين تلال منخفضة مسافة خمسة أميال في سهل الكونة التي تبعد ميلا أو ميلين عن الشـاطىء الجنـوبي . وعنـدمـا تخلف الكـونـة وراءك تسـير صـوب المشرق في واد متجها نحو سلسلة من التلال الحمراء الداكنة ـ وهذه تكون سلسلة الملح . والتكوين العام لهـذه الجزيرة ، كتكوين المنطقة الممتدة منها وساحل مكران الى كراتشي ، يتـألف من رمال صخرية متراكمة ومن الحصى فوق طبقة من الطين الخزفي الجيري * وتختفي هذه الطبقة فجأة وتظهـر طبقة الملح على الشاطىء ، ويبدو انها تمتـد الى داخل الجـزيـرة ، وتسـير محـاذية للشـاطىء مسافـة خمسـة كيلومترات وعلى بعد بضع مئات من الخـطوات منه ، ثم تتجـه فجأة الى

الارض الداخليـة . ومـظهـر هـذه السلسلة العام هو الحمرة القانيـة ، وتتناثر فيها احجار الاردواز . والتلال شديدة الانحدار ويتراوح علو قمتها ما بين ٣٠٠ و٦٠٠ قـدم . ويبدو ان السلسلة كلها ملحية وتذكرني بهضبة الملح القريبة من نيسابور الواقعة على الطريق الذي يصـل ما بـين طهـران ومشهـد . وكـانت المجمـوعتـان من الكهوف الملحية اللتين زرتهما تقعان على طرفي السلسلة المقابلين للبحـر . وكان الكهف القريب من كونه صغيرا نسبيا ، ويبدو انه لم يستغل ولكن احد الكهـوف الواقعـة في الطرف الاخـر كبـير ، فهو يشكـل قـوسـا يتـراوح ارتفاعه بـين ٢٠٠ و٣٠٠ قدم وطوله يساوي ارتفاعه ، اما امتداده العرضي فيتراوح بين ٦٠ و٧٠ قدما . وسقف الكهف مخـطط تخـطيـطا جميـلا كالرخام ، بينما تتدلى منه قطع بلورية كثيـرة ممتدة عـلى شكل حبـل لونها ابيض كالثلج .

وهناك كهف اخر اصغر من الكهف السابق ويقع على مقربة منه ، وهذا هو الكهف المستغـل بصـورة رئيسيـة . ويبعـد ميلا عن الشـاطىء ـ وهنـاك طريق حسن تسلكه الجمال والحمير في الوصول اليه . وتكوم قطع الحجـارة الملحية التي تقطع من داخل الكهف عند مدخله ، وتنقلها الحمير والجمال الى الشاطىء حيث توضـع في قوارب محلية صغيرة وتنقل الى مسقط ، ثم تصـدر اخيرا الى كلكتـا والشـاطىء الافريقي الشرقي . امـا مدة العمـل فيقال انها تستمر ما يقرب من خمسة اشهر ، وتبدأ في اوائـل الربيع حيث يعمل بين ١٠٠ و١٥٠ عاملا يوميا . ويقال ان سبب توقف العمل في قطع حجارة الملح في بقية السنة ان القوارب التي تنقل الملح لا تستطيع ان ترسو عـلى الشـواطىء مـا لم يكن الطقس هـادئا ، وان كنت اعتقـد ان عامـل الطلب هـو الذي يتحكم في العمـل . ويدفع كل قارب يحمل ملحا قرانين اي ما يقرب من روبية عن كل طن لشيخ قشم ويـدفـع كـل صـاحب جمـل يستخدمه في نقل الملح ٥ قرانـات في السنة لنفس السلطة . ويقال (ويؤكد ذلك مظهر المكـان العام) ان العمـل محفوف بالمخاطر اذ كثيرا مـا تنهار صـخـور الملح مـن السـقـف ومـن الجوانب .

وقد قيل ان الكثيرين من العمال قد قتلوا من جراء ذلك ، وقد لاحظنا بين الركام الكثير صخـرة ملحية صـافية يبلغ سمكها ١٢ قدما وطول جوانبها ١٦ قـدما ، وقـد سقطت اخيـرا من وسط سقف الكهف .

ويبـدو انهم لا يستغلون الالواح الصافية التي مر ذكرها ، بالرغم من انني رأيت بعض الاصناف منها مما يعتبر من أنقى الاملاح التي تستعمل على الموائد .

ولا يوجد أي ماء عذب بالقرب من هذه الكهوف ويشرب العمال من بئر مـالحة او من خـزانـين صنـاعيـين يجمعان ماء المطر ويبعدان ميلين عن الكهوف . وعندما اقمنا في هذا المكان كانت مياه الشرب تحضر لنا من آبار محفـورة بالقـرب من سلسلة كـونـة الملحية .

وعنـدما نتـرك السلسلة الملحيـة وراءنا ونتابع سيرنا على الشاطىء في الاتجاه الشرقي نجد ان تكوين التربة العام من حجارة رملية ويستأنف مرة اخـرى . وتسير الوديـان في مـوازاة السـاحل ، امـا الطبقـات التي عـلى جوانبها فترتفع ارتفـاعا يكـاد يكون عمـوديا ويتـراوح بـين ١٠٠ و٢٠٠ و٣٠٠ قدم وفوقها طبقات رقيقـة من الحصي والرمـل . ويبدو ان الجـزيرة كـانت مستويـة ، ولكن نـدرة الميـاه والتعرض الطويل للرياح وللطقس قد حفر في ارضها الوديان والاخاديـد ، ومظهر هذا الجانب من الجزيرة قاحل ومجـدب وهو بهـذا يشبه السـاحـل الايراني عامة .

واذا سرنا في احـد هذه الوديـان ستة أميال وقبل ان نصل قرية ساليك في الداخل بثلاثة اميال نجـد ينابيـع النفط وقد ملأت زجاجتين من سائـل الجدول ويبدو انه على درجة متوسطة من الاشتعال . وعلى كل حال فالينابيع قليلة ، واظن انها ذات اهمية تجارية قليلة .

وعنـدمـا رجعت الى بـاسيـدو ، وركبت قاربا ومررت بمضايق كلارنس حيث سـرت في قناة قشم الضيقـة . ويصبـح عرض المضيق بعـد بضعة اميال مئة يـاردة أو أكثر ثم يتعـرج مسـافة ٢١ ميـلا تقريبـا بين جـزر منخفضـة وشطآن يغـطيها البـابول وتوجد نبتـة المنجروف تحت سـطح مائه . ويـظهر شق الى اليمـين فجأة ويؤدي الى قرية لوفت الصغيرة . وتقع هذه القرية على طرف الشـاطىء عند انحـدار كبير ، وهنـاك عنـد الطرف الاخير من القرية قلعة مربعة يقوم في كل زاوية من زواياها برج دائري به اماكن للمدافـع . ويبدو ان السكـان الحاليين للمدينة في جهل مطبق من امر تـاريخ هـذه التحصينـات ، ويحمـل تـركيبها وبنـاؤها عـلى القول بـأنها اوروبية .

وقـد أقطع سلطان مسقـط قريـة لوفت كما اقطع بقية جزيرة قشم لاحد

الشيوخ مقابل ١٥٠٠ روبية يدفعها له سنويا . وقد يبلغ عدد سكان لوفت ٤٠٠ او ٥٠٠ نسمة ، ويبدو انهم يعتمدون اعتمادا كليا على تجارة الاخشاب ، تلك الاخشاب التي يجمعونها من الجزر المجاورة ويصدرونها من جديد الى كافة ارجاء الخليج ، هذه الارجاء التي تعتمد في محروقاتها من الخشب على شطآن مضايق كلارنس .

يؤخذ ماء الشرب من خزانات معقودة تتجمع فيها مياه الامطار ، كما هي الحال في باسيدو . وجميع هذه الخزانات التي على الشاطىء قد بنيت على طراز واحد ، فهي اما مستطيلة او مستديرة وقد حفرت في الارض عند نهاية المنحدرات . وهناك في قلعة لوفت عدة آبار حفرت في الاراضي الرملية الحجرية ، ويستقى منها الماء عندما ينضب ماء الخزانات .

وبعد ان تركت لوفت قطعت المضايق متوجها الى خومير لازور مناجم الكبريت ، تلك المناجم التي حفرت في تل يبعد عن تلك المدينة فرسخا الى الداخل . والعمل يجري في اعالي الوجه المقابل للبحر من التل ، ويسير في داخل الطبقات مكونا معارض مختلفة . وتكون المواد الخام عندما تستخرج مؤلفة من قطع صغيرة مكومة في اكوام مخروطية وتحرق هذه القطع ويسيل الكبريت الى اسفل الكومة حيث يتجمد تاركا اكواما من الفضلات الجيرية او الجبسية . وقد منح سلطان مسقط امتياز استخراج الكبريت لاحد الشيوخ مقابل ٤١٠٠ قران . ويقدم الشيخ ٢٤٠٠ قران كهدايا للسلطان الايرانية .. اما الكمية المستخرجة فتتراوح بين ٦٠ الفا و٩٠ الف كيس وزن الكيس ٩ ارطال . ويقال ان الكبريت من نوع ممتاز ، يباع عندما ينقل الى الشاطىء ، فكل ١٠٠٠ كيس من ذوات التسعة الارطال تباع بروبيتين . وقد حدثني الشيخ انه يؤجر استخراج الكبريت في عدة اقسام، وان ربحه يبلغ قرانا واحدا في كل كيس من اكياس دلهي الذي يبلغ وزنه ٢٨ رطلا . وجومير عبارة عن قرية وقلعة ، مشابهة في حجمها للوفت ـ وفي الحقيقة انه يمكن ان نصف جميع القرى الموجودة على طول الشاطىءانها مجموعة من الصناديق الحجرية المستطيلة والمنخفضة التي نحيط بقلعة قد تهدمت ، وحولها اكواخ مؤقتة مبنية من سعف النخيل . وقد رست على الشاطىء قوارب مختلفة الاحجام . وهناك على

هذا الشاطىء ، كما على جميع شطآن المضايق مجموعة من الاوتاد المثبتة في نقطة منخفضة من الماء وهي تتألف من سعف النخل ، وقد شدت الى بعضها البعض شدا محكما .

ويتألف طعام السكان من السمك والتمر وخبز الشعير . والسمك الشائع هنا هو نوع كبير الحجم من السمك البوري ، ويصاد سمك موسى وان كان غير مرغوب فيه كثيرا .

ويزداد عرض المضايق بعد خومير حتى يبلغ ٤ أميال . وتتجمع على الشاطىء الفارسي تركيبات ملحية يظهر انها استمرار لتلك التركيبات الموجودة في جزيرة قشم - وهي فوق خط الماء مباشرة وترتفع ٦٠٠ قدم تقريبا ، ثم تتجه الى الشرق وتسير مع خط المضايق مسافة ٦ او ٧ اميال مكونة سلسلة من الروابي يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠ و٢٠٠ قدم .

وعبرت المضايق ووصلت الى جزيرة هرمز وزرت اطلال المرابع البرتغالية القديمة . ولاتزال القلعة ذات البناء القوى قائمة ولكنها تحتاج لترميم وعليها بضعة مدافع خربة تحمل تاريخ اوائل القرن الثامن عشر . ويحيط البحر بالقلعة من ثلاثة جوانب . اما الجانب الرابع الذي يقابل البر فقد احيط بخندق ملىء بالماء وقد حفر في اضيق مكان بنيت فيه القلعة . ويبدو ان الطريق المائي الشرقي من القلعة كان في عهد البرتغاليين يكفي لأن تمر به قوارب ذات حمولة حسنة وترسو عند الميناء مباشرة قد تهدم هذا الممر الآن *

ويكون الطرف الثاني من الخندق ذروة المدينة التي تمتد على شكل مثلث غير منتظم حتى تصل الى سلسلة من الهضاب تكون قاعدة المثلث وحاجزا طبيعيا . وارتفاع المثلث العمودي الممتد من خندق القلعة الى هذه الهضاب يبلغ ميلا ونصف الميل ، بينما يوجد هناك برجان كل منهما يقع على طرف قاعدة المثلث عند الشاطىء مباشرة ، وهما يحددان المدينة والمسافة بينهما تبلغ ميلين ، ولايزال البرج الغربي يحمل اسم ارجازي ، اما الشرقي فأسمه مشحاتة . ونجد بعد الاخير ضواحي تتجه صوب الجنوب الشرقي وتمتد موازية للشاطىء وتتصل برصيف يبعد ثلاثة اميال او اربعة . ويقال ان هذا الرصيف وهذه الضاحية واسمها طرومبق - لايزالان موجودين ولم يكن عندي متسع من الوقت لزيارتهما .

ومن المستحيل ان نعرف ماذا كان عليه اتساع مدينة هرمز في الزمن السالف . وتؤكد الاخبار المتواترة انها

كانت تشمل المجال الذي سبق تحديده ، ولكنني استطيع ان اقول ان الايرانيين كانوا يقطنون في الاصل في الاماكن التي لازالت تحمل الاسماء القديمة السابقة ، وعندما جاء العرب بعدهم اطلقوا اسم بندر على طرومبق ، ثم جاء البرتغاليون ففضلوا المكان الذي لاتزال قلعتهم قائمة فوقه ، لأن المكان يعطيها حماية طبيعية ، وهو اقرب مكان للمرفأ القديم على البر ، وهي بالقرب من بندر عباس الحالية ** وثالثا انها تهيىء اقرب مكان لرسو المراكب الكبيرة وهي على كل حال تشكل ملجأ على جانبي القلعة .

وهناك الى الجهة المقابلة من قلعة هرمز مباشرة في البر ، وعلى بعد اربعة أميال تقريبا الى الشرق من بندر عباس الحالية ، توجد آثار تدل على وجود جون قديم وصغير وقد امتلأ هذا الجون بالطين ، ولاتزال بعض آثار البناء ماثلة فيه للعيان . ويقال ان البضائع التي كانت تنقل من هرمز القديمة واليها كانت تنقل من هذا المكان . وهناك آثارتدل على وجود خلجان اخرى صغيرة على طول الشاطىء وبصفة خاصة الجون الذي يقع الى القرب من بندر عباس ، وقد امتلأ بالطين منذ عهد ليس بالبعيد .

ولعل وجود هذا الجون هو الذي تسبب في وجود بندر عباس في هذا المكان ولو لم يكن الامر كذلك فمن الواضح ان وجود بندر عباس الى الغرب عدة اميال وراء صرور افضل من وجودها في هذا المكان اذ ان هناك قطعة من الارض وجزيرة قشم سيحميانها كثيرا من الرياح السائدة .

ويجب ان نقبل ما وصلنا من وصف الكتاب القدامى لعظمة هرمز بتحفظ فلقد كانت في سالف الزمن مدينة تجارية عظيمة ومن الطراز الاول ، اما الآن فليست سوى مدينة شرقية عادية. وليست هناك أي آثار تدل على الضخامة او على القوة . واهم البنايات الباقية هي خزانات الماء المعقودة .

ولقد كانت هذه الخزانات بطبيعة الحال كثيرة وذات اهمية كبيرة ، في بلد مأهول بالسكان ويعتمد اهله على مياه الامطار،وان عبارة جوستاموند * - وهي ان الماء كان يطاف به في الشوارع محمولا على الجمال ليشتريه المسافرون - لا تدل على ان المدينة كانت تتمتع بترف اضافي وان ما يعتبر شيئا مباحا للجميع في بقاع العالم الاخرى اذ هو ضروري للحياة ، كانت له قيمة شرائية في هذه الجزيرة

القاحلة . وانه ليصعب على ان اصدق ما يقال من ان الطرق العامة التي كانت تطؤها الجمال كان مفروشة بالسجاد وبالكتان ، فمثل تلك الترتيبات لا توافق عادات تلك الحيوانات ابدا . ولعل من الاصح ان يقال ان حوانيت هرمز القديمة كانت ، كغيرها من المدن الشرقية تظللها قطع من الخيام والسجاد لتصريف الاعمال .

وهناك رواية محلية تزعم ان جزيرة هرمز كانت تابعة للمدينة الفارسية القديمة ميناو ، الواقعة في الداخل على ضفاف نهر عذب الى الشرق من هرمز مباشرة ولاتزال ميناو تحمل اسمها القديم ، وهو مأخوذ من كلمتى (من) ومعناها ارض و(آوب) ومعناها ماء . والحقيقة هي كما قالها لي احد تجار مدينة بندر عباس حين ، حدثني قائلا ان الناس يستقرون لاول وهلة فوق الارض الخصبة وعلى جنبات الماء العذب ، وحيثما وجدت هذين العنصرين الاساسيين بجوار اطلال عليك ان تتأكد من اسبقيتها في التاريخ .

أما الطابع العام لجزيرة هرمز فيشبه الى حد بعيد التكوين الملحي والكبريتي في المنطقة المجاورة لخومير والتي مر وصفها .

وتركت هرمز وابحرت متوجها نحو بندر عباس التي تبعد عن هرمز ١٢ ميلا في الاتجاه الشمالي الغربي . وهي مدينة مسورة يتراوح عدد سكانها بين ٨٠٠٠ و٩٠٠٠ نسمة ولها ضواح تمتد على شاطىء البحر وتحدها سلسلة من الجبال السامقة والجرداء على ما يبدو وعلى بعد ١٥ ميلا من بندر عباس ، الا ان الشقوق الموجودة في وسط هذه السلسلة تنبت برتقالا ممتازا ** ويقال انها مملوءة بالاشجار . وهناك قبور كبيرة مبنية على طراز فخم وهي الى الشرق من المدينة الحاضرة ، وقد اصبحت هذه القبور اطلالا .

وتوجد في الجهة الغربية اطلال تدل على وجود مدينة سامقة واسعة ، ويوجد بين هذه الاطلال انقاض مصنع انجليزي ، ويبدو ان هذا المصنع قد هدم لكيلا يستعمله اي عدو كنقطة ارتكاز في هجومه . وهناك موقع ممتاز ومستور للمرفأ على بعد اربعة اميال صوب الغرب عند مدخل مضايق كلارنس ، ولعله كان مكان بندر صغير . اما بندر عباس الحالية فهي خالية من أي رصيف او تحسين صناعي وعمق المياه عندها قامتان او ثلاث وعلى مسافة ميلين ، ولذا فان على المراكب ان تلجأ الى جزيرتي قشم

وهرمز عندما تهب الرياح الجنوبية او الجنوبية الشرقية التي كثيرا ما تهب والتي تحـول الشاطىء الى شـاطىء تحت رحمة الريح والامواج العاتية .

هوامـش

* انني اتكلم عن الطابع العام للمنطقة ، ويظهر جزء كبير منه في صخرة قمة مونورا بالقرب من كراتشي .

* وجدت خلجانا كثيرة على طول شاطىء بندر عباس مطمورة ، اما في الشمال فالامر على العكس من ذلك اذ نجد في شبه جزيرة بوشهر وعلى الساحل العربي ايضا اثارا تدل على ان البحر يجوف الأرض باستمرار . ونجد بالقرب من قلعة ريشهر في ذلك الجزء العاري من التربة والموجود على امتداد صخور الشاطىء قطعا خزفية تمتد منطقة وجودها الى مسافة كبيرة ، كما انها توجد على عمق ٥ ، ٦ ، ٧ أقدام . ولاتزال هناك بعض الكهوف التي توجد بها فجوات رملية موجودة فوق الصخور وترفع مياه البحر الى مستوى عال .

** انها تبعد ٤ أميال الى الشرق من بندر عباس .

* انظر مقتطفات من جوستاموند ورالف فيلش ص ٣٠ من (مختارات الحكومة) عدد ٢٤ لسنة ١٩٥٦ .

** يقال ان احسن انواع البرتقال الموجودة في زنجبار تستورد من سلسلة الجبال هذه .